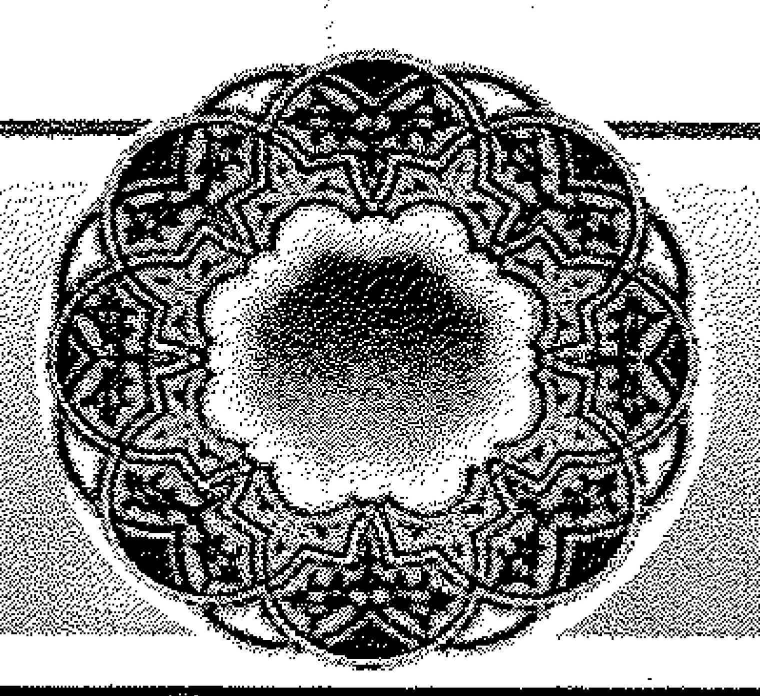

تراث
الجمهورية
العدد الستون
قصة الثورة مع الإخوان
كما رواها
أنور السادات
صلاح عطية



إهـــــداء ٢٠١١
دار الكتب و الوثائق القومية
جمهورية مصر العربية



تراث
الجمهورية

سلسلة تأسست فى يناير ٢٠٠٦ ■ يصدر عن مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر « دار الجمهورية للصحافة »

ديسمبر ٢٠١٠
الكتاب الستون

962.052
A872

قصة الثورة مع الإخوان

كما رواها أنور السادات

رئيس مجلس الإدارة
على هاشم
E-mail:alihashem@eltahrir.net

الإشراف العام والتحرير
صلاح عطية

أعضاء مجلس التحرير
محمد فودة
ناجى قمحة
صلاح عطية
محمد جبريل
عثمان الدلنجاوى
مصطفى القاضى
محمد إسماعيل

١١١ ـ ١١٥ شارع رمسيس ـ القاهرة
تليفون: ٢٥٧٨١٠١٠ ـ ٢٥٧٨٣٣٣٣
فاكس: ٢٥٧٨١٧١٧ ـ ٢٥٧٨١٥٥٥
WWW.ELTAHRIR.NET

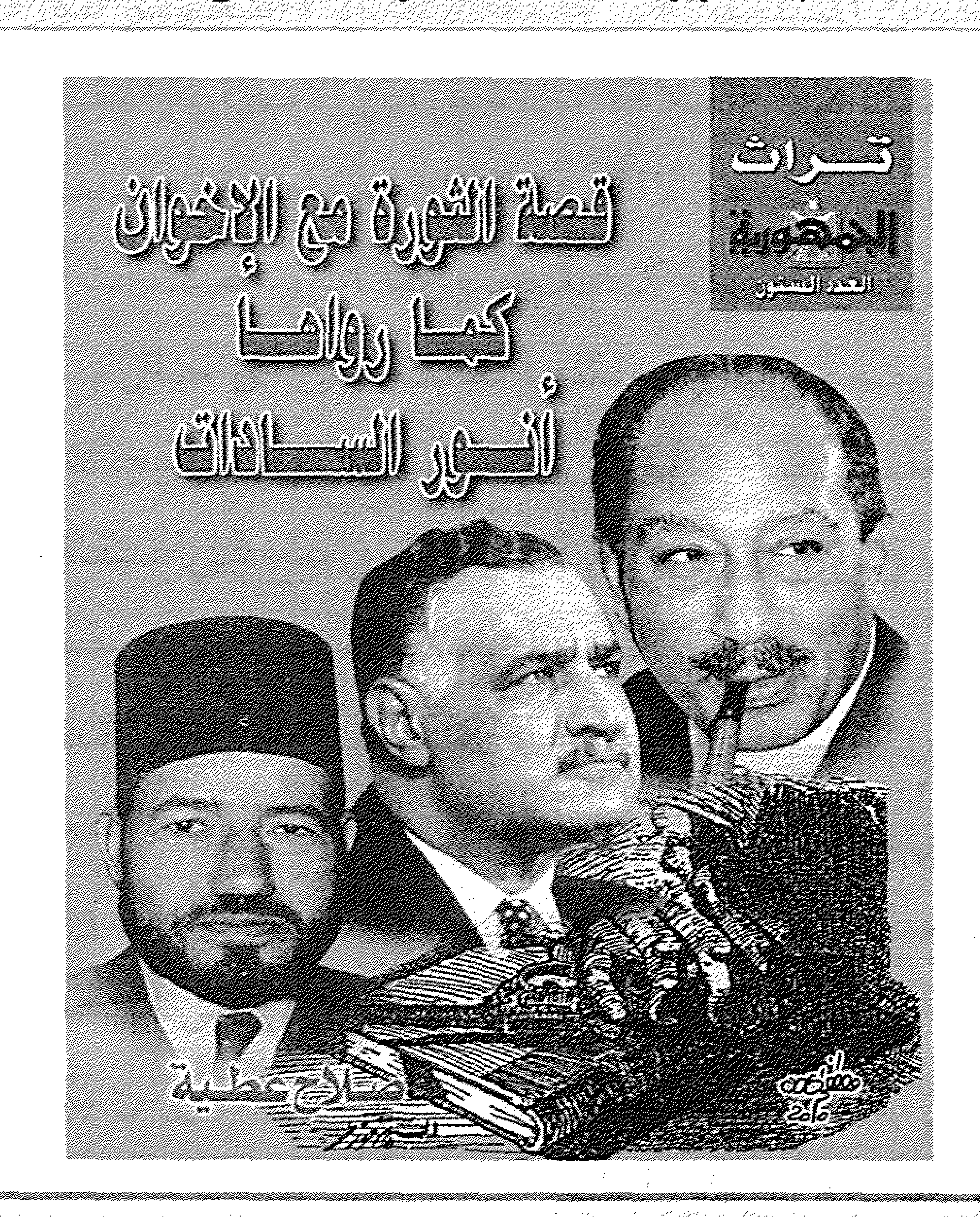
صور الغلاف :

أنور السادات- جمال عبد الناصر- حسن البنا



سلسلة تأسست فى يناير ٢٠٠٦ ■ يصدر عن مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر « دار الجمهورية للصحافة »

ديسمبر ٢٠١٠ الكتاب الستون



تصميم الغلاف:
الفنان مصطفى كامل

تنفيذ الكتاب:
مرفت محمد حسن و أسامة ابو عمر

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

رقم الإيداع : ٢٢٦٨٧/٢٠١٠
الترقيم الدولى : I.S.B.N 977 - 236 - 754 -8
طبع بمطابع دار الجمهورية للصحافة

«مقدمة»

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يمكن أن نقول إن هذا الكتاب: «قصة الثورة مع الإخوان» هو تأريخ كامل للعلاقة التى ربطت بين ضباط الجيش وجماعة الإخوان المسلمين فى فترة الإعداد والتجهيز لثورة يوليو، فقد حفلت هذه العلاقة بالكثير من الأسرار والخبايا والملابسات.. وتميزت بعد ذلك بتطورات «درامية» عديدة.. وربما كانت البداية سهلة كما صورها أنور السادات فى مقالاته فى «الجمهورية».. ولكنها كانت على أى حال بداية ارتبطت به شخصياً، قبل أن تتصل خيوطها بجمال عبدالناصر.. وقبل أن تتلازم مع تغلغل واسع فى صفوف الجيش، سبق علاقة أنور السادات بالمرحوم الشيخ حسن البنا، واستمرت تتغلغل مع محاولات لضم ضباط تنظيم الضباط، وقد وقف عبدالناصر موقفا وسطاً من هذه «الصلة» بترحيبه بقيام هذه الصلة بين الضباط وجماعة الإخوان ولكن دون الانضمام أو الاندماج فى جماعة الإخوان أو فى أى هيئة أو حزب ، لكى يحتفظ الجيش بقراره فى يده دون أن يكون لأى جهة خارجة عنه سيطرة عليه.

●●●

وعندما اتخذ الضباط قرار القيام بحركتهم، كما كانوا يسمونها، فى مارس ١٩٥٢ بعد حريق القاهرة، فإنهم قرروا أن ينفرد الجيش بهذه الحركة، لأن اتصالات عبدالناصر بمختلف الأحزاب والجماعات والهيئات، أوضحت له، ومن ثم للتنظيم، أن أياً من هذه الأطراف «لم يكن جديراً بالثورة ولا مستعداً لعمل شىء».

●●●

وكل هذه المراحل والتطورات التى استغرقت نحو اثنى عشر عاماً من التمهيد والتحضير والتجهيز لثورة يوليو، حفلت بالكثير مما يمكن أن يروى ويؤرخ له..

ولكننا فى هذا الكتاب «تراث الجمهورية» نعتمد على مجموعة مقالات أنور السادات التى نشرها فى «الجمهورية» منذ أول أعدادها، لكى يروى فيها «صفحات مجهولة من كتاب الثورة».

وبطبيعة الحال نلتزم هنا بما جاء فى هذه المقالات، بحكم طبيعة هذه السلسلة: «تراث الجمهورية».

ولم يكن ما رواه أنور السادات هو كل ما كان على الساحة.. كما أنه فى نهاية الأمر وجهة نظر كاتبها.. ولا شك أن هناك

وجهة نظر مقابلة.. وهى تستحق أيضاً المقابلة بين وجهتى النظر، وهو جهد لا يتسع له هذا الكتاب بحكم صدوره فى إطار «تراث الجمهورية»، وربما أعاننى الله عليه، إذا كان فى العمر بقية، عندما أعيد ـ كما أنوى ـ إصدار بعض ما صدر فى هذه السلسلة بإضافات وتحقيقات جديدة، وكل الأمر مرهون بإرادته سبحانه وتعالى.. ثم بتوفيقه.. والتوفيق نعمة يسبغها الله على من يشاء من عباده وهو على كل شىء قدير.

●●●

وإذا كان الحديث هنا فى جزء كبير من هذا الكتاب عن علاقة أنور السادات بالشيخ حسن البنا كمدخل لعلاقة الجماعة بثورة يوليو.. فإنى أشعر بكثيرمن الرضا أن الله سبحانه وتعالى قد أكرمنى برؤية كثيرمن العمالقة فى تاريخ مصر.. سواء كانوا موضع اتفاق أو موضع خلاف.. وقد ذكرت فى مقدمة سابقة جانباً كبيراً من هؤلاء.. ومع هذا الكتاب أذكر أيضاً المرحوم الشيخ حسن البنا.. وقد عاصرته فى عام ١٩٤٨، قبل اغتياله فى فبراير عام ١٩٤٩.. وكنت آنذاك تلميذاً بالصف الأول الثانوى فى مدرسة بنباقادن الثانوية فى حى الحلمية بالقاهرة، وكان هذا الحى هو معقل الإخوان المسلمين، وفيه مقر المركز العام للإخوان المسلمين الذى أصبح منذ تمت مصادرته بعد حل جماعة الإخوان المسلين، مقراً

لقسم الدرب الأحمر.. وكان لقاءنا بالشيخ البنا، ليس فى دروس أو نحوه، وإنما كان ـ رحمه الله ـ دائم التردد على منزل، أعتقد أنه منزل أسرته، أو أحد أفرادها، يواجه باب مدرستنا، فكنا صغاراً نتجمع حوله للسلام عليه.

●●●

ثم كان حادث اغتياله بعد ذلك، فى ١٢ فبراير ١٩٤٩، فلا أنكر أن الحادث قد أفزعنى كثيراً.. وإن كنت قد حزنت كثيراً قبل ذلك لمقتل محمود فهمى النقراشى باشا.. وقبله أحمد ماهر باشا، الذى درست دراستى الابتدائية فى مدرسة تحمل اسمه.. وكان تأثرى كبيرا بوالدى ـ رحمه الله ـ الذى كان يميل إلى الحزب السعدى، بعد أن وقعت أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢، وقبل النحاس باشا تولى رئاسة الوزارة «على أسنة الرماح» كما كان الشائع وقتها وبعدها.

●●●

كان جيلنا والحمد لله جيلاً قارئاً.. ليس أمامه غير القراءة والدراسة.. وكان تأثير الأسرة يلعب دوراً أساسياً فى تشكيلنا، وكان أبى ـ رحمه الله ـ من رجال التعليم، فغرس فىّ حب القراءة، وكان جيلنا يدرك وهو صغير كل أبعاد اللعبة السياسية فى مصر.. ويعرف كل أدوار اللاعبين على المسرح.. من القصر إلى الأحزاب إلى المستعمر.. وكانت أيام لا تتكرر..

فقد تغيرت الاهتمامات.. وتغيرت البيئة الحاضنة.. وتغيرت المؤثرات.

●●●

نعود إلى موضوع هذا الكتاب..

أود فى البداية أن أوضح أن هذا الكتاب يعتمد على مجموعة المقالات التى نشرها الرئيس الراحل أنور السادات فى «الجمهورية»، وصل عددها إلى خمسة وعشرين مقالاً بدأها مع أول يوم لصدور «الجمهورية» فى يوم الاثنين ٧ ديسمبر ١٩٥٣ تحت عنوان «صفحات مجهولة من كتاب الثورة»، وأنهاها فى يوم الثلاثاء ١١ مايو ١٩٥٤، وكان الرئيس السادات وقتها هو المدير العام لـ «الجمهورية».

وفى هذه المقالات روى أنور السادات صفحات من تاريخ الإعداد لثورة يوليو حدد فيها دوره ودور الرئيس عبدالناصر.. وقال هو نفسه محدداً مضمون هذه المقالات:

«حددت لهذه الصفحات المجهولة خطاً نسير فيه، يستهدف الكشف عن الأسرار التى يمكن كشفها من تاريخ التمهيد للثورة، وتاريخ تجاربنا فى هذا التمهيد»..

ومن هذه المقالات يمكن استنباط واستخراج الكثير من المعلومات عن بدايات الثورة.. وبعضها ذكره أنور السادات

صراحة.. وبعضها تركه لفطنة القارئ.. يستشف منها ما يريده..

●●●

وفى هذه المقالات يتناول أنور السادات الكثير من علاقة الضباط فى تلك المرحلة، بالإخوان والوفد، وباقى الأحزاب والتنظيمات السياسية، ويروى كيف بدأت علاقة الثورة بالإخوان من خلاله، ثم استمرت بعد ذلك من خلال عبدالمنعم عبدالرؤوف، الذى رشحه أنور السادات لحسن البنا ليكون الصلة بين الضباط وبين الإخوان، إذا حدث ما يمنع اتصال السادات به.. ولكن صلة عبدالمنعم عبدالرؤوف توثقت بالإخوان وانصرف إليها كلية ونشط فى تجنيد الضباط للانضمام إلى الإخوان.

●●●

وكما أن السادات يروى صلة الثورة بالفريق عزيز المصرى باشا، الذى كان الضباط يرون فيه أباً روحياً لهم، فإن السادات يعترف بأن الذى قدمه إلى عزيز المصرى، هو المرحوم الشيخ حسن البنا، وهو الذى دبر له اللقاء، والذى جرى فى خفية خوفاً من أن ترصده عيون الرقباء.

وكان عزيز المصرى الذى تعرف به السادات عن طريق

حسن البنا، هو الذى وضع الهدف واضحاً أمام الضباط عندما قال للسادات: «لابد من تغيير الأوضاع بانقلاب عسكرى».. وقال للسادات «ماذا تنتظرون؟!».

●●●

وإذا كان أنور السادات يرجع بداية علاقته بالإخوان المسلمين، وبالتالى علاقة عناصر ثورة يوليو بهذه الجماعة، إلى أول اتصال له بالإخوان فى عام ١٩٤٠.. فإن هذا لا يعنى أن الإخوان المسلمين لم يكن لهم وجود داخل الجيش، وعن غير طريق أنور السادات، أو الضباط الأحرار، أو الضباط الذين كانت تجمعهم نوايا تحرك على نحو ما ، لم تتبلور إلا بمشاركة الإخوان كما سنرى..

والذى يؤكد هذا، أن الذى قام بتقديم أنور السادات إلى الشيخ حسن البنا فى عام ١٩٤٠، كان أحد عناصر الجيش كما ذكر السادات.. ومعنى ذلك بوضوح أن الإخوان كانوا موجودين داخل الجيش فى تلك الفترة المبكرة.. وقبل أن يتعرف السادات بالشيخ حسن البنا.. ثم تصاعد وجودهم بعد ذلك كما يذكر أنور السادات وازدادوا تغلغلاً فى الجيش، وكان هناك نوع من الرضاء، أو غض النظر عن هذا التواجد، بل ربما نوع من التشجيع أحياناً، وقد شارك عبدالناصر فى «الصلات» القائمة بين الجيش والإخوان، وهو التعبير الذى

اختاره أنور السادات ليصف العلاقة بين تنظيم الضباط.. والإخوان.. ولكن أمر هذه «الصلات» لم يصل إلى مرحلة الانضمام إلى الإخوان، أو الاندماج معهم.. وإنما كانت تعاوناً يحتاجه كل من الطرفين وصولاً إلى أهدافه..

●●●

ويمكن أن نستنتج أن هذه العلاقة أو الصلات، كما أوضحتها مقالات أنور السادات، والتى نشرتها «الجمهورية» فى بداية الخمسينيات، كان واضحاً تماماً أنها علاقات أو صلات «تكتيكية».. فى مرحلة يريد كل منهم فيها أن يستعين بالآخر لكى يحقق الهدف الذى قد يتفق من وجهة نظر كل طرف فى لحظة ما، مع الهدف الذى يسعى إليه هذا الطرف.

وعلى هذا النسق جرى التعاون والتشاور.. ولكن عندما اكتشف كل طرف أن المصالح متعارضة.. وهى كذلك بطبيعة الحال.. جرى فض هذا التعاون.. وانتهى الأمر إلى الصدام فى النهاية.

فقد كانت لكل طرف رؤاه التى تتخفى وراء هذه الأهداف.. وكانت المصالح النهائية متعارضة تماماً.. مهما كان الهدف المرحلى متفقا.. لأن الاستراتيجية التى يرنو إليها كل طرف متعارضة تمام التعارض.. وكل طرف ظن أنه يستطيع أن يحتوى الطرف الآخر حتى يصل إلى أهدافه.. فكان لابد من الصدام عند مفترق الطرق.

وهذا ما حدث.. وما يذكره بصراحة أنور السادات فى مقالاته فى «الجمهورية».. التى توضح سبب الفراق بين الثورة وجماعة الإخوان فى مرحلة الإعداد للثورة.

●●●

فقد كان السادات فى البداية يعتبر الإخوان المسلمين قوة شعبية تقف فى الصف الثانى، وتساند تنظيم الضباط عندما يضرب العسكريون ضربتهم.. أى تساعدهم فى تحقيق أهدافهم.. وفرح السادات عندما وجد الإخوان يجمعون السلاح.. فقد كان تقديره فى البداية أن هذا السلاح سيكون فى هذه الجبهة الشعبية التى تساند تنظيم الضباط.

ولكن بعد ذلك أدرك تنظيم الضباط «أن جميع الهيئات والأحزاب التى اتصل بها قد أثبتت أنها غير جديرة بالثورة ولا مستعدة لعمل شىء».. فانفض التعاون وبدأ الصدام، كما سنرى فى مراحل تالية.

●●●

وسيقرأ القراء فى هذا الكتاب كيف تعرف أنور السادات بالمرحوم الشيخ حسن البنا.. وكيف توثقت علاقته به، وكيف استمرت علاقته به بعد ذلك.. وسيقرأون النص الكامل لما قاله السادات فى ملاحق الكتاب..

وقد أعاد السادات رواية هذا الجزء فى كتابه «البحث عن الذات».. وقد رأيت أن أورد هنا هذا الجزء ليعرف القارئ العزيز الفرق بين الروايتين للسادات لنفس هذا الجزء.. ويفصل بينهما نحو ربع قرن.

إذ يتحدث السادات فى كتابه «البحث عن الذات» عن أول تنظيم سرى للضباط أنشأه هو فى عام ١٩٣٩.. وهو ما لم يذكره صراحة فى مقالاته فى «الجمهورية».. كما يتحدث أيضاً برواية مختلفة بعض الشىء عن لقائه بحسن البنا ونتائج هذا اللقاء:

●●●

يقول السادات متحدثاً عن اتصالاته بالضباط بعد نقله من منقباد إلى العمل فى سلاح الإشارة بالمعادى:

«كان الاتصال أول الأمر قاصراً على زملاء السلاح والسن فى دفعتى.. ولكن انتصارات هتلر المتلاحقة فى سنة ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١.. وهزائم الإنجليز شجعتنى على أن أوسع الدائرة شيئاً فشيئاً حتى شملت الكثيرين ممن التحقوا بالجيش بعدنا ونفراً غير قليل ممن كانوا أسبق فى الخدمة منا.

كان الجميع يستجيبون للدعوة بسرعة وحماس.. وكانت الدعوة أننا يجب أن ننتهز الفرصة ونقوم بثورة مسلحة ضد الإنجليز فى مصر..

هكذا قام أول تنظيم سرى من الضباط وكان ذلك فى سنة ١٩٣٩.. كان ضمن أعضائه عبدالمنعم عبدالرؤوف وكان يعتبر الرجل الثانى بعدى.. وعبداللطيف بغدادى وحسن إبراهيم وخالد محيى الدين وأحمد سعودى حسين الله يرحمه.. وحسن عزت والمشير أحمد إسماعيل.. الذى كان يحضر اجتماعاتنا دون مشاركة سياسية، فقد كان يرحمه الله رجل عسكرية كرس حياته لعمله وتخصصه.

لم ألجأ إلى الخلايا السرية للدفع بهذه الثورة المسلحة لبلوغ أهدافها كما فعل عبدالناصر بعد عودته من السودان فى ديسمبر سنة ١٩٤٢ وتسلمه التنظيم فى أوائل سنة ١٩٤٣ بعد اعتقالى فى صيف ١٩٤٢، ففى تلك السنة كان خط هتلر قد بدأ فى الانكسار وبالتالى استعاد الإنجليز قوتهم فى مصر فكان على عبدالناصر أن يخطط للمستقبل..

أما أنا فلماذا أخطط لثورة على مدى زمنى بعيد؟ كانت الأحداث وما أعقبها من ردود أفعال ـ أى انتصارات هتلر المتلاحقة وهزائم الإنجليز كنتيجة حتمية لهذا الانتصارات - قد جعلت الباب أمامى مفتوحاً للعمل المباشر.. ففيم الإعداد للمستقبل والفرص متاحة أمامنا وواجبنا أن ننتهزها قبل أن تفوت.

في هذا الاتجاه سرت وأسرعت الخطى.. فإلى جانب اتصالاتى الواسعة بالضباط وتشكيل الهيكل التنظيمى للثورة بدأت اتصل بالجنود فى وحدتى بالمعادى وألقى عليهم محاضرات عن المعركة والموقف العسكرى فى العالم وموقفنا من الإنجليز والأوضاع فى مصر.. كيف كانت وكيف أصبحت.. وإلى جانب هذا كنت أحدثهم عن الوطن والوطنية كما كنت أصلى بهم».

●●●

وينتقل السادات إلى الحديث عن الإخوان المسلمين فيقول:

«تصادف وجود بعض الإخوان المسلمين بين جنودى ففوجئت يوم مولد النبى سنة ١٩٤٠ بأحدهم يهمس فى أذنى بأن بالباب رجل ممتاز فى الدين يريد أن يقول كلمتين للجنود بمناسبة المولد وكنت ضابط النوبة فى تلك الليلة.. سألت من يكون.. ولما عرفت أنه الشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين رحبت به وجعلته يلقى المحاضرة على الجنود بدلا منى..

كان ممتازاً فى اختياره للموضوعات وفهمه للدين وشرحه وإلقائه.. من كل النواحى فعلا كان الرجل مؤهلا للزعامة الدينية.. هذا إلى جانب أنه كان مصرياً صميماً بكل ما تحمله هذه الكلمة من دماثة خلق وسماحة وبساطة فى معاملة الناس..

كنت قد سمعت الكثير عن الإخوان المسلمين وكنت أتصور أنها جماعة دينية هدفها الوحيد الإصلاح الخلقى وإحياء قيم الإسلام.. ولكنى بعد أن استمعت إلى الشيخ البنا بدأ مفهومى يتغير بعض الشيء فقد كان الرجل يتكلم عن الدين والدنيا معاً.. وبأسلوب جديد لم نألفه من رجال الدين.

أعجبت به كل الإعجاب فبعد أن انتهى من المحاضرة هنأته من كل قلبى.. وجلسنا نتبادل الحديث لبعض الوقت.. وقبل أن يخرج دعانى لحضور درس الثلاثاء الذى كان يلقيه كل أسبوع بعد صلاة المغرب فى مقر المركز بالحلمية الجديدة.

وذهبت إليه وحضرت بعض الدروس وفى كل مرة كان يصطحبنى إلى مكتبه الخاص لنتجاذب أطراف الحديث.. ولفت نظرى ما كان عليه الإخوان من تنظيم وما كانوا يحيطون به المرشد العام من احترام وتبجيل يكاد يصل إلى درجة التقديس حتى أنهم فى معاملتهم لى كادوا يقبلون الأرض بين يدى لمجرد أنه كان يدعونى للجلوس معه فى مكتبه..».

●●●

ويتحدث أنور السادات فى كتابه «البحث عن الذات» عن قوة الإخوان المسلمين فى الأربعينيات فيقول:

«كان الإخوان دون شك قوة لا يستهان بها ويكفى للتدليل على هذه القوة أنه كانت أمام مقرهم بالحلمية فيللا رائعة أراد الشيخ البنا أن يجعلها مقراً جديداً للجمعية فطرحها للاكتتاب وفى أقل من يوم غطى الاكتتاب واشتراها..

بعد سماعى لعدد من دروس الثلاثاء وقبل ذلك المحاضرة التى ألقاها على جنودى يوم مولد النبى ساورنى الظن بأن الشيخ البنا ربما كان يعمل على مستوى سياسى وبطريقة ذكية للغاية، فهو فى أحاديثه لا يتعرض للسلطة على الإطلاق.. وإنما يتكلم عن الإسلام فحسب ديناً ودنيا.. وكيف أنه صالح للروح كما أن لا صلاح للحكم بدونه..

وأكد هذه الظنون ما سبق أن دار بينى وبين الضابط العظيم لفرقتى من حديث حول الشيخ البنا.. فبعد محاضرته فى الجنود يوم مولد النبى.. زارنى الضابط العظيم فى حجرتى فى ساعة متأخرة من الليل..

قلت: خيراً..

قال إنه إنما جاء ليقول لى كل سنة وأنت طيب بمناسبة المولد.. ثم دخل فى الموضوع مباشرة فأخبرنى أن المخابرات قد علمت بزيارة الشيخ البنا.. فحركاته مرصودة من الدولة لأن تنظيمه فى الواقع تنظيم سياسى ولذلك فهو يحاول أن يجند أفراد القوات المسلحة لبلوغ أهدافه..

وعرفت بعد ذلك ما لم يقله لى الضابط العظيم أن عند الشيخ البنا وتنظيم الإخوان ضابطاً متقاعداً اسمه محمود لبيب هو رئيس الفرع العسكرى بالإخوان قد استطاع بالفعل تجنيد بعض الجنود والضباط.

كان هذا أول تنبيه لى.. ومع ذلك داومت على حضور دروس الثلاثاء.. ولكن لم يكن يعجبنى منظر الإخوان وهم يقبلون يد المرشد العام.. فأنا لا أميل بطبعى إلى هذا النوع من العلاقة بين الناس فكلنا بشر وكلنا سواء (ولو أننى كنت أقبل يد أبى إلى أن مات وبعد ولايتى كرئيس للجمهورية) ولذلك تعمدت بعد ذلك أن أذهب للقائه قبيل انتهاء الدرس فيصطحبنى كعادته إلى مكتبه الخاص ويبدأ الحديث معى».

●●●

ويواصل أنور السادات وصفه لمحاولات الشيخ حسن البنا معرفة نوايا السادات فيقول:

«كان دائماً فى منتهى اللباقة والحرص فهو يتلمس طريقه إلى قلبى فى كل حوار يدور بيننا أما الأسئلة التى يوجهها إلى فقد كان هدفه منها استكشاف نواياى ومقاصدى.. وكنت أنا على وعى تام بما يحاول صنعه ففى إحدى اجتماعاتنا قلت له:

- اسمع يا شيخ حسن.. واضح أنك حريص أكثرمن اللازم فى الحديث معى وأنا لا أرى داعياً لهذا.. بصراحة أنا أسعى إلى عمل تنظيم عسكرى هدفه قلب الأوضاع فى البلد..

باغتت الرجل هذه المفاجأة.. فنظر إلى فى دهشة ولم يعرف ماذا يقول.. ربما كنت أحد رجال المخابرات.. وربما كنت مدسوساً عليه من جهة أو أخرى.. وقطعت عليه صمته بقولى:

- نعم أنا أسعى إلى ثورة مسلحة.. ومعى عدد كبير من الضباط من كل أسلحة الجيش.. وحركتنا تسير.. بدأ يسألنى أسئلة محددة.. أى أسلحة الجيش معكم؟ وما مدى قوتكم؟ وكم عدد الضباط الذين يمكن أن تعتمد عليهم للقيام بهذه الثورة؟

وأجبته.. وفجأة طلب منى أن ننسق العمل معاً.. قلت له:

- لقد صارحتك بكل شىء.. وأحب أن أقول لك بنفس الصراحة.. نحن تنظيم لا يخضع ولا يعمل لحساب أى حزب أو هيئة وإنما لمصلحة مصر ككل.. وأرجو أن يكون ذلك واضحاً منذ البداية..

وأمن الرجل على كلامى وقال:

- يكفى فقط أن نتعاون..

ولم يمض بعد ذلك وقت طويل حتى كان قد جند لحساب الإخوان عبدالمنعم عبدالرؤوف الرجل الثانى بعدى فى تنظيم الضباط الأحرار.

●●●

وعن دور الشيخ حسن البنا فى تعريف السادات بالفريق عزيز المصرى، يقول أنور السادات:

«كنت مفتوناً بشخصية عزيز المصرى منذ لقائنا فى منقباد وكان معروفاً عنه أنه يكره الإنجليز حتى أن سير مايلز لامبسون السفير البريطانى فى ذلك الوقت طلب من على ماهر إقالته من منصبه بالجيش، ولكن على ماهر اكتفى بإعطائه إجازة مفتوحة..

كنا بحاجة إلى الإفادة من خبرات هذا المحارب العظيم وارشاداته..

هكذا أحسست، فطلبت من الشيخ حسن البنا أن يجمعنى به وكان ذلك فى سنة ١٩٤٠ وهى نفس السنة التى التقيت فيها بالشيخ البنا..

واستجاب الرجل على الفور.. فطلب منى أن أتوجه إلى عيادة الدكتور إبراهيم حسن بالسيدة زينب.. وكان فى ذلك الوقت وكيل الإخوان.. وأحجز تذكرة كأى مريض عادى ثم

أدخل للكشف وبعد ذلك يقوم الدكتور حسن بالمطلوب.. وفعلاً بمجرد أن دخلت على الدكتور حسن وقدمت التذكرة.. فتح باب حجرة مكتبه وهناك وجدت عزيز باشا فى انتظارى..

حييته وذكرته بلقائنا فى منقباد ثم بدأت أتكلم فى شئون البلد وأحوال الإنجليز وأحوالنا.. لن أنسى أبداً هذا اللقاء الأول مع عزيز المصرى.. كان متردداً فى التحدث معى.. وصارحنى بأنه متشكك فى أمرى.. وأنى ربما كنت أحدرجال المخابرات أو أى شىء من هذا القبيل.. قلت له.. لو كان الأمر كذلك لالتقيت بك مباشرة ولكنى كما ترى أتيت إليك عن طريق الشيخ حسن البنا وأظنك تثق به.

فلما اطمأن سألنى: ما سبب مجيئك وماذا تريد منى؟

قلت: نحن ضباط فى مرحلة تنظيم يهدف إلى طرد الإنجليز من مصر وتغيير الأوضاع فى مصر.. وباعتبارك شخصية عسكرية كبيرة نتطلع إليها جميعاً.. نرجو أن تسمح لنا بأن نرجع إليك من آن لآخر لكى ترشدنا وتفيدنا بخبرتك وتجاربك..

قال: أول درس أقوله لكم.. اعتمدوا على أنفسكم.. ولا تنتظروا أى رائد.. المبادرة يجب أن تأتى منكم أنتم.. نابليون وصل لرتبة جنرال وكان زعيماً وعمره سبعاً وعشرون سنة.. كم سنك أنت؟

قلت ٢٢ سنة.

قال: عال.. تعاونوا مع بعضكم البعض.. وهذا يكفى..

ثم أخذ يشكو لى من البلد وأنه قد احتك بأناس كثيرين للقيام بأعمال من هذا القبيل ولكن كانوا كلهم نصابين وانتهى الأمر كل مرة إلى لا شىء..

قلت له إننا جادون وإنه سيرى ذلك بنفسه عندما يسمح لنا بمداومة الاتصال به للمشورة وتبادل الرأى..

قال: عظيم.. أول شىء كما قلت.. لابد أن تعتمدوا على أنفسكم.. ثانى شىء الثقافة.. لابد أن تثقفوا أنفسكم.. والثقافة ليست بالشهادات.. الثقافة بالقراءة.. اقرأوا فى كل الاتجاهات وفى كل المجالات.. الشىء الثالث الذى أوصيكم به هو أن تجعلوا تنظيمكم محكماً بحيث لا يتسرب إليه أى غريب أو تنال منه أية دسيسة.. لقد عانيت الكثير فى حياتى من الخيانات والغدر..

ثم التفت إلى وسألنى فجأة:

ما هى علاقتكم بالإخوان المسلمين؟

قلت: لقد صارحت الشيخ البنا منذ البداية أننا نعمل من أجل مصر لا من أجل أى حزب أو كتلة..

قال: رائع!.. هذه هى نقطة البدء.. سليم».

ويختتم أنور السادات حديثه عن عزيز المصرى وحسن البنا فى مطلع كتابه: «البحث عن الذات» قائلاً:

●●●

«فى نهاية اللقاء اتفقنا كيف نتقابل وأين.. كان بيته فى عين شمس ولكنه كان مراقباً من المخابرات المصرية والبريطانية.. قلت إنه يمكننا التغلب على هذا.. فمعنا فى التنظيم بعض ضباط الشرطة وفعلاً كنت أذهب لزيارته فى بيته وأحياناً كنا نلتقى فى جروبى.. وفى مرحلة من المراحل كان يسكن فى بنسيون وسط البلد اسمه الفينواز.. وكنت ألتقى به هناك أيضاً.

وهكذا استمرت اتصالاتى بعزيز باشا المصرى.. كما لم تنقطع صلتى بالشيخ حسن البنا.. وفى هذه الأثناء كنت أوسع دائرة الضباط الأحرار يوماً بعد يوم..».

●●●

وعندما يقارن القارئ العزيز بين هذه الرواية فى «البحث عن الذات» ورواية السادات فى مقاله فى «الجمهورية» سيجد اختلافات عديدة، ولكن الروايتين لا تخفيان إعجابه بالشيخ حسن البنا.. كما أنه تحدث فى الرواية الأولى بتحفظ شديد عن دوره فى تنظيم الضباط، ولكنه عاد فى الرواية الثانية،

ليؤكد بوضوح أنه بدأ هذا التنظيم.. كما أنه فى الرواية الأولى ذكر أنه قدم عبدالمنعم عبدالرؤوف إلى الشيخ حسن البنا، وأصبح عبدالمنعم عبدالرؤوف هو رجل الإخوان فى الجيش، الذى يجند الضباط ويتعاون فى هذا مع الضابط محمود لبيب.. الذى كان رئيس الفرع العسكرى للإخوان.. أما فى الرواية الثانية فلم يذكر السادات أنه هو الذى قدم عبدالمنعم عبدالرؤوف إلى الشيخ حسن البنا.

●●●

وفى موقع آخر من كتاب «البحث عن الذات» يصف أنور السادات، عبدالمنعم عبدالرؤوف بأنه كان الرجل الثانى بعده فى التنظيم عندما قبض عليه فى صيف ١٩٤٢، وأنه ظل، أى عبدالمنعم عبدالرؤوف، على اتصال بالشيخ حسن البنا «رائد الإخوان المسلمين» والذى كان على اتفاق تام معى فى أن تنظيم الضباط الأحرار يجب أن لا يخضع لأية هيئة أو لأى تنظيم حزبى، لأن الهدف منه هو خدمة مصر بأجمعها لا فئة معينة..».

ولا تتيح صياغة هذه العبارة كما وردت فى كتاب «البحث عن الذات»، معرفة من الذى كان على اتفاق تام مع أنور السادات على عدم خضوع الضباط الأحرار لأية هيئة أو لأى تنظيم حزبى؟.. هل هو عبدالمنعم عبدالرؤوف.. أم حسن البنا..؟!

●●●

وينبغى هنا أن نورد عدة ملاحظات على هذه الرواية فى «البحث عن الذات».. أولها أن تعبير تنظيم الضباط الأحرار لم يعرف أو يستخدم إلا بعد عودة الضباط من حرب فلسطين فى نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات.. كما ذكر أنور السادات فى روايته الأولى على صفحات «الجمهورية»، وذلك عندما استقر الرأى على اتخاذ هذا الاسم، وصدرت به المنشورات.. كما يقول أنور السادات نفسه فى مقاله المنشور بـ «الجمهورية» فى يوم ٣٠ مارس ١٩٥٤.. بينما السادات يتحدث فى «البحث عن الذات» وكأن هذا الاسم ظهر منذ عام ١٩٤٢ ولم يكن هذا التنظيم قد وجد بعد.. طبقاً لروايته فى «الجمهورية».. وثانيها أنه يتحدث عن عبدالمنعم عبدالرؤوف فى مقالاته فى «الجمهورية» واصفا دوره فى تجنيد الضباط للانضمام إلى الإخوان المسلمين إلى الحد الذى دفعه إلى محاولة تجنيد جمال عبدالناصر نفسه.. والذى رفض الانضمام إلى هذه الجماعة كما يقول أنور السادات، وإن كان قد وافق على وجود صلات بين الضباط وبينها.. وهذا كله جاء على لسان أنور السادات فى مقالاته فى «الجمهورية».

●●●

والمراجع لمقالات السادات فى «الجمهورية» وروايته فى «البحث عن الذات» ، يجد اختلافا واضحا فى كثير من النقاط.. فالسادات يروى فى مقالاته كيف نبتت بذرة الضباط الأحرار فى منقباد.. ويصف جمال عبدالناصر بأنه هو الذى جمع حوله الضباط بشخصيته وقدرته على جمع الضباط حوله.. ولكنه يعود ليقول إن عبدالناصر بعد أن نقل إلى السودان، ثم عاد فى أواخر ١٩٤٢، كان عبدالمنعم عبدالرؤوف هو الذى ضمه إلى التنظيم.. ثم أزاح عبدالناصر، عبدالرؤوف وتولى قيادة التنظيم..

وطبعاً لم يذكر السادات شيئاً من هذا فى مقالاته فى «الجمهورية».. وما كان ممكنا أن يروى شيئاً من هذا فى وجود عبدالناصر.. أما بعد وفاته.. فالأمر مختلف.. وقد اختلف كثيراً بطبيعة الحال..!!!

●●●

ولا يخفى السادات مع إعجابه بحسن البنا، تقديره له أيضاً.. ويذكر أن «الشيخ حسن البنا مرشد الإخوان المسلمين اتصل بشقيقه طلعت ـ خلال فترة سجنه فى قضية اغتيال أمين عثمان ـ وأخبره أن الجمعية قد خصصت عشرة جنيهات لأسرته».. ويقول السادات ما معناه إن هذه الجنيهات جاءت

فى وقـتـهـا: «فى وقت كـان شـقـيـقى طلعت لا يجـد ثمن إفطارى....».

●●●

ومن ناحية أخرى فإن السادات يذكر صراحة أن الذى حدد نوع العلاقة مع الإخوان المسلمين هو جمال عبدالناصر.. حيث اتخـذت جـمـاعـة الضـبـاط عـقب حـادث ٤ فـبـراير قـراراً باستقلال خطواتهم داخل الجيش عن كل مؤثر خارجى، وعن كل قيادة خارجية.

وقال جمال عبدالناصر: «يجب ألا نكون آلات أو أدوات فى يد أحد من الناس أو جماعة من الجماعات، مهما كانت وحدة أهدافنا، ومهما كانت درجة إخلاصهم».

●●●

وعندما تناول أنور السـادات فى مقالاته «قصة الثورة مع الإخـوان المسلمـين».. لم يشـر إلى التـاريخ الإرهابى للتنظيم السـرى للإخـوان والذى أدى فى النهـاية إلى اغـتـيال المرحـوم حسن البنا نفسه انتقاماً لاغتيال الإخوان لرئيس وزراء مصر محمود فهمى النقراشى باشا..

إذ لا يتـحـدث السـادات عن هذا التـنظيم السـرى للإخـوان المسلمـين، أو «التنظيم الخـاص».. والذى أفلت عيـاره تمـامـاً..

وأصبح القوة الرئيسية التى لا سيطرة عليها لغير رئيس الجهاز عبدالرحمن السندى..

وقد تصاعدت أعمال هذا التنظيم منذ اغتيال المرحوم أحمد ماهر باشا رئيس وزراء مصر ورئيس الحزب السعدى فى ٢٤ فبراير عام ١٩٤٥ فى البهو الفرعونى بالبرلمان.. وقام بالاغتيال شاب عرف بانتمائه إلى الحزب الوطنى هو محمود العيسوى.. ولكن انتماءه للإخوان أيضاً كان موضع شك.. ودار جدل كبير حول الاغتيال، وهل نفذ بفكر الإخوان، ويد أحد المنتمين إلى حزب آخر، وهو ما كان شائعا فى ذلك الوقت، من تأثر أعضاء فى أحزاب وهيئات عديدة بفكر الإخوان.. أم أن الإخوان، كانوا بعيدين عن هذا الاغتيال..؟

●●●

على أى حال تتابعت أحداث الإرهاب والاغتيال وكانت خلالها محطات لا يمكن إغفالها.. فى مقدمتها اغتيال المستشار أحمد الخازندار فى ٢٢ مارس ١٩٤٨، وكان التبرير أنه أصدر أحكاما قاسية ضد بعض شباب الإخوان..

وكان عام ١٩٤٨.. وهو العام الذى شهد فى نهايته حل جماعة الإخوان المسلمين هو ذروة فى أحداث الإرهاب والاغتيالات.. فقد شهدت القاهرة تفجيرات عديدة معظمها

يرتبط بممتلكات لليهود فى مصر وكان آخرها فى ذلك العام نسف مبنى شركة الإعلانات الشرقية فى ٢٢ نوفمبر ١٩٤٨.. وهذه الشركة هى الآن شركة الطباعة لمؤسسة دار التحرير للطبع والنشر..

● ● ●

غير أن القشة التى قصمت ظهر البعير كما يقول المثل، كانت اغتيال الإخوان لحكمدار القاهرة اللواء سليم زكى فى ٤ ديسمبر ١٩٤٨، وقد تم الاغتيال بإلقاء قنبلة عليه من فوق سطح كلية طب قصر العينى بالقاهرة.

وبعد هذا بأربعة أيام فقط، وفى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ أصدر محمود فهمى النقراشى باشا رئيس الوزراء ووزير الداخلية قراره بحل جماعة الإخوان المسلمين، بعد عشرين عاماً من إنشاء حسن البنا لها فى عام ١٩٢٨.. وكان هذا هو الحل الأول لها.. إذ إن الجمعية عادت بعد ذلك فى عام ١٩٥١ بحكم للقضاء.. ولكن حل الجمعية فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨، تبعه انتقام الجهاز السرى للإخوان من النقراشى باشا رحمه الله، إذ تنكر أحد أبناء الإخوان فى زى ضابط شرطة وانتظر النقراشى باشا على باب المصعد فى مبنى وزارته الداخلية ليفرغ فيه رصاصات مسدسه.

وكان وقع الحادث أليماً على الجميع، حتى أن الشيخ حسن البنا نفسه قد تبرأ من الحادث ومرتكبيه وأصدر بيانه المشهور: «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين»..

●●●

ولكن الأمور لم تتوقف عند هذا الحد.. فما أن جاء إبراهيم عبدالهادى باشا رئيسا للوزراء خلفا للنقراشى باشا، حتى تصاعدت الحرب بين الطرفين.. الحكومة والجماعة المنحلة وتنظيمها السرى.. وواصل الإخوان عمليات النسف والإرهاب فحاولوا فى ١٣ يناير ١٩٤٩ نسف محكمة الاستئناف، التى كانت تضم أوراقا مهمة تدينهم، وتم نقلها إليها بعد ضبطها فى إحدى عمليات الحرب بين الحكومة والإخوان.. التى تصاعدت حتى تم تآمر السلطة على قتل الشيخ حسن البنا أثناء تردده على مبنى الشبان المسلمين فى شارع رمسيس بالقاهرة، وكان فى ذلك الوقت يسمى شارع الملكة نازلى وأطلق عليه عدد من المخبرين النار فى ١٢ فبراير ١٩٤٩.. وحدث تباطؤ متعمد فى إنقاذه وترك ينزف حتى توفى رحمه الله.

●●●

واستعادت جماعة الإخوان المسلمين وضعها القانونى بحكم

قـضـائى فى عـام ١٩٥١ ألغى قـرار الحل الصـادر فى عـام ١٩٤٨..

ويروى د. عبدالعظيم رمضان فى كتابه: «قضايا فى تاريخ مصر المعاصر» بداية الصدام المبكر بين الثورة والإخوان عندما قرر مجلس قيادة الثورة دعوة الإخوان المسلمين للاشتراك فى الوزارة الجديدة برئاسة محمد نجيب فى سبتمبر ١٩٥٢، ولكن العلاقات بين الثورة والإخوان كانت فى ذلك الحين تمر بأزمة دفعت مكتب الارشاد إلى رفض هذا الاشتراك».

وكانت أحد مظاهر الأزمة، بلا شك تأخر الإخوان فى إعلان تأييدهم للثورة حتى ٢٨ يوليو ١٩٥٢ ببيان لم يكن يرضى الثورة تماماً..

●●●

وحول رفض مكتب الارشاد دعوة مجلس الثورة للمشاركة فى الوزارة يقول د. عبدالعظيم رمضان فى كتابه «قضايا فى تاريخ مصر المعاصر»:

«كان السبب فى رفض مكتب الارشاد الاشتراك فى وزارة محمد نجيب هو خشيته من أن يتحمل الإخوان - كجماعة - مسئولية سياسة لا يشاركون فى صنعها، وفى الوقت نفسه إعطاء الثورة لوناً يعزز مكانتها بين الجماهير الإسلامية،

ويمنحها ولاء الإخوان فى كل مكان، ومن هنا كان حرص الإخوان على حرمان الثورة من لون يعتقدون أنها فى حاجة إليه، ولا يفيدهم منحها إياه.

وعلى هذا النحو، عندما قبل الشيخ الباقورى الاشتراك فى الوزارة، لم يتردد مكتب الارشاد فى فصله من الجماعة، مما كان نذيراً بالصدام بين الإخوان والثورة، على الرغم من امتناع مكتب الارشاد عن الهجوم على الثورة»..

●●●

ولا شك أن الثورة جاملت الإخوان فى بداية الأمر، ربما بحكم «الصلات» التى كانت بين بعض الضباط والإخون فى مرحلة التحضير للثورة..

وعندما حلت الأحزاب فى ٥ يناير ١٩٥٣ استثنى الإخوان من الحل، رغم أنهم كانوا منغمسين فى السياسة إلى «أذقانهم»..

ولكن الخلافات استمرت مع الإخوان وتصاعدت وامتد الخلاف أيضاً حول اتفاق الثورة مع بريطانيا على الجلاء عن مصر وتوقيع اتفاقية الجلاء.. ثم كانت القمة فى ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ مع محاولة اغتيال جمال عبدالناصر أثناء خطابه فى ميدان المنشية بالإسكندرية.. وقد تم على أثر هذا حل جماعة

الإخوان وبدأ مسلسل محاكمات الإخوان.. وكرت حبات المسبحة.. بعد ذلك.. ما بين جزر ومد ثم جزر مستمر حتى الآن..

●●●

ويتناول الفصل الأول من هذا الكتاب قصة أول لقاء بين أنور السادات والشيخ حسن البنا، والذى تم فى ثكنات سلاح الإشارة بالمعادى، حيث كان أنور السادات قد نقل إليه حديثاً من منقباد.. وكان ذلك فى عام ١٩٤٠، فى ليلة الاحتفال بالمولد النبوى الشريف.. وجاء الشيخ حسن البنا بصحبة أحد أفراد الجيش، الذى عرض على السادات أن يقدم له ضيفا يريد أن يتحدث حديثاً دينياً فى هذه المناسبة الكريمة.

وكان اللقاء، الذى يصفه أنور السادات حديث المبهور بشخصية البنا.. كما نقرأ فى كلمات السادات.. ثم تتكرر اللقاءات ويتطور الحديث إلى رغبة السادات فى لقاء الفريق عزيز باشا المصرى، حيث يعرض عليه حسن البنا أن يرتب له هذا اللقاء.

●●●

وفى الفصل الثانى ننتقل إلى اللقاء بين عزيز المصرى وأنور السادات، والذى جرى فى عيادة الدكتور إبراهيم حسن

وكيل الإخوان.. وفيه دفع عزيز المصرى شباب الضباط إلى تغيير خططهم.. وطلب إليهم مباشرة أن يقوموا بانقلاب يغير من كل شىء.. وأبدى استعداده لكى يكون على رأسهم، حتى ولو كانوا خمسة أفراد فقط.. لكى يخلص البلاد مما هى فيه.. وبعدها ذهب السادات للقاء حسن البنا، حيث كان واضحا أن كل ما دار فى اللقاء قد وصل إليه.. وحاول البنا أن يعرف من السادات شيئا عن التنظيم الذى يضمه، أو عن الضباط الذين يعملون معه.. ولكن السادات لم يبح له بأكثر من أنهم يعدون العدة لعمل كبير.. وأنهم يؤمنون بما قاله عزيز المصرى.. وأن البلد لن تتخلص من الاستعمار إلا بانقلاب عسكرى.. وروى السادات له الخطة الأولى فى ذلك الوقت التى كانت تعتمد على أن الإنجليز يعانون شبح الهزيمة فى الصحراء الغربية.. وأنهم بدأوا ينسحبون فى سرعة مخيفة.. وهذه هى الفرصة لكى يضرب الضباط ضربتهم لإقامة حكومة عسكرية تحارب الإنجليز إلى جوار المحور..!!

●●●

فى الفصل الثالث من الكتاب نرى حسن البنا يواصل نقاشه مع أنور السادات، فيما بدا أنه محاولة لضمه إلى تنظيم الإخوان مع باقى إخوانه فى التشكيل.. ويمكن أن نقول إن هذا النقاش وضع أساس مرحلة من التعاون بين تشكيل

الضباط وجماعة الإخوان.. فحسن البنا أدرك أن السادات ومن معه لا يودون الانخراط فى أى تشكيل خارج الجيش، كأفراد أو جماعات.. وهنا قال حسن البنا، كما يقول أنور السادات:

«من الخير إذن لنجاحنا ونجاحكم أن نتشاور وأن نتكلم معاً فى كل شىء.. كما أننا على استعداد لكى نعاونكم عندما تطلبون ذلك إلينا»..

وقد بدأ بالفعل نوع من التعاون.. وكان أنور السادات حتى ذلك الوقت هو الصلة فى هذا التعاون.. وقد جعله قربه من البنا أن يكتشف أن حسن البنا هو «وحده الذى يعد العدة لحركة الإخوان ويرسم لها سياستها ثم يحتفظ بها لنفسه.. وأن أقرب المقربين إليه لم يكن يعرف من خططه شيئاً، ولا من أهدافه شيئاً..»..

وكان حسن البنا يجمع السلاح.. ويخفيه عن الإخوان.. ويقول السادات إنه فرح بذلك لأنه عندما يأتى اليوم الذى يضربون فيه ضربتهم كعسكريين، سيجدون قوة شعبية مسلحة ومدربة تقف خلفهم فى الصف الثانى..

●●●

فى الفصل الرابع من الكتاب يستعرض أنور السادت رد فعل حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ على تشكيل الضباط، حيث تغير

تفكيرهم إلى الاعتماد على أنفسهم فقط فى توجيه ضربة محكمة دامية للإنجليز.. والمهم كما يقول أنور السادات أن «تنأى خطتهم عن أى صلة بالإخوان المسلمين».. وأن الموعد لم يعد مهما، بقدر ضرورة توسيع تنظيم الضباط الداخلى فى الجيش، وتكتيل قوتهم فى كل الأسلحة وإعداد التشكيل لكل ما تستلزمه «ضربة عسكرية محكمة دامية»!!

●●●

ويروى أنور السادات فى هذا الفصل طرفا من اتصالاته مع حسن البنا، ويبدو أنها كانت سابقة على حادث ٤ فبراير ١٩٤٢.. وقد ذهب السادات ليقضى إليه بخطة إبادة الجنود الإنجليز أثناء عودتهم من العلمين.. ولكن حسن البنا استمع جيداً وتكلم كثيراً.. ومع ذلك لم يخرج أنور السادات من حديثه بما يفيد هل وعد بشىء؟ هل احتضن خطة؟ هل سيقوم بتنفيذ نصيب الإخوان منها؟

●●●

كان أنور السادات هو حتى تلك اللحظة الصلة بين الضباط والإخوان ممثلين فى الشيخ حسن البنا فقط.. وكان متفقا على ذلك بينه وبين الضباط وبين السادات ليكون هو الوحيد المعروف من التشكيل لمرشد الإخوان..

ولكن حسن البنا ظل يلح على السادات لكى يرشح له اسما آخر من أسماء زملائه لكى تتواصل الصلة بين الإخوان والتشكيل إذا ما حدث أى شىء يعوق السادات عن مواصلة الاتصال..

وفى حرج بالغ اضطر السادات أن يخضع لإلحاح حسن البنا ويرشح له اسم ضابط آخر، هو عبدالمنعم عبدالرؤوف، الذى يوضح السادات فيما بعد أنه انصرف انصرافا كليا إلى الإخوان.

●●●

فى الفصل الخامس من الكتاب نرى كيف أراد المرحوم الشيخ حسن البنا أن يتصل بالملك لعله يوقف ما كان يلوح فى الأفق من صدام مرتقب مع جماعة الإخوان المسلمين.. بعد أن بدا أن الشيخ حسن البنا «قد أصبح قوة رهيبة يخشاها الملك ويعلن مخاوفه منها..».. ولذلك أراد حسن البنا أن «يصنع لنفسه سياسة جديدة يضمن بها القفز بحركة الإخوان المسلمين فى جو آمن من مقاومة القصر وغدره..»..

●●●

كان حسن البنا يعلم عن صلة أنور السادات بالدكتور يوسف رشاد.. طبيب الملك الخاص، وهى صلة ذكر السادات

فى كتابه «البحث عن الذات» كيف نشأت بينه وبين يوسف رشاد، وكيف استفاد منها لصالح التنظيم.. فكان يحصل من خلاله على أخبار الملك، ويسرب إليه أنباء يريد التنظيم أن تصل إليه، أو يضلل الملك بمعلومات غير صحيحة عن التنظيم لإبعاد الشبهات عن أعضائه.. وقد التقى به السادات لأول مرة فى منطقة اسمها الجراولة أبعد إليها السادات خلال الحرب العالمية الثانية.. وقال أنور السادات عنه إنه «لعب دورا مرموقا دون أن يدرى، فى مسيرة ثورتنا، نتيجة للصداقة التى نشأت بيننا»..

وقد أراد حسن البنا من السادات أن يستغل هذه الصلة ليرتب د. يوسف رشاد لقاء له مع الملك وهو كفيل بإقناعه بحسن نواياه.. لكن المحاولة التى تكررت مرة بعد مرة لم تفلح ولم يقابل البنا، الملك فاروق، عن طريق يوسف رشاد، وإن كان فيما يبدو، وكما ذكر السادات، قد نجح فى إيصال رسالة إليه عن غير طريق يوسف رشاد، جعلت الملك فى آخر أيامه يعترف بأنه أخطأ فى سياسته مع الإخوان.. وأنه يجدر به أن يعود لسياسته القديمة..

●●●

فى الفصل السادس نرى كيف تغلغل الإخوان المسلمون فى صفوف الجيش حيث نشطت الجماعة فى ذلك نشاطا كبيرا

بين عامى ١٩٤٤ ، ١٩٤٥، ويروى السادات أن «عدداً من الضباط كانوا قد ألفوا دعوة الإخوان وأحبوها.. ورأوا فيها أملاً ومخرجا لمصر من محنتها..».. ويقول أيضاً «إن كثرة الضباط كانت ترى أن يقوم التعاون دون الانضمام..»..

ولكن الإخوان المسلمين وقعوا مع الضباط فى أخطاء كثيرة أهمها أنهم لم يفرقوا بين معاملتهم للضباط وبين المدنيين، فقد أرادوا أن يبدأ بتدريب الجميع معاً على السلاح، كأنهم مبتدئين لا يعرفون استخدامه.. كذلك أخفوا عنهم أى خطط وتركوهم عامين لا يعرفون ماذا سيفعلون، مما دفع هؤلاء الضباط إلى اللجوء إلى الفريق عزيز المصرى يشكون إليه جمود الإخوان المسلمين.. فنصحهم بالقراءة.. واستمع الضباط إلى آراء عزيز المصرى.. وأخذوا بنصيحته.. وأخذوا يقرأون.. وكان منهم بعد ذلك كما يقول أنور السادات «عدد يفخر بهم جيش مصر.. لأنهم استطاعوا أن يجمعوا بين روحانية الدين وبين ضوء العلم وحقائق الحياة المادية التى خلقنا لكى نعيش فيها.. وكل هؤلاء قد انضموا إلى (الأحرار) بمجرد تكوينهم..»..

●●●

فى الفصل السابع يعيد أنور السادات الحديث عن المبادئ التى اتخذها جمال عبدالناصر بشأن الارتباط بأى جماعة أو

حزب آخر.. فقد كانت تقاليد جماعة الضباط أن تظل قائمة بنفسها عاملة بإرادتها محددة لخطواتها.. وفى كلمتين اثنتين: «ألا نكون آلة ولا أداة فى أى يد»..

ومن هنا عندما طلب عبدالمنعم عبدالرؤوف إلى عبدالناصر أن تقوم بينه وبين جماعته صلة مع الإخوان، فإن عبدالناصر رحب بقيام هذه الصلة، على أن تظل لجماعته شخصيتها المستقلة وتفكيرها الخاص».. وكان لابد من احترام مبدأ «احتفاظ ضباط الجيش باستقلال تفكيرهم، فلا يرتبطون كأفراد أو كجماعات، بأية هيئة أو حزب خارج نطاق الجيش، لأن الجيش عنصر خطير، يجب أن يظل توجيهه فى الأيدى القادرة على تقدير خطره، فلا يكون أداه فى يد أحد أو جماعة من الناس»..

ويذكر أنور السادات بأحداث الجامعة التى وقعت فى فبراير ١٩٤٦.. «والتى هادن فيها الإخوان حكومة إسماعيل صدقى.. حيث وضح التناقض بين ضباط الجيش الذين كانوا كأفراد على صلة بالإخوان المسلمين، وبين جماعة الإخوان المسلمين كجماعة لها سياستها والتى أوحت لها فى ظرف من الظروف أن تهادن حكومة صدقى، ضد حركة الشعب..»..

●●●

فى الفصل الثامن من هذا الكتاب حديث عن الإخوان وحرب فلسطين، وكانت جماعة الإخوان كما يقول أنور السادات «هى أكثر الجماعات فى ذلك الوقت تحمسا للتطوع والقتال».. «كما أن مجموعة الضباط كانت ترى واجبها تدريب الشبان الذين يتطوعون للقتال والتطوع معهم لقيادتهم خلال المعركة»..

●●●

وشهدت هذه الفترة أول اجتماع يعقد بين جمال عبدالناصر وحسن البنا كما يقول أنور السادات، وكان الاجتماع فى بيت المرحوم حسن البنا، وشهده كمال الدين حسين وبعض الضباط المنتمين للإخوان.. وكان الهدف تكوين تنظيمات وتشكيلات مسلحة وتدريبها وتسليحها لخوض غمار الحرب المقدسة.

ثم كان ما كان من أحداث حرب فلسطين التى نعرفها جميعا.. لتعود بعدها القوات ثائرة، وتكون هذه الحرب كما قال أنور السادات «حجر الزاوية فى تهيئة الجو لنجاح الثورة»..

●●●

وفى الفصل التاسع تعرض عبدالناصر بعد عودته من الفالوجة إلى الاعتقال وجرى التحقيق معه فى مكتب إبراهيم

عبدالهادى رئيس الوزراء.. وكانت التهمة هى التعاون مع الإخوان المسلمين.. لقيامه بتدريب شباب الإخوان على حمل السلاح أثناء الحرب وقبيل قيامها..

ولكن عبدالهادى تريث فى إصدار أوامره باستمرار اعتقال عبدالناصر.. بعد أن أدرك أن «لهذا الضابط شخصية معينة بين ضباط الجيش وأن له كيانا خاصا فى صفوفهم، فخشى أن يعتقله فتكون القشة التى تقصم ظهره، وظهر العهد من بعده..»!!

وفى الأيام التى تلت ذلك فرغ تنظيم الضباط من وضع أساس التنظيم بالكامل وتمت لأول مرة تسميته بـ «الضباط الأحرار»..

●●●

وفى الفصل العاشر من الكتاب نصل إلى تحديد موعد قيام الثورة.. وقرار الضباط بأن ينفرد الجيش بها..

فعندما اجتماع الضباط بعد حادث حريق القاهرة ليحددوا موعدا مبدئيا لحركتهم، شهر مارس ١٩٥٢ أى بعد أيام قليلة من اجتماعهم، «راعوا فى خطتهم الأساس الأول الذى اتفقوا عليه من بدء التدابير الأولى للحركة، وهو أن ينفرد الجيش بهذه الحركة انفرادا كاملا، دون الاعتماد على أية هيئة أو

جماعة أو حزب، فقد كانت اتصالات جمال عبدالناصر، المتعددة، مع جميع الهيئات قد أثبتت لنا بصورة قاطعة، أنه لا توجد هيئة واحدة على استعداد للقيام بأى عمل جدى إلى جانبنا».. «وأنها غير جديرة بالثورة ولا مستعدة لعمل شىء».. ثم قامت الثورة.. فى يوليو ١٩٥٢.. دون أن يكون لأى هيئة أو جماعة دخل أو مشاركة فيها كما قال أنور السادات..!!

●●●

وفى ملاحق الكتاب بعد ذلك احدى عشر مقالا بقلم أنور السادات نشرها على صفحات «الجمهورية».. رأينا أن نقدمها لمن يريد أن يعود إلى أصول ما أشرنا إليه منها فى هذا الكتاب..

●●●

وبعد.. هذا هو الكتاب الستون من هذه السلسلة «تراث الجمهورية».. نختتم به العام الخامس من صدورها..

نرجو أن يلقى رضاء القارئ الكريم

ونلتقى بإذن الله فى كتاب جديد

مع شهر جديد

صلاح عطية

salahattia@hotmail.com

القاهرة : ديسمبر ٢٠١٠

الفصل الأول

١٩٤٠.. بداية القصة

بدأ أنور السادات فى رواية «قصة الثورة مع الإخوان المسلمين» فى العدد الأول من «الجمهورية» فى ٧ ديسمبر ١٩٥٣.. فى ذلك العدد بدأ أنور السادات سلسلة من مقالاته تحت عنوان «صفحات مجهولة من كتاب الثورة»، واستمرت حتى نهاية عام ١٩٥٣ إمتدت حتى مايو ١٩٥٤.

فى ذلك الوقت كانت ثورة يوليو مازالت بعد فى بدايتها.. لم يمض غير سنة وخمسة أشهر.. ولم يكن بعد الكثير من أسرارها قد عرف.. كما أن الكثير من الصراعات بين قادتها.. وبعضهم البعض.. وبينها وبين الكثير من القوى فى مصر.. كان قد بدأ يظهر إلى السطح.. حتى قدر له أن ينفجر بعد ذلك فى أحداث شتى.

وكانت الناس تتساءل عمن كان يقف وراء هذه الثورة.. وكثر المدعون الذين يحاول كل منهم أن يدعى لنفسه الفضل.. أو التدبير.. أو المساندة.. وكثرت التخمينات والاستنتاجات وتركزت فى معظمها حول «الإخوان المسلمين» و«حزب الوفد»، وساعدت الظروف والأحداث على تأكيد أو نفى هذه الصلات.. كما أن كلا من هذين التنظيمين لم يقصر فى أن ينسب إلى نفسه هذه الثورة. والوقوف وراء نشوبها.

●●●

وفى مقاله الأول، فى أول عدد صدر من «الجمهورية» فى يوم الاثنين ٧ ديسمبر ١٩٥٣ يشير أنور السادات إلى هذا بقوله:

«كان الناس يريدون أن يعرفوا من أمر هذه الثورة ومن أمر الرجال الذين

يقودونها كل شئ، كانوا يريدون أن يعرفوا من نحن وأين كنا وكيف إجتمعنا ومتى إجتمعنا وكيف أعددنا خطتنا وماهى تفاصيل هذه الخطة وكيف نفذناها وماذا ننوى.. وهل لدينا مشروعات معدة وماذا يدور فى رءوسنا وماذا سوف نصنع.. وكيف نجحنا..!!

هل من ورائنا قوة معينة.. وما هى هذه القوة..؟

هل فى صدورنا إتجاه معين.. وما هو هذا الإتجاه..؟

أسئلة كثيرة كانت تدور برءوس المصريين جميعا ولم يكونوا يجدون لها جوابا منا.. ولكن.. كانت الإشاعات تجيب..! وإنطلقت أول إشاعة تقول إن هذه الثورة ثورة إخوانية يقودها ويوجهها من وراء الستار الإخوان المسلمون.

وكانت هذ الإشاعة تطوف بالناس وبين يديها دليل يؤكد صدقها.. فقد كان أول إجراء إتخذته الثورة كجزء من برنامجها الضخم فى إزالة آثار الماضى البغيض ومحاسبة المسئولين عنه بالحق والعدل، هو الأمر الذى صدر بإعادة التحقيق فى قضية مقتل المرحوم حسن البنا مرشد الإخوان المسلمين.. ولم يقل الناس أن هذا مصرى قد قتل بليل وأحاطت بالتحقيق فى مقتله ظروف مريبة وإتخذت فيه إجراءات شاذة.. ثم طوى على سر دفين وقاتل مجهول.. لم يقل الناس هذا ولم يقولوا إن من حقهم كمصريين أن يعاد التحقيق فى هذه الجريمة المنكرة وأن يؤخذ جناتها بالقصاص..ولكن قالوا إن خلف الثورة.. جماعة الإخوان المسلمين..

وبدأ بعد ذلك تساؤل كثير..

إن كانت هناك صلة بين هذه الثورة وبين الإخوان المسلمين.. فمتى بدأت!

وإلى أى مدى وصلت؟

وماذا كانت أهدافها؟

وماذا أنتجت؟



مجلس قيادة الثورة فى بداية الثورة وقبل عزل محمد نجيب.. يلاحظ أن النتيجة المعلقة على الحائط كانت ماتزال تحمل صورة الملك فاروق

وهل إستمرت أم إنقطعت؟

وفى جملة واحدة:

ما هى قصة الثورة مع الإخوان المسلمين»؟

● ● ●

ويحدد أنور السادات فى نفس المقال بداية صلة الثورة مع الإخوان عام ١٩٤٠ فيقول:

«سؤال واحد يعود بالذاكرة إلى إثنى عشر عاما قبل ظهور هذه الثورة.. إلى عام ١٩٤٠ عندما بدأت قصتنا مع الإخوان.

وهذه القصة لا يعرفها المصريون، ولا يعرفها جمهرة الإخوان، ولا يعرفها العدد الأكبر من رجال قيادة الإخوان، وكل ما يعرفه المصريون هو ماذاع من إشاعات بعد ذلك بأيام».

ويضيف أنور السادات، مشيرا إلى قصة الثورة مع الوفد قائلا أيضا فى نفس المقال:

«ومع ذلك.. فليس هذا هو كل ما لابس هذه الثورة من مظاهر ومن إشاعات.ومن محاولات..

فقد كان هنالك الوفد أيضا..

وللوفد أيضا قصة مع هذه الثورة قصة لا يعرفها المصريون ولا يعرفها أيضا عدد كبير من رجال الوفد أنفسهم».

● ● ●

ولن نتعرض فى هذا الكتاب إلى «قصة الوفد مع الثورة» كما رواها أنور السادات، مرجئين هذا إلى كتاب آخر بإذن الله.

ولكننا سنتناول: «قصة الثورة مع الإخوان المسلمين» كما جاءت فى مقالات أنور السادات».. «فقد إتصلت قصة الثورة فى فصول منها بالإخوان

المسلمين.. واتصلت فى فصول منها بالوفد»

وسنتابع كيف إتصلت الثورة بالإخوان.. ولماذا إستمر هذا الإتصال.وكيف إنتهى..

●●●

يرجع أنور السادات أول اتصال له بالإخوان المسلمين إلى عام ١٩٤٠.

ويروى أنور السادات كيف التقى لأول مرة مع الشيخ حسن البنا.. وكان لقاء بمحض الصدفة فى ذلك العام..

وقد تم فى ليلة المولد النبوى، وكان هو إذ ذاك ضابطاً برتبة ملازم فى سلاح الإشارة بالمعادى.. وكان السادات فى إحدى غرف «سلاح الإشارة» بالمعادى.. وكان الجميع يتناولون العشاء فى هذه الليلة.. ليلة المولد..

ودخل جندى من جنود السلاح الفنيين.. لم يكن موجودا بينهم منذ البداية، وقدم صديقا له، يلتحف بعباءة حمراء لا تكاد تظهر منه شيئاً..

يقول أنور السادات..

«لم أكن أعرف هذا الرجل إلى ذلك اليوم، ولم يثر دخوله ولا ملبسه اهتمامى، ولم يلفت نظرى.. وكل ما هناك أنى صافحته ورحبت به، ودعوته إلى تناول العشاء معنا، فجلس وتناول العشاء..

وفرغنا من الطعام، ولم أعرف عن الضيف شيئاً إلا بشاشة فى وجهه، ورقة فى حديثه، وتواضعا فى مظهره.

ولكنى عرفت بعد ذلك عنه شيئاً كثيراً...

فقد بدأ الرجل بعد العشاء حديثاً طويلا عن ذكرى مولد الرسول.. كان هو اللقاء الحقيقى الأول بينى وبين هذه الذكرى..

كان فى سمات هذا الرجل، كثير مما يتسم به رجال الدين:

عباءته، ولحيته، وتناوله شيئاً من الدين بالحديث...

فليس حديثه هو وعظ المتدينين.

ليس الكلام المرتب، ولا العبارات المنمقة، ولا الحشو الكثير ولا الإستشهاد المطروق، ولا التزمت فى الفكرة، ولا إدعاء العمق، ولا ضحالة الهدف، ولا إحالة إلى التواريخ والسير والأخبار!

كان حديثه شيئاً جديداً...

كان حديث رجل يدخل إلى موضوعه من زوايا بسيطة ويتجه إلى هدفه من طريق واضح.. ويصل إليه بسهولة أخاذة.. وكان هذا الرجل هو المرحوم الشيخ حسن البنا مرشد الإخوان المسلمين.

الموعد الأول

وانتحى الرجل بى ناحية، وتجاذب معى حديثاً قصيراً أنهاه بدعوتى إلى زيارته فى دار جمعية الإخوان المسلمين قبل حديث الثلاثاء.. كانت الجمعية إذ ذاك لاتزال فى دارها القديمة التى تشغلها الآن شعبة الجوالة التابعة لها..

عينان من بعيد

وذهبت يوم الثلاثاء.

لم أكد أضع قدمى فى مدخل الدار، حتى شعرت بكثير من الرهبة، وكثير من الغموض... دخلت من حجرة كبيرة جداً، من هذه الحجرات التى عرفت بها الأبنية المصرية القديمة...

وقطعت هذه الحجرة بأكملها لأنفد من باب صغير..

ونفذت من هذا الباب، لألقى أمامى شيئاً كالحجرة، أو شيئاً كالممر الطويل بين حجرات..

المرحوم الشيخ حسن البنا برداء جوالة الإخوان

وإنما كان مكتبة..
كان صفوفاً طويلة من الأرفف المتقاربة الملتصقة بالحوائط، وقد صفت عليها مئات كثيرة من الكتب ملأت جو المكان برائحة الورق المخزون...
وعلى بعد كبير من آخر هذا الممر.. كانت هناك عينان فقط ترسلان بريقاً قوياً، هما كل ما يظهر من الرجل الجالس خلف مكتبه.. مرشد الإخوان.
وتحدثت مع الرجل طويلاً فى ذلك الوقت...
ولكنه لم يفتح لى كل نفسه...
تحدث معى كثيراً.. ولكنه لم يخرج عن دائرة الدين أبداً.
وحصر نفسه فى هذه الدائرة، ولكنه جعل يتسع بمحيطها شيئاً فشيئاً حتى أصبحت أفقاً كبيراً مليئاً بالمعانى...

ورغم كل المحاولات التى بذلتها فقد فشلت..

ورغم كل ما تطرق إليه الحديث من شئون الجيش، فقد ظل الرجل ملتزماً ناحية الدين، وإهمال الناس له ورسالة الإيمان التى يجب أن يرتكز عليها جهادنا، ووجوب نشر هذه الرسالة فى صفوف الجيش.

سؤال خطير

وتكررت زياراتى بعد ذلك للرجل

وبدأنا نتحدث فى كثير من الشئون العامة.. وبدأت أوقن أن الرجل يطوى صدره فعلاً على مشاريع كبيرة وخطيرة.. لا يريد أن يفصح عنها.. كما أيقن الرجل أيضاً أنى لاأنتوى الانضمام إلى جمعيته، ولعله شعر أو أدرك أنى أعمل شيئاً، وأنى لست أعمله وحدى..

ولم يرد الرجل أن يعرض على الانضمام إلى جمعيته، كما أنه لم يحاول أن يسألنى عن أى صلة لى بآخرين.. ولكنى فهمت أنه كان يدرك أشياء كثيرة من الحقيقة فى مناسبة جاءت بعد ذلك بأيام..

وفى يوم تقابلت معه، وكنت ثائراً مكتئباً تملأنى المرارة والألم.. فقد صدرت الأوامر فى ذلك اليوم بإعطاء الفريق عزيز المصرى إجازة اجبارية من رياسة أركان حرب الجيش.

وكان معلوماً لنا أن وراء هذه الفعلة أيدى الانجليز.. وكان مجرد العلم بهذا كافياً لإثارة نفوسنا، ودفعنا إلى أى عمل قد يراه الكثيرون ـ فى مثل ظروفنا ـ من أعمال الجنون!

●●●

وجاءت الاجازة الاجبارية لعزيز المصرى كناقوس كبير يدق فى آذان الضباط لكى يبدأوا العمل..



جمال عبدالناصر وصلاح سالم يقرآن الفاتحة على
قبر الشيخ حسن البنا فى ذكرى وفاته..

ويروى السادات.. فى مقالاته الأعداد الأولى من «الجمهورية» فى ختام عام ١٩٥٣ ومطلع عام ١٩٥٤ ان تخطيط الضباط كان يقتضى الاتصال برجلين لإشراكهما فى عملهم الثورى، أولهما على ماهر باشا.. وثانيهما الذين عزيز المصرى باشا رئيس هيئة أركان حرب الجيش، فى ذلك الوقت فى الأربعينيات..

وكان هو الرجل الذى وقع عليه الاختيار لكى يقود الثورة..!!

ولأمر ما لم يتم الاتصال بعلى ماهر..ولكن الاتصال بعزيز تم.. وتم بمعرفة الإخوان المسلمين الذين دبروا الأمر.. وبالذات الشيخ حسَن البنا الذى دبر لقاء لأنور السادات مع عزيز باشا المصرى.

ويستكمل أنور السادات حديثه عن لقائه بعزيز المصرى الذى دبره له الشيخ حسن لبنا..

●●●

يقول أنور السادات:

و«استحث هذا الحادث أمنيتنا الكبرى، منذ وصلنا إلى القاهرة: أن نتصل بعزيز المصرى، ونتعاون معه..

وكان الخوف من إثارة الشبهات حول جماعتنا الصغيرة.. أو حول أى فرد منها، لايزال مسيطراً علينا.

ويبدو أنى قلت ذلك للمرحوم حسن البنا أثناء حديثى معه فى ذلك اليوم الخطير..

وابتسم الرجل وسألنى فى بساطة:

- هل تحب أن تلقى عزيز المصرى؟

وفوجئت بالسؤال فما تمالكت نفسى من القول:

- إنها أمنية!



محمد نجيب وجمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر فى جنازة الزعيم الوطنى محمد فريد.. فى الصورة معهم المستشار الهضيبى مرشد الإخوان

وعاد يسألنى والابتسامة على شفتيه.

- وما يمنعك من تحقيقها..

وأخذت ألقى إليه بمعلوماتى عن مراقبة المخابرات البريطانية للفريق عزيز المصرى، ومحاصرتها له، ولكل من يحاول الاتصال به، وأوشكت أن أفضى إليه بأنى أخشى أن أحاول ذلك فلا تكون نتيجته أن ينكشف أمرى أنا وحدى.

ولكن الرجل الذى كان يستمع لى ويبتسم كان قد أمسك ورقة صغيرة، وأخذ يخط عليها بضع كلمات.. ثم مد بها يده إلى.. وقال لى:

- ستلقاه فى هذا المكان.. غدا فى المساء.

وأخذت الوريقة أقرؤها بشغف شديد.. بينما قال لى حسن البنا، والابتسامة على شفتيه:

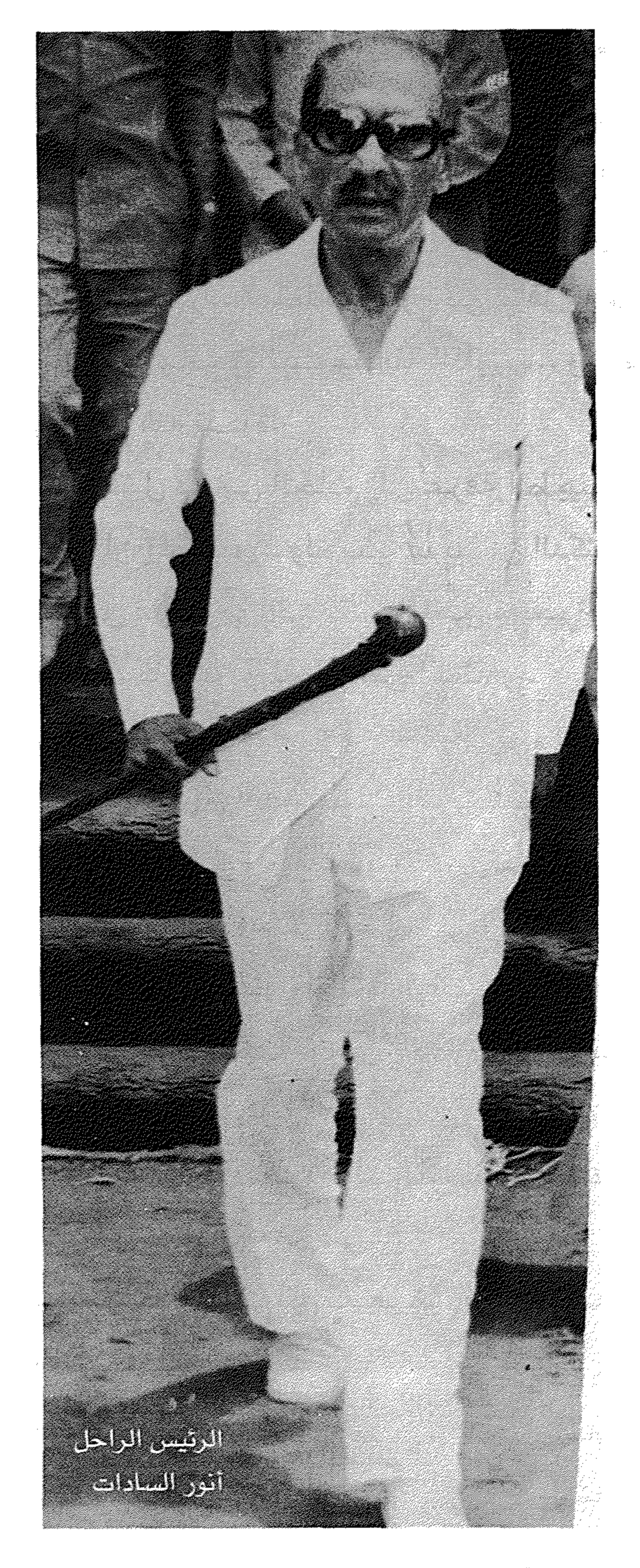
- واقطع تذكرة عند الدخول كما يفعل الداخلون!

وخرجت من دار الاخوان المسلمين.. أخطو خطواتى الأولى إلى مستقبل.. مجهول».

●●●

الفصل الثانى

عزيز المصري يرسم الطريق


الرئيس الراحل
أنور السادات

يروى السادات ما حدث بعد أن خرج من لقائه مع حسن البنا.. مؤكدا أنه كان عليه أن يرجع إلى تشكيل الأحرار قبل المقابلة، وكان عليه أن يعود إليهم بعد المقابلة، وكان عليه فوق ذلك الحذر.. لأن أى شك يحوم حوله قد يذهب بتشكيل الأحرار كله.

وذهب السادات للقاء الفريق عزيز المصرى فى الموعد الذى رتبه حسن البنا فى عيادة الدكتور إبراهيم حسن فى حى السيدة زينب وكان وكيلاً للإخوان المسلمين:

يقول أنورالسادات:

«وإتجهت إلى العنوان الذى كتبه لى المرحوم حسن البنا قبل ذلك بيوم... ونظرت إلى فوق، فقرأت اللافتة

الموضوعة على عيادة الطبيب: «الدكتور إبراهيم حسن».
وصعدت الدرج بخطى ثابتة، ثم تذكرت أنى مريض، أو لابد أن أكون مريضا، فربما كان البيت مراقبا، بل من المؤكد أنه مراقب، إذا كانت المخابرات البريطانية قد علمت بوجود المصرى فى داخله.. ولأول مرة قمت بدور تمثيلى صغير.. فصعدت الدرج فى تثاقل، ولهثت بأنفاسى مرتين!
وطرقت الباب وطلبت مقابلة الطبيب.. وأعطيت خادم العيادة أجر الزيارة وأخذت منه تذكرة!
وبعد قليل دعانى الخادم إلى غرفة الطبيب.. ورأيت لأول مرة وكيل جمعية الإخوان المسلمين.. ولم يكن غريبا أن الدكتور إبراهيم حسن ينتظرنى.. فقد أخذنى من فورى إلى مكتب ملحق بحجرة الكشف وأدخلنى إليه.. وفى هذا الغرفة، كان عزيزالمصرى فى إنتظارى.

ماذا تنتظرون؟!

كنت بحاجة أن أقدم نفسى للفريق الذى آمنت بوطنيته.. وكنت أريد أن أقول له كلاماً كثيراً، وأن أكسب ثقته.. لكن رغم كل شىء.. رغم الطريقة التى تم بها اللقاء بينى وبينه، كنت أشعر أن فى قلب الرجل ندوبا عميقة من خيانة الأصدقاء، الكبار والشبان على السواء.. ولكن النفس الصافية، أبت أن تحملنى هذه المشقة.. وفى الدقائق الأولى كان عزيز المصرى يحدثنى حديث رفيق الجهاد..
كان يائساً من الحكومات، يائساً من الملك، يائساً من البرلمان، ولكنه كان مؤمناً بالشباب.. وقال لى:
- عيب هذا البلد أنه ضعيف، وإنه لايجد العناصر التى تغذيه بالقوة..
وسألته:
وكيف نأتى بهذه القوة؟
فنظر إلى وقال:


الفريق عزيز المصرى

- أنتم شباب الجيش.. ماذا تنتظرون، ومتى تعرفون مسئوليتكم الحقيقية، ومتى تبدأون فى الاضطلاع بها؟

وعدت أسأله:

- وهل تظن أننا فى داخل الأوضاع القائمة نستطيع اليوم شيئاً؟.

فأجاب وقد انتقض:

- تستطيعون كل شىء.. وغيركم لايستطيع شيئاً.. ماذا تنتظرون؟ تنتظرون توجيهاً منى، من لواءاتكم.. من حكام البلاد؟.

وسكت وهو يتمتم: كلام فارغ!

ثم نظر إلى فى عزيمة شابة، وقال:

- لقد كان نابليون فى السابعة والعشرين من عمره فقط.. كان مثلك هكذا شاباً صغيراً.. ولكنه استطاع أن يكون فى تلك السن المبكرة نابليون القائد. واستطاع أن يقود بلاده وجيشه، ولم يكن يتلقى توجيها من أحد.

وبعد لحظات قال فى عمق:

- التوجيه الوحيد الذى كان نابليون يستلهمه فى كل خطواته، هو الإيمان الذى كان ينبعث من نفسه.. فابحثوا

عن الإيمان ولاتعتمدوا أبداً على أحد.. إلا على أنفسكم..

وكان لكلمة الإيمان فى نفسى رنين خاص عميق.. فقد كنت أنا أيضا أبحث عن الإيمان، وأومن فى الوقت نفسه بأن المخرج الوحيد لنا من الحيرة التى كان المصريون جميعاً يعيشون فيها.. فلا يكادون يقدمون حتى يحجموا.. تيئسهم الحسرات، وترعبهم المخاوف..

ورغم هذا، فقد قلت له:

- لقد عشت أنت مؤمناً بهدفك وعشت لاتعتمد على أحد.. وتغلبت عليك مع ذلك هذه القوى.. ونحن نريد أن نعمل..

فقاطعنى بقوله:

- إعملوا وحدكم، واعتمدوا على شبابكم وإيمانكم.. والذى يستطيع أن يقصى عزيز المصرى عن توجيه الملك والذى يستطيع أن يقصيه عن توجيه الجيش، لايستطيع أن يقصى شباب الجيش عنه..»

●●●

ويواصل أنور السادات حديثه عن لقائه بالفريق عزيز المصرى، ثم لقائه بعد ذلك بالشيخ حسن البنا..

يقول السادات:

«كان الرجل يتكلم بإنفعال شديد، حتى كاد يغلبنى البكاء.. ولكنه عاد إلى طبيعته الواثقة.. وقال لى:

- إن كان معك خمسة أفراد مؤمنين، فإنى على استعداد اليوم أن أحمل طبنجتى، وأتقدمكم لأى عمل لإنقاذ البلد.

وعندما هممت بالانصراف، شعر عزيز المصرى بالمسئولية التى وضعها فوق كتفى.. فقال مؤكداً:

- لن يكون خلاص البلد إلا بإنقلاب على أيدى العسكريين..

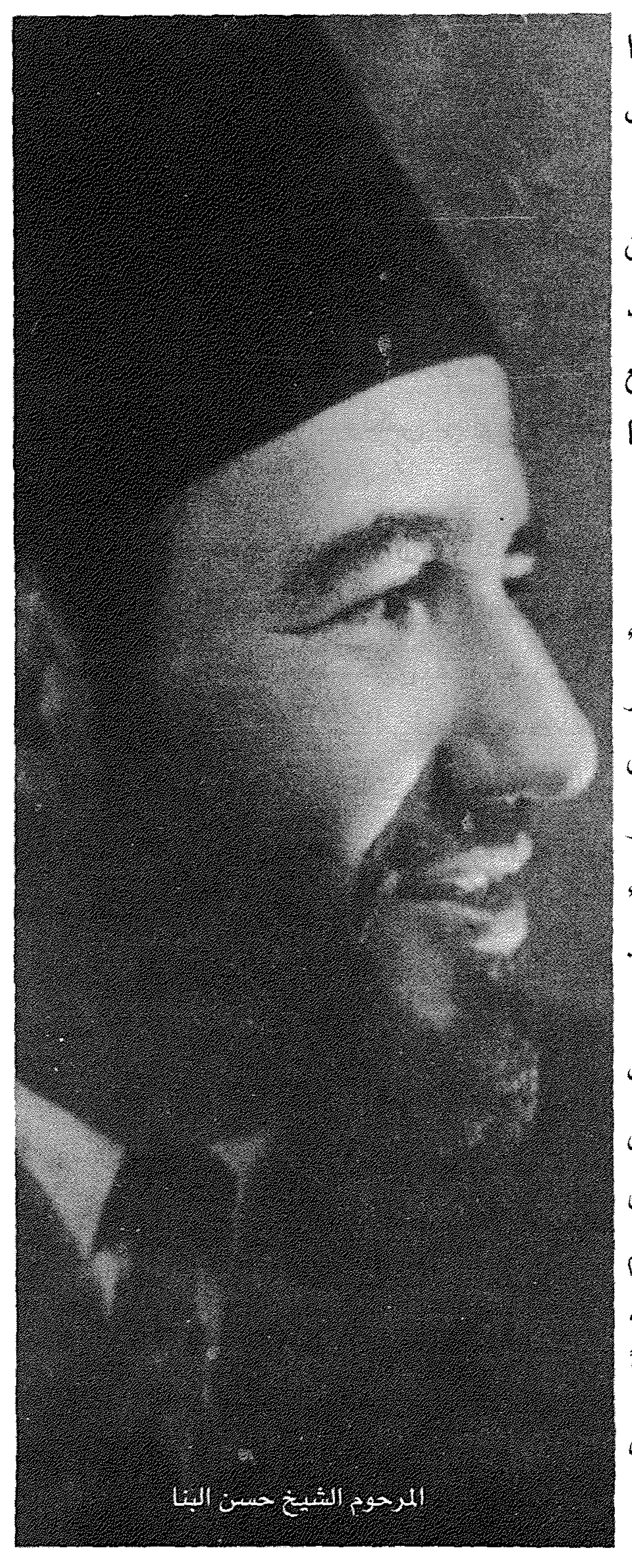
ونظر فى عينى طويلاً، وأنا أصافحه.. ولم يقل بعد ذلك شيئاً..

ولكنى عندما خرجت من عنده، كانت رسالتنا قد تحددت، كهدف بعيد نستطيع أن نراه بأعيننا، وإن كنا لانتبين الطريق إليه..»

• • •

ولابد أن كل مادار فى لقاء السادات والفريق عزيز المصرى قد نقل إلى حسن البنا.. وهذا ما لاحظه أنور السادات عندما ذهب للقاء حسن البنا فى اليوم التالى.. وفى هذا يقول أنور السادات:

«وفى اليوم التالى التقيت بالمرحوم حسن البنا وسألنى عن أثر زيارتى لعزيز المصرى فى نفسى.. وكأنه كان يعلم ماجرى فيها.. ولاحظت أنه يريد أن يزداد علماً بالمجموعة التى شعر أنى واحد من أفرادها.


المرحوم الشيخ حسن البنا

من هم زملاءك؟!

فقد سألنى عندئذ:

- هل لديك زملاء فى الجيش يشتركون معك فى هدف معين؟!

وكان السؤال فى ظاهرة بريئاً ولكنه يريد أن يعرف من ورائه إن كان هناك تشكيل معين يضمنى ويضم غيرى..

ولم أخف الحقيقة عنه.. ولكنى لم أبح له بأسماء إخوانى.

قلت:

- إنى لست أعمل وحدى.. وأن هناك تشكيلاً معيناً موجوداً، وأننا جميعاً نؤمن بالكلام الذى قاله لى عزيز المصرى.. ونعرف أن البلد لن تتخلص من الإستعمار إلا بإنقلاب عسكرى يقوم به رجال من الجيش..»

● ● ●

ظوحاول حسن البنا، كما يوضح أنور السادات أن يستدرج السادات ليعرف منه بعض التفاصيل عما وراءه.. ومن معه.. ولكن السادات كان حذرا..

يقول السادات:

الخطة الأولى

«وكانت جماعتنا فى ذلك الوقت قد قطعت شوطا فى تنظيماتها.

وكان لكل منا خلية يعرف وحده أفرادها..

وكنا نجتمع فى مكانين: ضباط الجيش وحدهم، وضباط الطيران وحدهم..

ولكن قراراتنا النهائية كانت مرتبطة ببعضها بواسطة تنسيق كامل لكل شىء.

وكنا قد بدأنا فعلا.. منذ الليلة الماضية نفكر فى الإعداد للعمل الكبير..

وأدرك المرحوم حسن البنا من إجابتى المقتضبة أنى على استعداد للكلام معه فى المبادىء، ولكنى لا أحب الدخول فى التفاصيل..

فقال لى:

- إذن فأنتم تعدون العدة للقيام بعملية حاسمة؟..

فأجبته فى صراحة:

- إننا نريد أن نخلص البلاد.. وقد تكون الفرصة اليوم مواتية.. فالإنجليز فى مأزق بالصحراء الغربية، وجرازيانى قادم إلى مصر..

وهز المرحوم حسن البنا رأسه وهو يقول:

- وهل أعددتم خطة لذلك؟..

قلت:

- إننا فقط نفكر الآن فى أن نضرب ضربتنا، ونقيم حكومة عسكرية تحارب الإنجليز إلى جوار المحور.

وكان كل شىء مهيئاً لضربتنا فعلا.. فقد كان الإنجليز قد بدأوا ينسحبون فى سرعة مخيفة.. وكانت دباباتهم ومصفحاتهم تهرع فى شوارع القاهرة فزعاً، فى طريقها إلى الجنوب.. وكانت الأسر الإنجليزية قد بدأت ترحل إلى السودان..

كان كل شىء ينذر بهزيمة الانجليز المحققة..

ولم يكن أمامنا إلا أن نعد العدة لنعمل..

ولكن أين نعمل؟

وكيف؟»

●●●

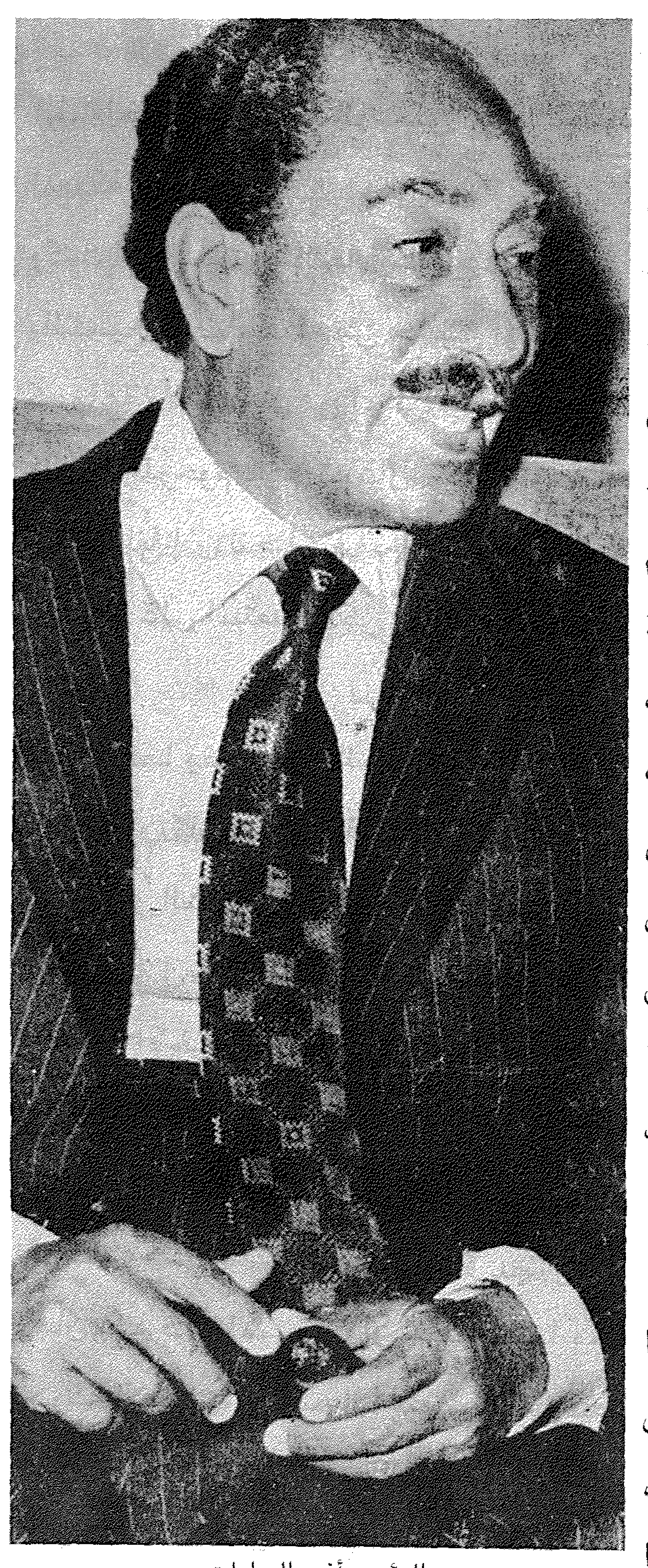
الفصل الثالث

الاخوان.. والثورة
فى مرحلة التحضير

يتحدث أنور السادات عن تعامل الثورة، فى مرحلة التحضير لها، مع جماعة الإخوان المسلمين، فيقول إن المرحوم حسن البنا فهم منه أنه لا يعمل وحده.. وأنهم يسعون إلى إقامة حكومة عسكرية فى مصر تحارب الإنجليز إلى جانب قوات المحور.. وأن ما ينقص التنظيم هو جماعة أخرى من الشباب تستطيع خوض المعركة باسم الشعب، عندما يضرب تشكيل الضباط ضربته كعمل عسكرى..

يقول أنور السادات:

«بدأ المرحوم حسن البنا يتحدث إلىّ حديثا طويلا عن تشكيلات الإخوان المسلمين، وأهدافه منها، وكان واضحا



الرئيس أنور السادات

فى حديثه، أنه يريد أن يعرض علىّ الانضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين، أنا، وإخوانى فى تشكيلنا، حتى تتوحد جهودنا، العسكرية والشعبية، فى هذه المعركة.

وكنت أنا مستعداً للإجابة على هذا الطلب إذا وجهه إلى، فلما رأيته يكتفى بالتلميح، أوضحت له من جانبى أيضا، انه ليس من وسائلنا أبداً أن ندخل كجماعة ولا كأفراد فى أى تشكيل خارج نطاق الجيش.

وأطرق المرحوم قليلا ثم قال، وعلى وجهه ابتسامة تغطى تفكيراً عميقا ـ من الخير لنا إذن لنجاحنا ونجاحكم أن نتشاور وأن نتكلم معاً فى كل شىء.. كما أننا على استعداد لكى نعاونكم عندما تطلبون ذلك إلينا.»

• • •

وهكذا كما يقول أنور السادات بدأ نوع من التعاون بين الضباط والإخوان وهو تعاون كان هو الصلة فيه.. تعاون بدأ فى تحفظ واستمر فى تحفظ..

يقول أنور السادات تعقيبًا على ذلك:

«وفى خلال هذا التعاون تكشفت لى أشياء كثيرة من الأسرار الداخلية لجماعة الإخوان، رغم أنه رحمه الله لم يحاول أن يكشف لى شيئاً منها، ولا أن يطلعنى على أى سر من أسرارهم الداخلية..

المرشد وحده يعلم!

وكان أهم هذه الأسرار، أن حسن البنا وحده كان الرجل الذى يعد العدة لحركة الإخوان، ويرسم لها سياستها ثم يحتفظ بها فى نفسه... وأن أقرب المقربين إليه لم يكن يعرف من خططه شيئاً،، ولا من أهدافه شيئاً..

حتى لقد كان حسن البنا فى ذلك الوقت المبكر يجمع السلاح، ويشتريه

ويخزنه، ولكنه لم يكن يطلع أقرب الناس إليه من كبار الإخوان أنفسهم على أى شىء من كل هذا..

وكان على العكس من ذلك يستعين فى هذه العمليات بإخوان من الشبان الصغار.. وكان منهم الجندى المتطوع الذى جاءنى به فى سلاح الاشارة أول مرة..

وكان أعوانه الصغار هؤلاء يعرفون أن مابينهم وبينه سر على الناس جميعاً بما فيهم الإخوان الكبار..

فقد أدركت هذا فى يوم من الأيام، كنت جالساً معه، عندما دخل علينا هذا الجندى المتطوع يحمل فى يديه صندوقين مغلقين.

ورآنى الجندى جالساً، فأجفل، ولكن حسن البنا، قال له افتح الصناديق، ولاتخف..

ونظر الجندى إلى بابتسامة الأخ فى الجهاد، ثم فتح صندوقيه، وكان ما فيهما عينات من أنواع المسدسات.

- وتأكدت فى ذلك اليوم من أن الرجل يشترى سلاحا ويخزنه، ويخفيه حتى عن الإخوان.

وفرحت فى نفسى بذلك..

فسيأتى اليوم الذى نضرب فيه ضربتنا كرجال عسكريين..

وسيكون من أهم مانستعين به أن نجد قوة شعبية تقف فى الصف الثانى، مسلحة مدربة..

ولكن، متى يكون هذا اليوم؟..

إن الأمر بحاجة إلى إعداد كامل طويل..

ونحن نستعد، ونستعد، ونستعد.

ودعوتنا تجد أنصارها ببطء، ولكن فى وثوق.

وكل شىء يجرى على وجه نطمئن إليه..

وفجأة..

كان يوم ٤فبراير ١٩٤٢، فقلب خطتنا رأساً على عقب، وبدأنا السير فى طريق خطير..»..

●●●

الفصل الرابع

٤ فبراير.. نقطة تحول


الملك فاروق

فرض الانجليز النحاس باشا على الملك فاروق، رئيساً للحكومة فى يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ .. وكان هذا الحادث كما يقول أنور السادات نقطة تحول فى تفكير تشكيل الضباط.

فقد شعروا أن هذا الحادث وجه ضربة لايمكن أن يردها سواهم.. واتفقوا أيضاً أن الموعد لم يعد مهماً، وأن المهم هو دراسة كيف تكون ضربتهم للانجليز محكمة، ودامية فى نفس الوقت.. ثم والمهم كما يقول أنور السادات أن «تنأى خطتنا فى هذه المرة عن أى صلة بالاخوان المسلمين.. وأن تقوم على توسيع تنظيمنا الداخلى فى الجيش، وتكتيل قوتنا فى كل الأسلحة، وإعداد أنفسنا بما تستلزمه ضربة عسكرية محكمة دامية!!»

●●●

وقبض على أنور السادات بعد القبض على الجاسوسين الألمانيين آبلر وساندى.. ثم تطور الأمر إلى طرده من الجيش فى ٨ أكتوبر ١٩٤٢.. أى بعد حادث ٤ فبراير بثمانية أشهر فقط.

وكانت هذه الظروف كلها تشكل نقطة تحول..

فقد بدأت تطورات فى تشكيل الضباط الذى لم يتأثر بخروج أحد من الجيش.. ولكن كان لابد من تأخير ما كان يفكر فيه الضباط..

وكانت أيضاً نهاية صلات مع الإخوان المسلمين وبدء صلات جديدة معهم.

يقول السادات عن هذه الصلات:

«كنت أنا حتى ذلك الوقت حلقة الاتصال الوحيدة بين تشكيل الضباط وبين الاخوان المسلمين.. فلما انتهى الأمر باعتقالى، بدأت حلقة أخرى عملها وكنت حين قبض على، قد أجريت فعلاً آخر اتصالاتى فى تلك الفترة.

وكانت هذه الاتصالات فى نفس الفترة التى تم فيها اتصالى بالجاسوسيين الألمانيين.»

●●●

يواصل أنور السادات حديثه عن اتصالاته بالاخوان أو على وجه التحديد بالمرحوم الشيخ حسن البنا.. ويبدو أنها كانت قبل حادث ٤ فبراير.. فيقول:

«كانت خطتنا إذ ذاك لإبادة الجنود الانجليز العائدين من العلمين، قد تمت من الناحية العسكرية، وكانت استعداداتنا كافية فعلا.

وكنا قد بدأنا نفكر فى التنفيذ العملى.. فكان لابد لنا من أن نعاود الاتصال بالإخوان المسلمين لكى يكونوا هم القوة الشعبية التى تشاركنا باسم الشعب تبعات العمل الكبير.

وإذا قلت «الاتصال بالإخوان المسلمين» فإنما أعنى الاتصال بالمرحوم حسن البنا، فلم تكن لى صلة عملية بغيره.. أو هكذا أراد حسن البنا نفسه.. فقد كان كما قلت من قبل، أحرص ما يكون على أن يظل ما بيننا وبينه سراً خافياً على الجميع، حتى على كبار الإخوان أنفسهم.

وعندما بدأت الاتصال به للقيام بالعمل الفعلى الذى كان يعرف أننا ننتويه،

تكتم الأمر أيضا بينه وبين نفسه.

فقد ذهبت إليه حينئذ فى دار الإخوان وطلبت مقابلته لأمر هام، وكان الأستاذ السكرى وكيل الإخوان المسلمين موجودا معه، فإذا به يشير بأن أدخل إلى غرفة فى مدخل الدار، كانت مخصصة لشركة المعاملات الإسلامية.

وبذل رحمه الله جهداً كبيراً لكى لا يشعر الأستاذ السكرى بأى حركة غير عادية ثم تسلل إلى الغرفة من باب آخر لها، وأخذنى من يدى فخرجنا متلصصين إلى عربة نقلتنا إلى بيته بالقرب من دار الجماعة.

وأغلق البنا باب غرفته وأوصد الشبابيك. ثم مال على برأسه لكى يسمع ما أردت أن أنهيه إليه.»

●●●

استمع البنا إلى أنور السادات.. ولكن لم يعد بشئ.. حتى حار السادات


مصطفي النحاس باشا

فيما ينتويه الشيخ حسن البنا.. يقول السادات:

«وفى تلك الليلة بسطت للمرحوم البنا كل التفاصيل، وتوسعت معه فى شرح دقائق الخطة العسكرية الموضوعة وأفهمته حقيقة الدور الذى نريد أن يقوم الإخوان به. وحدود هذا الدور.

وأطرق البنا طويلا وهو يستمع لى ثم سكت فترة طويلة أخرى قبل أن يتكلم.. وعندما تكلم أجهش فى البكاء!!

ومرت فترة وهو يتكلم.

كنت أنا خلالها ذاهلا كالمسحور.

قال كلاماً كثيراً.. كلاماً مثيراً إمتزج بالإيمان الشديد.. وكان واضحاً جداً من كلامه أنه يؤثر مصلحة البلاد.

ولكننى عندما خرجت من عنده.. سألت نفسى:

هل وعد الرجل بشىء؟

هل احتضن خطتنا؟

هل هو سيقوم بتنفيذ نصيب الإخوان منها؟

وحرت فى الإجابة على كل سؤال من هذه الأسئلة.. فالواقع أن الرجل تكلم كثيراً وأثر فى نفسى كثيراً، وبكى من أجل مصر كثيراً.. ولكنه لم يعد بشىء ولا احتضن خطتنا، ولا أفهمنى أنه مقبل على تنفيذ نصيب الإخوان من الخطة!!»

●●●

ويقول السادات تعقيبًا على حديث حسن البنا وتساؤلاته حول ما قاله:

«لو سألتنى حينذ سؤالا من هذه الأسئلة، لما استطعت أن أجيب عليه إجابة قاطعة كما أستطيع أن افعل اليوم.. فقد كان تأثيره الشديد على قد أبعد عن ذهنى كل شىء.

إنه رغم عدم تقيده بأى وعد فهو معنا.. بقلبه ووجدانه وتفكيره.. وروحه ايضاً.

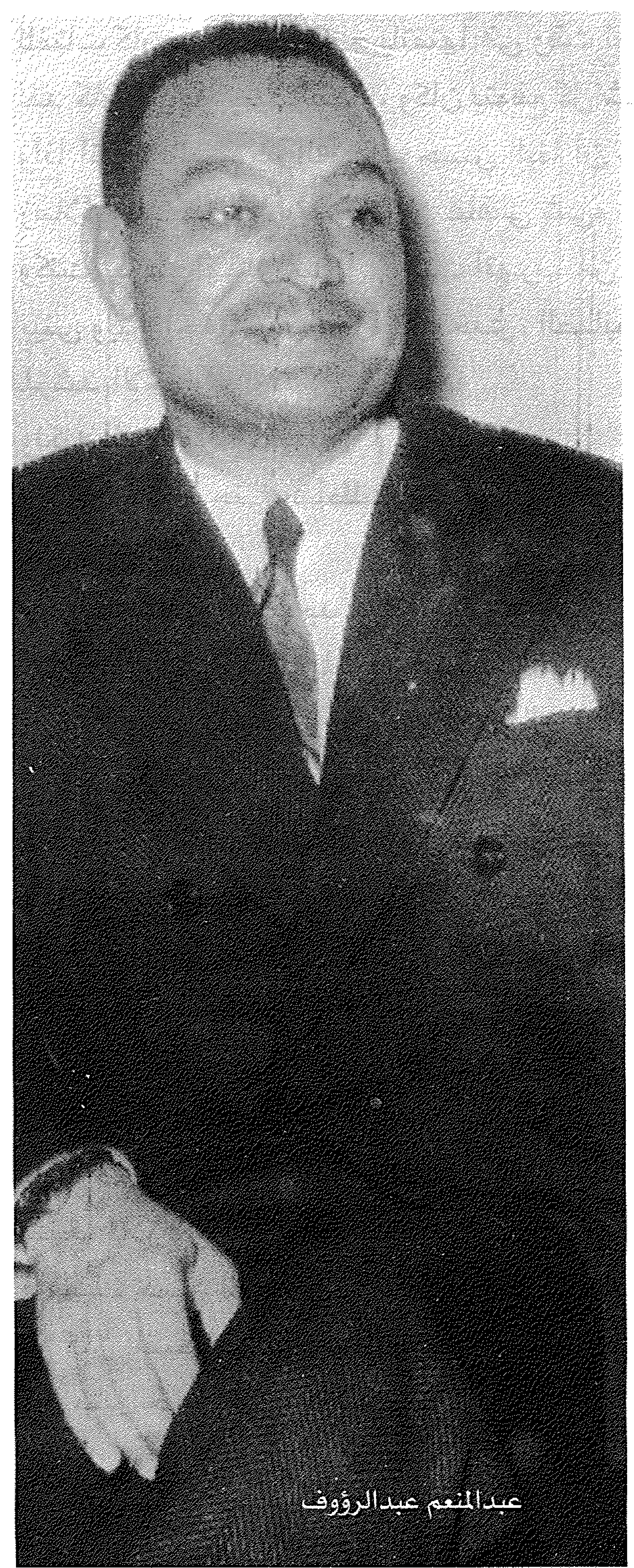
وكان أخطر ما أردت معرفته منه فى تلك الجلسة، هو أن أعرف شيئاً عن استعداداته من حيث الأسلحة.. فقد كنت على يقين أن الرجل يملك سلاحاً وأنه يختزنه ويعرف كيف يخفيه.

وكانت مباراة بينى وبينه.. أنا أريد أن أعلم وأطمئن، وهو يباعد بينى وبين ما أريد، مباعدة لبقة لا تكاد تشعر بها أبداً».

• • •

ويمضى أنور السادات فى رواية تطور علاقته مع الشيخ حسن البنا.. وكيف طلب منه أن يرشح له شخصاً آخر معه يكون همزة وصل بينه وبين تنظيم الضباط إذا ما حدث ما يمنع السادات من الاتصال به.. وكيف تردد السادات طويلا ثم رشح له عبدالمنعم عبدالرءوف.. ثم يصف السادات كيف توطدت العلاقات تماماً بين الشيخ حسن البنا وعبد المنعم عبدالرءوف، وكيف انصرف عبدالمنعم عبدالرءوف كلية إلى الإخوان.

وفى هذا يقول أنور السادات: «عندما أتذكر اليوم تلك السنوات التى اتصلت فيها بحسن البنا، قبل اعتقالى، يأخذنى كثير من العجب


عبدالمنعم عبدالرؤوف

للفتات كان - رحمه الله - يلتفتها فى وقت لم يكن مثلها يخطر لى ببال.
لقد كان الرجل بعيد النظر، وكان يتوقع كل شىء.
وأنا أتذكر اليوم كم ألح على حسن البنا أن أذكر له اسما واحداً من أسماء زملائى، ليتصل به إن حدث أن عاقنى شىء عن الاتصال به.
وكنت أنزعج لهذا السؤال، وكنت أتهرب من الاجابة عليه، فقد كان متفقاً بينى وبين إخوانى أن أظل أنا وحدى، الضابط الوحيد من التشكيل المعروف لمرشد الإخوان.
ولكنه ألح.. وألح كثيراً.
وفى مرة أحرجنى، فأطلت التفكير.. ثم اخترت أن أذكر له اسم عبدالمنعم عبدالرءوف.
ولا أذكر على التحديد لماذا اخترت عبدالمنعم.. وكل ما أستطيع اليوم أن أذكره من أفكار ذلك الماضى البعيد الحافل بالمثيرات، هو إنى اخترت هذا الزميل ربما لأنه كان أول من انضم إلى تشكيلنا عقب عودتنا إلى القاهرة فى عام ١٩٤١.
ولم يعلق حسن البنا بشىء عندما ذكرت له اسم عبدالمنعم وإنما لزم الصمت والحرص اللذين لونا حياته حتى فارق هذه الدنيا، بحادث اغتياله المشهور.
ولكنى عدنما قابلته أول مرة بعد ذلك ذكر لى اسم عبدالمنعم وأثنى عليه طويلا.. ثم أخذ يسرد لى تفاصيل كثيرة عن تاريخ عائلة عبدالمنعم وحياته وبيته.
وفهمت أن صلة ما قد وجدت بين أسرة عبدالمنعم، وبين مرشد الإخوان، وأنها صلة قديمة، وأنها صلة معرفة وصداقة وبيئة، فقد كان جد عبدالمنعم شيخاً للأزهر، كما أن عائلته كلها كانت معروفة بالدين والتقوى..
وأمسك حسن البنا عن ذكر عبدالمنعم بعد ذلك، حتى ظننته نسيه.!
ثم كان القبض على عبدالمنعم فى قضية عزيز المصرى وكان الإفراج عنه، ولم يشر حسن البنا إليه أبداً»..

●●●

الفصل الخامس

الإخوان.. والملك


أحمد ماهر باشا

فى عام ١٩٤٤ أقال الملك النحاس باشا.. وجاء أحمد ماهر باشا رئيسًا لوزراء.. فأفرج عن المعتقلين إلا أنور السادات ورفاقه.. فاضطر السادات إلى الهرب من المعتقل فى نوفمبر ١٩٤٤ أى بعد تأليف وزارة أحمدماهر باشا بشهر.

يصف السادات هذه الفترة بأن الشيخ حسن البنا «كان قد أصبح قوة رهيبة يخشاها الملك، ويعلن مخاوفه منها»..

ويقول السادات إن الشيخ حسن البنا كان قد «بدأ يضع لنفسه سياسة جديدة يضمن بها القفز بحركة الإخوان المسلمين فى جو آمن من مقاومة القصر وغدره.. وكان رحمه الله قديرا على اقناعنا بخطته، وعلى الإمساك بطرفى حبلين فى قبضته..!!»

ويتحدث أنور السادات عن عبدالمنعم عبدالرؤوف فى ذلك الوقت فيقول إنه «انصرف إلى الاخوان المسلمين انصرافا كلياً »

أما السادات نفسه.. بعد أن هرب من المعتقل.. فقد أخذ يكافح ليقتات من عدد من الأعمال الغريبة، متنكرا مستترا حتى ألغيت الأحكام العرفية عام ١٩٤٥ فبدأ يظهر بوجهه.

فى ذلك الوقت أيضا كان جمال عبدالناصر كما يقول السادات: «قد بدأ يتولى بنفسه أمر التشكيل داخل الجيش، لينظمه تنظيما جديدا، وليضع له خطة بعيدة المدى طويلة الأمد، قائمة على فلسفة مدروسة واقعية».

●●●

ويحدد أنور السادات فى مقاله الذى نشره فى «الجمهورية» فى يوم الأحد ٣ يناير ١٩٥٤ شكل الاعداد لحركة الجيش، أو ثورة يوليو فيما بعد، فى ذلك الوقت من الأربعينات فيقول:

«بدأت حركتنا تتخذ صورتين:

صورة داخل الجيش يرسمها ويكون عناصرها جمال عبدالناصر وصورة خارج الجيش توليت أنا أمرها. وكان الغالب على الصورتين روح فدائية، وكانت بين الصورتين صلات.

كنا قد بدأنا نعتمد على أنفسنا كل الاعتماد إثر أحداث وأحداث.

وكنا قد رسمنا خطتنا القريبة على أن ننشىء تشكيلا شعبيا وتشكيلا عسكريا، يعملان جنبا إلى جنب، كل بوسائله وخططه، ولا يرتبط أحدهما بالآخر أى ارتباط ظاهر، حتى تأتى اللحظة المناسبة لذلك»

● ● ●

فى هذه الفترة كان السادات كما يقول: يتعجل الخطى.. أما جمال عبدالناصر فكان يتريث.

أراد السادات بخطة من التشكيل الشعبى، نسف السفارة البريطانية ردا على سخرية اللورد كيلرن السفير البريطانى فى مصر، من رئيس وزراء مصر محمود فهمى النقراشى باشا عند ما تحدث معه عن مطالب مصر فى الجلاء والوحدة.. فقال كيلرن أن هذا الحديث «حديث خرافة».

ولكن جمال عبدالناصر رفض الخطة عندما عرضها عليه السادات، وكما قال السادات، كان رد جمال عبدالناصر: «لا.. نحن لا نرى أن نعيد مأساة السودان التى وقعت منذ عشرين عاما.. كان يستعرض فى ذهنه الإجراءات التى يستطيع الإنجليز اتخاذها عقب نسف سفارتهم، وكان يستحضر فى ذهنه مصرع «لى ستاك» سردار السودان..

ويعقب أنور السادات:

«كان جمال «على حق.. فعشرون عاما فى عمرة أمة مكافحة، ينبغى أن تغير من أساليب كفاحها بما تتضمنه من تجارب ومن دروس..»

●●●

ويعود السادات إلى الوراء قليلا إلى ٨ أكتوبر ١٩٤٤، حينما أقال الملك فاروق، النحاس باشا من الوزارة التى ألفها فى ٤ فبراير ١٩٤٢ بضغط دبابات الانجليز التى حاصرت القصر، وأرغمت فاروق على قبول انذار السفير البريطانى وتكليف النحاس باشا بتأليف الوزارة.

يصف السادات هذه الفترة ويقول إن الملك أصبح ألعوبة فى أيدى الإنجليز.. و«ذهبت مع الأعداء صفوف الوفد وصفوف السعديين وقوة الملك ولم يبق فى الميدان إلا قوة الاخوان».

ويكتب أنور السادات عن «الاخوان» بعد تحليله للموقف مفسرا توجهه إلى الإخوان..

كان التساؤل هل يستعين بهم الضباط.. وهل يمكن الاعتماد عليهم؟!

● ● ●

ويتحدث أنور السادات عن معاودته الاتصال بالمرحوم الشيخ حسن البنا بعد أن هرب من المعتقل ويروى كيف كان حسن البنا يخشى أن يبطش الملك بدعوة الاخوان، وشعوره كذلك بأن الأجانب يخشون هذه الدعوة، وخشية حسن البنا من تحالفهما عليه للقضاء عليها.. ثم رغبته فى لقاء الملك لطمأنته وتأمين دعوة الاخوان.. ويذكر السادات كيف طلب الشيخ البنا أن

يوسط صديقه د.يوسف رشاد، لكى يقنع الملك بمقابلة البنا.. وقبل السادات هذا، وحادث يوسف رشاد فى الأمر، والذى كاد ينجح فى فى مسعاه بعد محاولات عديدة، لولا أن الملك ألغى كل شىء وقال ليوسف رشاد: «حسن البنا ضحك عليك»..

وتفاصيل هذا ذكره أنور السادات فى مقاله فى «الجمهورية» فى يوم الاثنين ٤ يناير ١٩٥٤.

وفى هذا يقول أنور السادات: «عاودت اتصالى بالمرحوم حسن البنا، وأنا هارب من المعتقل.. وتبسط معى حسن البنا بصورة لم تسبق له من قبل.. فرغم كل الصلات التى قامت بينى وبينه كنت أشعر دائما أنه يقول شيئا، ويخفى فى نفسه أشياء.

ولكنه فى تلك المرة، تبسط كثيرا وشرح كثيرا، وأفاض كثيرا... ثم.. ثم كلفنى بأمر!

شرح لى حسن البنا متاعبه التى تأتيه من ناحيتين:

ناحية الملك.. وناحية الأجانب..

وقال لى إن الملك قد بدأ يشعر شعورا قويا بخطورة دعوة الإخوان، لما كان يسمعه من أن دعوتهم تقوم على أن يكون الملك بالمبايعة لا بالوراثة، وقال لى إن الملك يدبر أمره ليبطش بهذه الحركة، وأنه يخشى أن يضرب الملك ضربته، والحركة لم تبلغ بعد أوج قوتها.

العملاق الذى لا يقهر

يقول السادات: كانت هذه أول مرة يفصح فيها حسن البنا عن شعوره بعدم وصول دعوته إلى ذروة القوة والمناعة.. فقد كان دائماً يعطى سامعه صورة للجماعة، أشبه بصورة العملاق الذى لا يقهر ولا يخشى عليه.. واستطرد بعد ذلك إلى ذكر طرف آخر من متاعبه، وكان هذا الطرف، هو موقف الأجانب من الدعوة..

فقد بدأ يشعر بأن الأجانب أيضاً يرهبون دعوته، ويعتقدون أنها إذ تقوم على وجوب الأخذ بشريعة الإسلام ستتعرض حتماً لأعمالهم وأموالهم، وحرياتهم الممنوحة لهم مقتضى القانون السائد، والدستور..

وقال لى إن هذه النظرة الموحدة إلى دعوته، من جانب الملك، ومن جانب الأجانب، تجعل الدعوة فى خطر جسيم، فما أيسر أن تتحول هذه النظرة الموحدة إلى تحالف عملى للقضاء على الدعوة، وعلى الجماعة التى تدعو إليها.. ويومئذ لا يعرف من أين تصوب إليه الضربات!

واستمعت اليه، منصتا، ومناقشا.. ثم رأيته يطرق فجأة يستجمع كلمات معينة، يريد أن يبدأ بها حديثاً جديداً..

وبدأ حديثه الجديد..

قال لى إنه يريد أن يضع حداً لهذه المتاعب، وأنه يعتقد أن الأجانب يمكن أن يطمئنوا إلى الدعوة، لو اطمأن إليها الملك..



د. يوسف رشاد طبيب الملك فاروق.. وكان مثقفا لا يتوقف عن القراءة كما يصفه أنور السادات

ونظر فى عينى طويلاً وهو يقول:
أنا أستطيع أن أكسب طمأنينة الملك، لو تقابلت معه..
وكان وجهه ينبئ فعلاً عن الثقة الكبيرة التى تملأ نفسه بقدرته على كسب طمأنينة الملك.
وظهرت هذه الثقة أكثر وأكثر، وهو يصف لى كيف يستطيع أن يزيل من نفسه جميع الأوهام والشكوك لو تيسرت له مقابلته.. مرة واحدة!
ثم أوضح لى أنه لا يريد أن يبدأ مع الملك سياسة وفاق، أو تعاون.. ولكنه يريد أن يشيع جواً من الطمأنينة فى نفس الملك، يجنب به سفينة الإخوان أية عقبات تعترض الطريق.
وقصد ـ رحمه الله إلى هدفه بعد ذلك مباشرة، فقال لى: أنت تعرف يوسف رشاد..
قلت له: نعم.. أعرفه، وبينى وبينه صداقة كبيرة ومودة.
فقال: ويوسف اليوم ذو حظوة، فلو استطعت أن تشرح له هدفى..
وأن تفهمه أنى لست خطرا على الملك، ولا أريد أن أكون خطراً، لأمكنه إقناع الملك بمقابلتى..
وأجبته أنا: أحاول..!
ومضيت فى تلك الليلة، أبحث الأمر بينى وبين نفسى.. هل أقوم بهذه الوساطة، وكيف أقوم بها.. وما مدى ما يمكن أن يترتب عليها.
وكنت إذ ذاك لا أزال هارباً أعيش متنكراً.. وأتحاشى الظهور فى أى مكان، ولكنى مع ذلك.. ذهبت إلى يوسف رشاد.. وأبلغته رسالة حسن البنا، فناقشنى فيها، ثم وافق على أن يلعب هذا الدور.

الملك يخشى وكيل الوزارة

وعندما رأيت يوسف رشاد بعد ذلك قال لى: لقد فاتحت الملك فى هذا الأمر، فى محادثة تليفونية بينى وبينه، وإذا به يقطع حديثى قطعا ويوجهه

وجهة أخرى.. وقابلته بعد ذلك فقال لى:

- كيف تكلمنى تليفونياً فى أمر كهذا، ألا تعلم أن حسن رفعت يراقب التليفونات؟!

ودهشت أنا عند سماع هذه الكلمة.. فقد فهمت منها أنه يخشى المراقبة، حتى من حسن رفعت وكيل وزارة الداخلية المصرية!

وعاودت الالحاح على يوسف رشاد بعد ذلك، وفى هذه المرة، استطاع يوسف أن يحصل على اذن من الملك، بأن يقابل هو أولا حسن البنا، ويستمع إليه.. وينقل حديثه إلى الملك ليرى إن كان يقابله..

وكدنا نحدد موعد المقابلة بين حسن البنا ويوسف رشاد..

وفى أحد الأيام كنت فى منزل يوسف رشاد فدق جرس التليفون وكان الملك هو

إبراهيم عبدالهادى باشا.. أراد الملك فى نهاية رئاسته للحكومة أن يتراجع عن «ضربة الإخوان»

المتكلم.. واستمع يوسف لحظات قصيرة.. ثم قال حاضر.. وانتهت المكالمة.. ونظر إلى يوسف وقال لى: إن الملك يقول:

- إلغ كل ما قلته لك بشأن حسن البنا..

ويئست أنا من المحاولة، وخصوصا أنى كنت أقوم بها فى حالة تنكرى واختفائى.. وأبلغت حسن البنا بيأسى..

ومرت أيام.. وسقطت الأحكام العرفية، وبدأت أظهر من جديد.

لم ييأس حسن البنا.. كان حريصا على لقاءالملك ليهدئ من مخاوفه.. فعاد يطلب إلى أنور السادات أن يواصل مسعاه لدى صديقه د.يوسف رشاد ليحاول اقناع الملك بلقائه.

ويقول السادات:

وكنت فى بيتى بعزبة النخل فى إحدى الليالى، عندما أقبل حسن البنا، ومعه المرحوم محمود لبيب* فتناولا معى طعام العشاء..

وأخذ حسن البنا يتحدث عما يمكن أن تجنيه البلاد اذا ما اتحدت الكلمة، وهدأت شكوك الملك فى الإخوان.. ولكنه كان فى هذه المرة شديد التحفظ يكتفى بالتلميح عن التصريح، لوجود المرحوم محمود لبيب..

وفهمت أنا أنه يريد منى أن أعاود الكرة. وألح فى تدبير مقابلة له مع الملك.. فلمحت له بدورى، بأنى سأفعل..

وفى اليوم التالى، قصدت إلى الإسكندرية، فقد كان الملك هناك فى تلك الأيام، وكان يوسف رشاد إلى جانبه، وتحدثت مع يوسف رشاد فى الأمر وأقنعته بمعاود المحاولة.

وبذل يوسف رشاد جهداً كبيراً مع الملك..

وضحى فى سبيل ذلك تضحية.. كانت كبيرة فى ذلك الوقت!

فقد غضب منه الملك، وأقصاه عن صحبته عشرة أيام طوال.. وعندما عاد يقربه، قال له: إياك أن تفاتحنى مرة أخرى فى هذا الموضوع»!

*رئيس الجناح العسكرى للإخوان فى الجيش..



ش

عندما مات إبراهيم عبدالهادى.. سارت فى جنازته قيادات الدولة

•••

ويتابع السادات حديثه بعد ذلك عن محاولات البنا لقاء الملك وعن محاولته إيجاد قناة أخرى للاتصال بالملك..

يقول أنور السادات:

«وللتاريخ بعد ذلك أذكر، أن الملك فى يوم من الأيام، قد دعا إليه يوسف رشاد، وطلب منه أن يتصل بحسن البنا، وأن يستمع إلى ما كان حسن البنا يريد أن يقوله له..

والتقى يوسف رشاد بحسن البنا وتحدث معه ثلاث ساعات.. وقال لى يوسف رشاد، إنه خرج من هذه المقابلة، مقتنعاً تماماً بخلوص نية حسن البنا نحو الملك.. وأنه ذهبت إلى الملك فنقل إليه كل شئ.. واذا به يفاجأ بالملك يقول له: حسن البنا ضحك عليك!!

هذا ما قاله لى يوسف رشاد..

وقال لى أيضاً بعد ذلك بأعوام، إن الملك فى أواخر عهد إبراهيم عبدالهادى قال له:

- أحنا غلطنا فى ضربة الاخوان.. وحقنا نرجع لسياستنا القديمة..

وسألت يوسف رشاد، وما هى السياسة القديمة؟.. فقال: صدقنى.. أنا لا أدرى.. ولكن يبدو أن صلة أخرى قد حدثت بين حسن البنا وبين الملك عن طريق غير طريقى.. وأن الملك قد اتخذ لفترة قصيرة خلال عام ١٩٤٦ موقفا معينا من الإخوان.. ثم عدل عنه بعد حرب فلسطين..

قال لى ذلك.. ثم قال: والله أعلم»

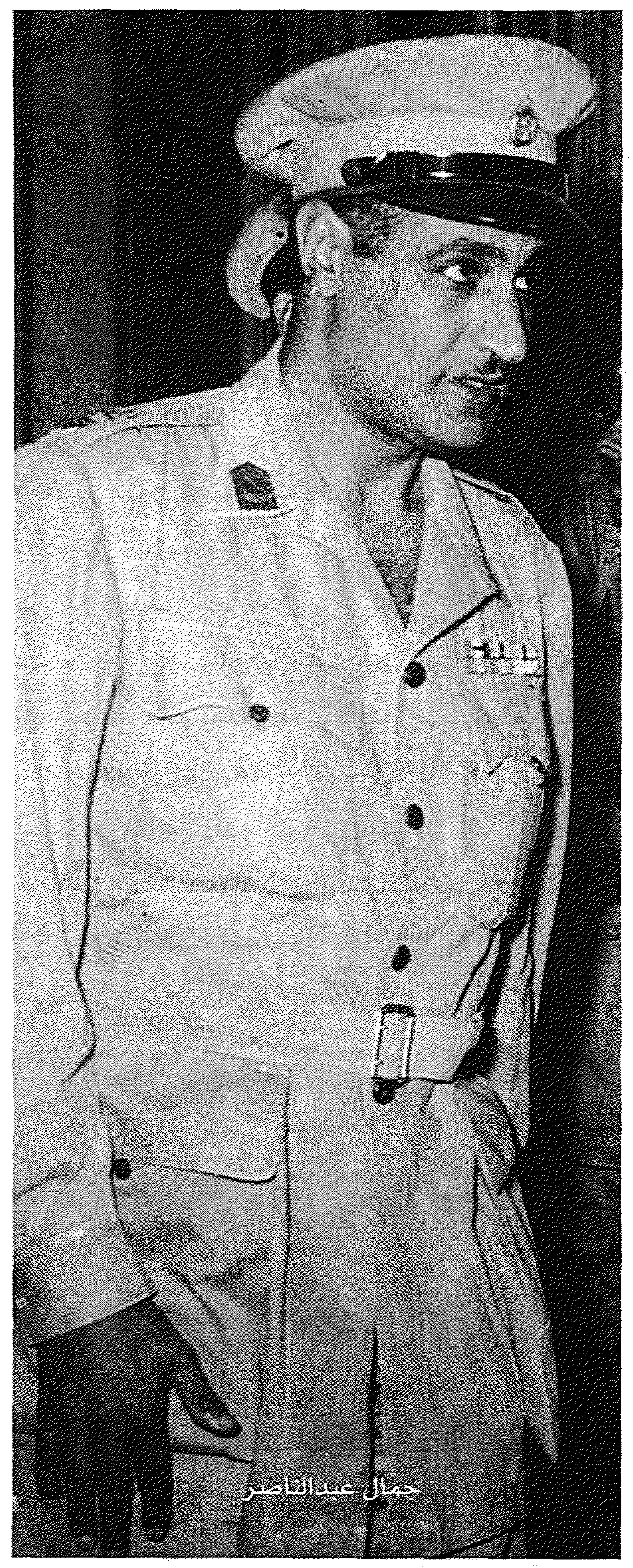
يقول أنور السادات:

«هذه هى العناصر التى كانت فى الأجواء خلال الفترة بين عامى ١٩٤٥ و١٩٤٦ وفى هذه الفترة، كان جمال عبدالناصر قد بدأ خطته الجديدة»

•••

الفصل السادس

الإخوان يتغلغلون في الجيش


جمال عبدالناصر

فى مقال نشر بـ «الجمهورية» فى يوم السبت ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٤، عاد أنور السادات يتحدث عن اتصال ضباط الثورة فى مرحلة الإعداد لها بالكثير من الأفراد والجماعات والأحزاب.. فى سبيل تحقيق هدفهم.. ثم يبرر بعد ذلك الابتعاد عن هذه الاتصالات، بعد أن ظهر لهم عنصر التضليل فيمن كانوا يتصلون بهم.

يقول أنور السادات:

«وليس غريباً أيضاً فى سبيل الوصول إلى هذا الهدف أن تنأى جماعتنا بنفسها نأياً شديداً، عن كل وسيلة يظهر عنصر التضليل فيها، سواء أكانت الوسيلة حزباً أم جماعة أم فرداً».

ويتحدث أنور السادات مرة أخرى عن الفترة التى تلت حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ فيقول: إنها كانت فترة عصيبة، وكانت

مجالا لنشاط كبير.
ويضيف:
«كانت طوائف الشباب المجاهد المختلفة الاتجاهات، قد زج بها فى السجون والمعتقلات ومستشفيات المجانين.. وبقيت خارج الأسوار جماعة الإخوان المسلمين من ناحية، وجماعات صغيرة ضئيلة العدد من الشباب الساخط تجتمع لتفكر وتزداد سخطاً، أو تجتمع لتدبر أمراً كهذا الذى كنا ندبره، ولذا اعتقلت بسببه واعتقل معى عزيز المصرى.. وآخرون..».

●●●

ويشير أنور السادات إلى ما اتخذته جماعة الضباط عقب حادث ٤ فبراير ببضعة أشهر «باستقلال خطواتهم داخل الجيش عن كل مؤثر خارجى، وعن كل قيادة خارجية».
وهذا القرار كان بسبب إحدى الجماعات والتى كانت تتستر وراء أحد الضباط، ولم يسم السادات هذه الجماعة، التى حاولت إشراك الضباط فى عمليات إرهابية.. ولكن جمال عبدالناصر رفض ذلك وقال يجب أن «ألا نكون آلات ولا أدوات فى يد أحد من الناس ولا جماعة من الجماعات، مهما كانت وحدة أهدافنا ومهما كانت درجة إخلاصهم».
هل كانت هذه المحاولة، التى رفضها جمال، من جماعة الإخوان؟!.. لم يفصح عن ذلك أنور السادات فى مقاله هذا.. ولكننا سنرى فيما بعد كيف تصرف جمال.. وأنور السادات.. فى مواجهة الاتصالات والتعاون مع الإخوان.

●●●

نشطت جماعة الإخوان المسلمين نشاطا كبيرا فى ضم عدد من ضباط الجيش إليها بين عامى ١٩٤٤ ، ١٩٤٥.. ونشطت كذلك كما يذكر أنور السادات «فى الاتصال بجمال عبدالناصر ومجموعة أصدقائه».
ويقول السادات:
«ليس سراً أن عدداً من الضباط كانوا قد ألفوا دعوة الإخوان وأحبوها.. ورأوا فيها أملا ومخرجا لمصر من محنتها..».


الرئيس أنور السادات

وكـانت الصلة بين الإخـوان وضباط الجيش هو الضابط عبدالمنعم عبدالرؤوف..
ولعلنا نذكر أن السادات نفسه كـان هو الذى قـدم هذا الضـابط إلى الشـيخ حسن البنا، عندما طلب إليه البنا أن يحدد ضابطا آخر غيره ليضمن استمرار الاتصالات مع جماعة الضباط، إذا حدث ما يعوق السادات عن متابعة هذه الاتصالات.
وتحت عنوان «التعـاون لا الانضمـام».. كتب أنور السـادات فى مقـاله فى «الجمهورية» فى يوم الثلاثاء ٢٣ فبراير ١٩٥٤ يقول:
«كـانت الصلة بين الإخـوان وبين ضباط الجيش، ضابط هو الصـاغ عبـدالمنعم عبدالرؤوف.. وكان عبدالمنعم يدعو ضباط الجيش إلى الانضمام لصفوف الإخوان، ويعرفهم دائماً بالصاغ «محمود لبيب» ليتولى هذا قيادتهم فى طريق الدعوة».
ويضيف السادات:

«كان الضباط يرحبون بهذا التعاون.. إنهم كانوا يريدون متنفسا ينفسون به عن آلامهم الحبيسة كقوة وطنية مقيدة بأغلال الحياة العسكرية.. وكانت كثرة الضباط ترى أن يقوم التعاون دون الانضمام.. فمن سمات الرجل العسكرى ألا يخضع لأوامر تأتيه عن غير الطريق العسكرى الذى يندرج فيه».

●●●

ويتحدث أنور السادات عن «الطقوس» التى كان «الإخوان المسلمون» يقومون بها عند ضم أحد الضباط إليهم..

يقول:

«كانوا إذ ذاك يذهبون ليلا، إلى حى الصليبة فإذا ما انطوى الحى عليهم، قادهم رسول الإخوان فى أزقة مظلمة متعرجة، حتى يصلوا إلى بيت عتيق.. فيصعدون درجا يؤدى بهم إلى غرفة مظلمة، لا أحد فيها، ولا تفتح نوافذها. ويجلس الضابط إلى منضدة، وضع عليها مصحف، ومسدس.. ثم يدخل إلى الغرفة فى الظلام رجل لا يراه الجالس، ويلقنه يمين الإخلاص للدعوة، فيؤدى هذا القسم ويداه موضوعتان على المصحف والمسدس.

وتنتهى هذه العملية فيخرج الرجل من الغرفة أولا.. ثم يخرج الضابط ليجد رسول الإخوان الذى جاء به فى انتظاره يقوده مثلما جاء به إلى خارج الحى».

●●●

ويقول أنور السادات إن جماعة الإخوان وقعت فى أخطاء كثيرة فى صلتها بالضباط.. يفصلها أنور السادات على النحو التالى:

«كان الضباط ينضمون إلى هذه الجماعة، أو يتعاونون معها، وفى يقينهم أن دورهم فى هذا التعاون هو دور التنظيم والتدريب لشباب الإخوان المتحمس الذى يتحرق شوقا للتدريب العسكرى وحمل السلاح فى انتظار الفرصة التى تأتيه فداء للوطن..

ولكن تنظيمات الإخوان، كانت لا تفرق بين الضباط وغيرهم.. حتى لقد كانوا يحددون للضباط مواعيد التدريب.. فإذا أقبلواوجدوا واحداً من

المدنيين، يعطيهم دروساً فى كيفية استعمال المسدسات!

وكانت هذه الأساليب تزعج الضباط إزعاجاً شديداً.. فهم يقبلون على الإخوان.. وعلى دعوتهم كضباط مدربين، لا كجماعات فى حاجة إلى التدريب.. وهم يشعرون بمرارة وأسى يملآن قلوبهم عندما يجدون الجزاء الوحيد لهم على هذا الإقبال الوفى، هو أن يعلمهم مدنى، كيف يستعملون السلاح!

وفوق ذلك، فلم تكن خطة الإخوان واضحة لهم.. ولم يكن أحد يصارحهم بشئ.

وكانوا يتساءلون.. متى نعمل.. وما هو نوع العمل الذى نعد أنفسنا ونعد شباب الإخوان له.. فلا يجابون على سؤال.

وكانوا يسألون: فما هو المطلوب منا..؟!

فيقال لهم: أن تثقوا فى قيادة الدعوة.. وأن تعملوا ما يطلب منكم فى حينه فحسب»..

●●●

واستمرت هذه الفترة نحو عامين.. ولكن تطورات عديدة حدثت خلالها.. ولجأ الضباط ممن انضموا إلى الإخوان، إلى الفريق عزيز المصرى يسألون العديد والتوجيه.. «بعدما لمسوه من جمود فى الإخوان»..

يقول أنور السادات:

حدثت خلال هذه العامين: «أحداث ظن هؤلاء الضباط أن كل حدث منها سيكون الناقوس الذى تصدر على أثره أوامر العمل المطلوب».

ولكن هذه الأحداث مرت بكل رنين النواقيس.. والإخوان فى جمود.. والضباط المنضمون إليهم فى حيرة من أمرهم.. لا يعرفون ماذا يصنعون..».

ولكن الضباط ضاقوا بالأمر.. فماذا فعلوا؟

يقول أنور السادات:

كان هؤلاء الضباط المنضمين للإخوان «يلجأون إلى أصحاب الرأى يسألونهم العون والتوجيه»..

«وكان ممن ذهبت إليهم جماعة الضباط المنضمين للإخوان الفريق عزيز المصرى..

والفريق عزيز المصرى، طبيعته النزاعة إلى التحرر من كل قيد.. وشخصيته المستقلة دائماً وطريقته فى تربية ضباطه وأبنائه على الاستقلال بالرأى وقوة الشخصية، والعمل بالإرادة.

ويقول لك هؤلاء الذين ذهبوا إلى الفريق عزيز المصرى، أنه قال لهم: «كونوا إخوانا اذاشئتم.. ولكن لا تقفوا عند هذا الحد».

ولما سألوه عما يصنعون أجابهم:

- اقرأوا.. اقرأوا كل كتاب.. اقرأوا فى السياسة ومذاهبها.. والاقتصاد وفنونه، والاجتماع وأبوابه.. اقرأوا وأضيئوا فى رؤوسكم هذا المصباح الذى وضعه الله فيها لكى يضاء لا لكى يهمل ويهال عليه التراب.

اقرأوا.. ثم اضربوا فى الأرض. واعرفوا الناس، وجربوا بأنفسكم كل شئ.. ولا تتقيدوا بدعوة، ولا بزعيم.. ولا تربطوا أنفسكم برأى، قد ترون غيره غدا اذا ما استنارت بالعلم رؤوسكم».

ويقول أنور السادات: إن هؤلاء الضباط استمعوا إلى نصيحة عزيز المصرى.. ومع أنهم ظلوا على صلتم بدعوة الاخوان إلا انهم جميعاً أخذوا هذه النصيحة مأخذ الجد.. وبدأوا يقرأون..».

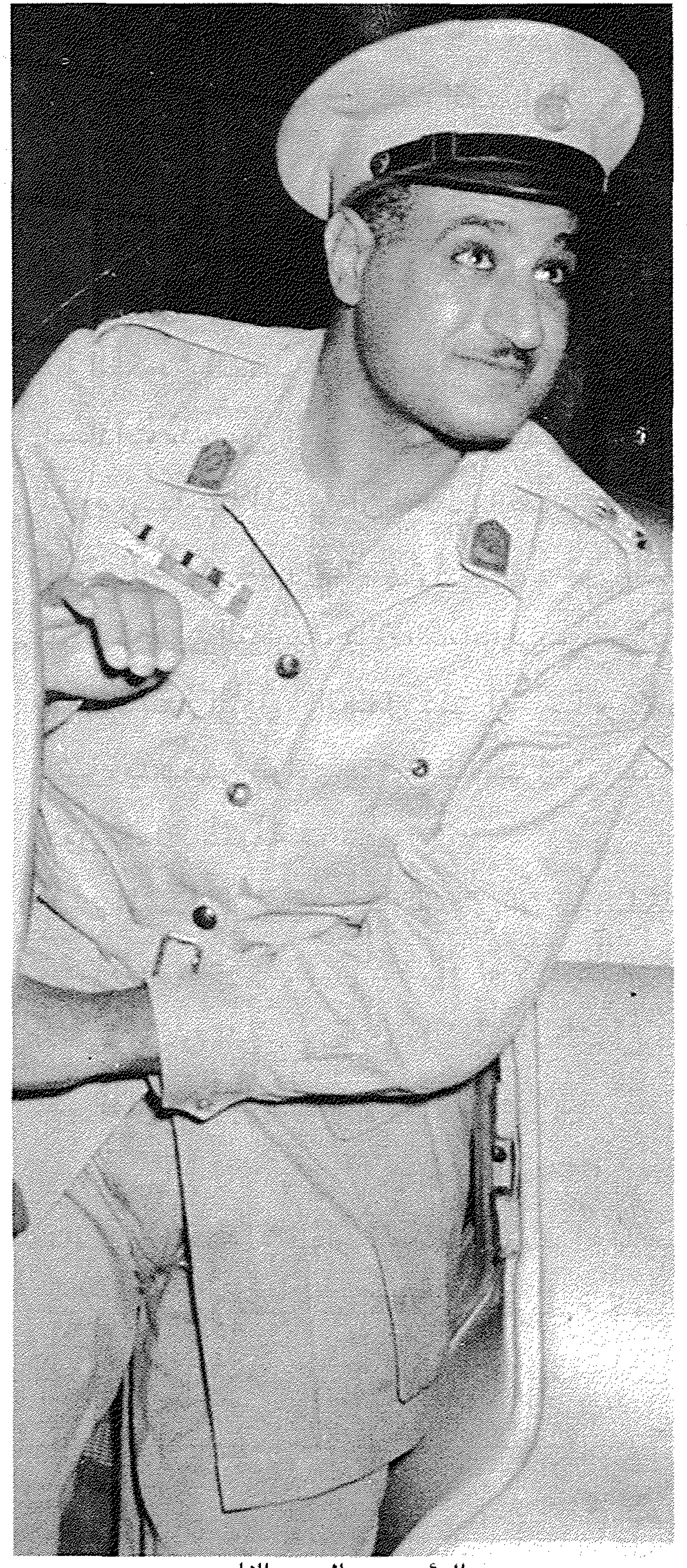
ويقول أنور السادات إن من هؤلاء الضباط كان هناك عدد «يفخر بهم جيش مصر.. لأنهم استطاعوا أن يجمعوا بين روحانية الدين، وبين ضوء العلم، وحقائق الحياة المادية التى خلقنا لكى نعيش فيها.. وكل هؤلاء قد انضموا إلى «الأحرار» بمجرد تكوينهم..».

●●●

الفصل السابع

عبد الناصر.. والإخوان

تغلغل الإخـــوان إذن فى الجيش.. بينما كان تنظيم الضباط يتصل بهم.. ويتابع أيضا اعجاب بعض الضباط بدعوة الإخوان.. ثم ضيقهم بجمودها.. فماذا كان رأى جمال عبدالناصر فى كل هذا؟


الرئيس جمال عبدالناصر

أصبح عبدالمنعم عبدالرؤوف رجل الإخوان في الجيش.. وتقدم إلي عبدالناصر ليضمه إلي الإخوان..

يقول أنور السادات عن ذلك:

«يوم طلب منه عبدالمنعم عبدالرؤوف أن تقوم بينه هو وجماعته صلة مع الإخوان.. رحب بقيام هذه الصلة.. على أن تظل لجماعته شخصيتها المستقلة وتفكيرها الخاص».

ويضيف السادات:

«هكذا كانت تقاليد جماعة الضباط تتخذ صورا واضحة.. كان أهم هذه التقاليد هو أن تظل الجماعة قائمة بنفسها، عاملة بإرادتها محددة لخطواتها.. وفى كلمتين اثنتين: ألا تكون آلة ولا أداة فى أى يد؟!»

●●●

بدأ التكوين الفعلى «للأحرار» فى عام ١٩٤٤.. معتمدا على ما أسماه السادات «دستور الصداقة».. «الصداقة» التى استطاعت أن تحوط مبادئ الثورة بسياجها المتين وأن تحمى النفوس من نزواتها».

واتفق الجميع على أساسين آخرين حتى لا تفلت من الجيش قيادته إلى أيد قد لا تحسن التوجيه، بالانضمام إلى بعض الهيئات والجماعات.

وكان المبدأ الأول: «العمل على ألا يتأثر الضباط بالأحداث الجارية، أى تأثير، يدفعهم فرادى أو جماعات على القيام بأى عمل دون وعى أساسى، ودون خطة حكيمة مرسومة».

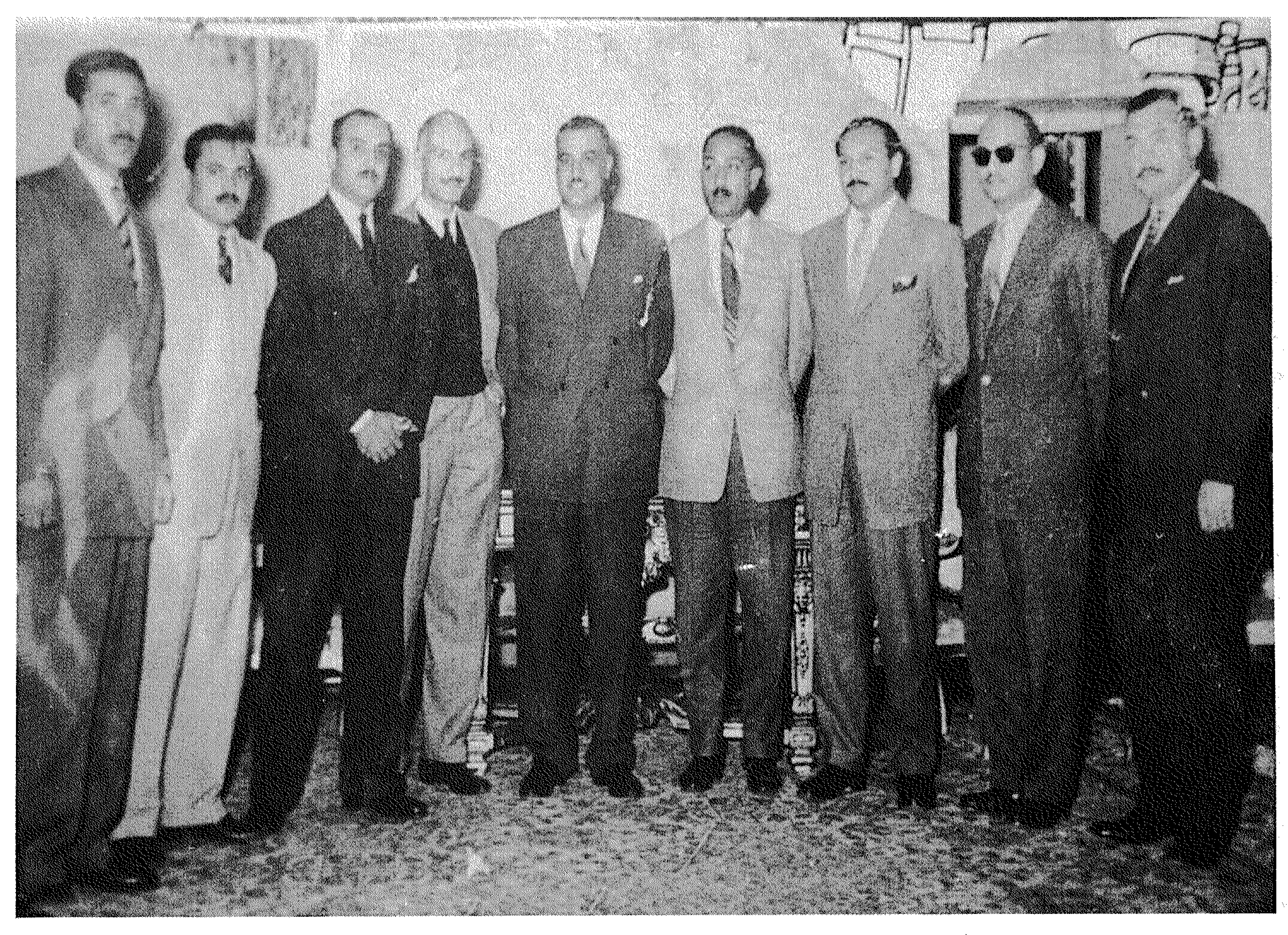
وكان المبدأ الثانى: «العمل على أن يحتفظ ضباط الجيش باستقلال تفكيرهم، فلا يرتبطون كأفراد أو كجماعات بأية هيئة أو حزب خارج نطاق الجيش، لأن الجيش عنصر خطير يجب أن يظل توجيهه فى الأيدى القادرة على تقدير خطره، فلا يكون أداة فى يد أحد أو جماعة من الناس».

●●●

وكانت «مهادنة الإخوان المسلمين لإسماعيل صدقى» كما يقول أنور السادات خير تأكيد لأهمية عدم الارتباط بأية جماعة خارج نطاق الجيش: «ففى فبراير ١٩٤٦، وقعت حوادث الجامعة المشهورة فأثارت حماسة الضباط للحركة الشعبية، وحقدهم على السلطة الحاكمة والمستعمرين.

●●●

وفى خلال الأيام التى تلت هذه الحركة وقعت المهادنة بين صدقى وجماعة



عبدالناصر وأعضاء مجلس قيادة الثورة

الإخـوان المسلمـين.. فـأيدت هذه المهـادنة دعـوتنا إلى عـدم الارتبـاط بـأية جماعة خارج نطاق الجيش، إذ وضح فى أثنائها التناقض بين ضباط الجيش الذين كانون ـ كأفـراد ـ على صلة بالإخـوان المسلمين، وبين جمـاعـة الإخـوان كـجمـاعـة لهـا سيـاسـتـهـا، التى أوحت لهـا فى ظرف من الظروف أن تهـادن حكومة صدقى ضد حركة الشعب.....»

●●●

الفصل الثامن

الضباط.. والإخوان.. وحرب فلسطين

اتجهت مجموعة الضباط إلى تكوين جهاز سرى فى داخل الجيش، يناط به الإعداد للعمل الكبير والقيام بهذا العمل أيضا فى اللحظة المناسبة.. ولكن.. وكما يقول السادات: «جاءت الأحداث تؤجل هذه الخطوة، وتحول اتجاه السخط إلى ناحية لم تلبث أن كانت حجر الزاوية فى تهيئة الجو لنجاح هذه الثورة».. «فقد أقبل عام ١٩٤٨.. وأقبلت معه أحداث فلسطين.. أو بصورة عامة حرب فلسطين».

«والتهبت المشاعر عقب الاعتداءات اليهودية المتتابعة على عرب فلسطين العزل من السلاح».. وتدافع الشباب العربى فى مختلف البلاد لخوض الحرب المقدسة.. وكانت جماعة الإخوان، كما يقول أنور السادات هى: «أكثر الجماعات فى ذلك الوقت تحمسا للتطوع والقتال».

ويقول السادات أيضا إن مجموعة الضباط فى ذلك الوقت كانت «ترى واجبها تدريب الشبان الذين يتطوعون للقتال، والتطوع معهم لقيادتهم خلال المعركة..».

وفى مقاله بجريدة «الجمهورية» فى يوم السبت ١٣ مارس ١٩٥٤، يصرح أنور السادات بأول اجتماع مباشر بين جمال عبدالناصر وحسن البنا.. فقد بدأت فى تلك الفترة: «صلات جديدة مع جماعة الإخوان، صلات بين المجموعة، وبين قيادة الجماعة».

●●●

يقول أنور السادات راويا تاريخ هذه الفترة فى بداية الإعداد لدخول حرب

فلسطين، ودور جماعة الإخوان فيها.. ودور مجموعة الضباط كذلك:
«عقدت اجتماعات فى بيت المرحوم حسن البنا، ضمت جمال عبدالناصر، وكان إذ ذاك فى كلية أركان الحرب، وكمال الدين حسين ضابط المدفعية» وبعض الضباط المنتمين للإخوان.. وفى نفس الوقت نشأت صلات بين المجموعة وبين الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين.. وبين المجموعة وبين الجامعة العربية..

وكان هدف المجموعة من هذه الصلات جميعا، هو تكوين تنظيمات وتشكيلات مسلحة وتدريبها وإعدادها إعدادا كاملا بكل ما تحتاج إليه من خبرة ومن سلاح، قبل التطوع لخوض غمار المعركة المقدسة.

وكان الإخوان يقولون إنهم مستعدون إلى أقصى الحدود، وأنهم لا ينقصهم سوى السماح لهم بالسفر إلى ميدان المعركة.

وكان المفتى والجامعة العربية إلى جانبه، يكونان تشكيلات من المتطوعين، وقد أعلنت الجامعة أنها على استعداد لتسليحهم والانفاق عليهم.

● ● ●

ولكن كيف يشترك الضباط فى هذه الحروب، وكان ذلك قبل أن تقرر مصر دخول الحرب رسميًا؟.. يقول أنور السادات :

«وبقى دور الضباط.. فقد كان الضباط لا يستطيعون الاشتراك فى الحرب إلا إذا أعلنت من الدولة إعلانا رسميا، واشترك الجيش فيها ، ولم يكن قد تقرر بعد إعلان الحرب.

ولذلك فكر الضباط فى الخروج من الجيش، والاشتراك فى الحرب كمتطوعين وبدأت الطلبات تنهال على قيادة الجيش من ضباط المجموعة ومن عدد كبير من الضباط الآخرين.. وكانوا يكتبون فى طلباتهم، أنهم مستعدون لتقديم استقالاتهم، أو طلبات الاحالة إلى الاستيداع، على أن تتركهم الحكومة يذهبون إلى الميدان بأسلحتهم.

وكانت الحكومة مترددة فى ذلك أشد التردد، مما أوجد الضباط فى حالة من الغضب، وزاد من حدة السخط فى قلوبهم.

ولكن ضغط الحوادث كان قاسيا وخطيرا.. وشعرت الحكومة بأنها لابد أن تعمل عملا.. واقتربت اللحظات الحاسمة، مع ازدياد فظائع اليهود يوما بعد يوم.


البطل أحمد عبدالعزيز على الجبهة أثناء حرب فلسطين

قبول التطوع

وفكرت الحكومة فى أن ترسل جماعة من ضباط سلاح المهندسين إلى فلسطين، ليقوموا ببعض الأعمال الاستكشافية.. ووجدت أن خير وسيلة لذلك، هى أن تقبل ما كان الضباط يطالبون به من إباحة إحالتهم إلى الاستيداع أو قبول استقالاتهم، وتركهم للذهاب إلى الميدان بأسلحتهم كمتطوعين.

وفوجىء الضباط باشارات تأتيهم لمقابلة الفريق عثمان المهدى «باشا» رئيس

هيئة أركان حرب الجيش فى ذلك الوقت.

ولبى الضباط الاشارة، وفى مكتب رئيس أركان الحرب، وجدوا الفقيد أحمد عبدالعزيز.. وأخبرهم الفريق عثمان المهدى، أن طلباتهم قد قبلت، وأنهم يستطيعون إعداد أنفسهم للتطوع للقتال.

٤ قطاعات

كانت الجامعة العربية إذ ذاك قد بدأت تنظيم تشكيلاتها بالاشتراك مع مفتى فلسطين، وكان قد تقرر تقسيم فلسطين إلى أربعة قطاعات بأربع قيادات ميدان، على أن تخضع القيادات الأربع للجنة العسكرية التى جعل مقرها دمشق، ومثل مصر فيها اللواء صالح حرب.

وكان القطاع المصرى فى فلسطين هو قطاع الجنوب، وقد عينت الجامعة لقيادته اللواء سليمان عبدالواحد سبل.

وكانت المجموعة تعرف اللواء سبل من قبل.. فقد كان الفرق إبراهيم عطا الله قد أخرجه من الجيش.. فأقام الضباط له حفلة تكريم فى نادى الضباط، لا لتكريمه فعلا ولكن تحديا لإبراهيم عطا الله.

وكان مع اللواء سبل، ضابط مخابرات هو اليوزباشى مصطفى كمال صدقى، وقد سافر سبل إلى فلسطين مع متطوعى الجامعة العربية والمفتى.. ولكنه لم يمكث هناك طويلا، فقد دب النفور بينه وبين ضابط مخابراته.. ثم عاد هو، ولم يرجع مرة أخرى إلى الميدان.

استعداد..

وكان الضباط المتطوعون فى تلك الأيام يعدون أنفسهم للسفر.. يعدون أنفسهم بالسلاح، وتدريب الجنود الذين سيحاربون تحت إمرتهم، فلما عين المرحوم أحمد عبدالعزيز قائدا لقوات المتطوعين فى فلسطين، ذهبت

المجموعة معه إلى منزل اللواء سليمان عبدالواحد سبل لتحصل منه على معلومات عن الجبهة.

وكان مؤسفا، أنها لم تستطع الحصول على أية معلومات ذات قيمة عسكرية.

ومضى الضباط يواصلون استعدادتهم.

وكان أقسى ما يواجههم هى عمليات الإستعداد.. فللأسف الشديد كانت ظروف الإعداد قاسية موئسة لأى ضابط، مثبطة للهمم. قاتلة للأرواح».



الشهيد أحمد عبدالعزيز ومعه كمال الدين حسين فى جبهة القتال فى فلسطين

ويتابع أنور السادات رواية مهزلة سفر الضباط والجنود إلى فلسطين، غير مزودين بالعتاد اللازم.. يقول السادات:

«كانت الحكومة مثلا تريد من الضباط والجنود أن يسافروا إلى ميدان القتال غير مزودين إلا بالبنادق!

وكان الضباط يحاولون إقناع المسئولين بأن البنادق وحدها لا تكفى وأن السفر بغير مدافع، يعتبر انتحارا، أو يعتبر مهزلة يدفع المتطوعون ثمنها من أرواحهم.. ولكن الحكومة لم تكن تتحرك لصرخاتهم.

وبدأت الأيام تمر، ومع مرورها بدأ اليأس يخيم على النفوس، حتى لقد عاد كثير من الضباط فى قرار التطوع، ورجعوا إلى خدمة الجيش بعد أن كانوا قد قطعوا شوطا فى استعدادتهم.

لم يكن أحد يشك فى أنها حرب ضد عدو مجهز بأحدث وسائل القتال.. وأخيرا.. وبعد جهود طائلة سمحت الحكومة للمتطوعين بأن يأخذوا معهم عددا من المدافع.. وكان هذا انتصارا عظيما، فرح الضباط به.. والجنود!

خطابات

وجاءت ليلة السفر.. وفى ليلة السفر وقعت بعض المفارقات والحوادث التى لا تنسى.

فى ذلك اليوم.. يوم السفر.. اعتذر عبدالمنعم عبدالرءوف عن الذهاب إلى الميدان.. وكان متطوعا، ولا يدرى أحد لماذا تردد، فقد كان حتى ذلك اليوم شديد الحماس.

ولم يكد نبأ اعتذاره يعرف حتى تقدم اليوزباشى خالد فوزى ليحل محله فى التشكيلات المسافرة.

وعندما ذاع نبأ اعتذار عبدالمنعم عبدالرءوف، دب الذعر فى نفس أحد الضباط فإعتذر بدوره أيضا، وإذا بالمرحوم اليوزباشى أنور الصيحى يتقدم

لكى يحل محله، وكأنما كان يسعى إلى قدره.. فقد استشهد أنور الصيحى فى أول معركة عقب وصوله إلى أرض فلسطين.

وفى مساء ذلك اليوم جمع أحمد عبدالعزيز جميع المتطوعين، وخطب فيهم قبل السفر.. وكل من حضر تلك الليلة يذكر خطاب أحمد عبدالعزيز.. ويذكر قوله بحماس لهؤلاء المتطوعين، أنكم لا تذهبون لقتال عدو فحسب..ولكنكم ذاهبون لتكتبوا التاريخ.

وفرغ أحمد عبدالعزيز من خطابه.. وإذا بالجمع يرى المرحوم حسن البنا ومعه الشيخ فرغلى، قادمين لوداع المسافرين.. وخطب حسن البنا وخطب الشيخ فرغلى.. واشتد الحماس وبلغ أوجه.

وفى الحقيقة كانت الروح عالية، وكان الحماس



عبدالرحمن عزام باشا.. أول أمين عام للجامعة العربية

شديدا .. وكان الكل ذاهبا لكى يموت أقدس ميتة وأشرفها .. ولكن هذا لم يكن يعنى أمامَ الضابط العارف بأسرار القتال وفنون المعارك، أن العمل من أوله إلى آخره لن يؤدى إلى نتيجة تذكر مهما حسنت الظنون».

●●●

ويتحدث أنور السادات عن نوعية المتطوعين فيقول:

«كان المتطوعون خليطا من شباب الإخوان المسلمين. ومن أفراد الليبيين.. وما تعرفه الجيوش النظامية جميعا باسم الضبط والربط.. كان مفقودا تماما بين هذا الخليط الذى لم يتعود الحياة العسكرية. ولا يستطيع أن يفهمها فى أيام معدودة.

وكان الضباط حيارى بين الإخوان المسلمين بنظمهم الخاصة وتقاليدهم المعروفة، وبين الليبيين الذين كان السيد عبدالرحمن عزام قد أتى بهم وقال إنهم خير المحاربين وأشدهم بأسا وأقواهم شكيمة.

ولكن روح الفداء التى كانت مسيطرة على الجميع كانت توحى بإمكان التغلب على جميع المصاعب والعقبات..

ورحلة قافلة المتطوعين..

والذى أفادته حركة الجيش من هذه الرحلة..رحلة المتطوعين إلى أرض القتال، لا يمكن تقديره بحال من الأحوال.. فقد كانت هذه الرحلة وحدها كافية لكى تخلق فى كل ضابط قدرا من السخط، يكفى لكى يدفعه دفعا إلى الموت فى سبيل تغيير الأوضاع القائمة فى البلاد، إذا حدث أن عاد من الحرب سليما».

●●●

ومن المهازل التى يرويها أنور السادات ما حدث من «أصحاب العهد» الذين انتهزوا فرصة الحرب لكى يسووا الناقص منها.. ويقول أنه نتيجة لذلك فإن «أسوأ الأسلحة أعطيت للمسافرين وأسوأ العربات أعطيت لهم.. وأكثر من

ذلك قام كل صاحب عهدة بجرد عهدته جردا خاصا، لكى يحضر الناقص منها، ويكتبه فى كشوف الأسلحة والمعدات المسافرة إلى الميدان.

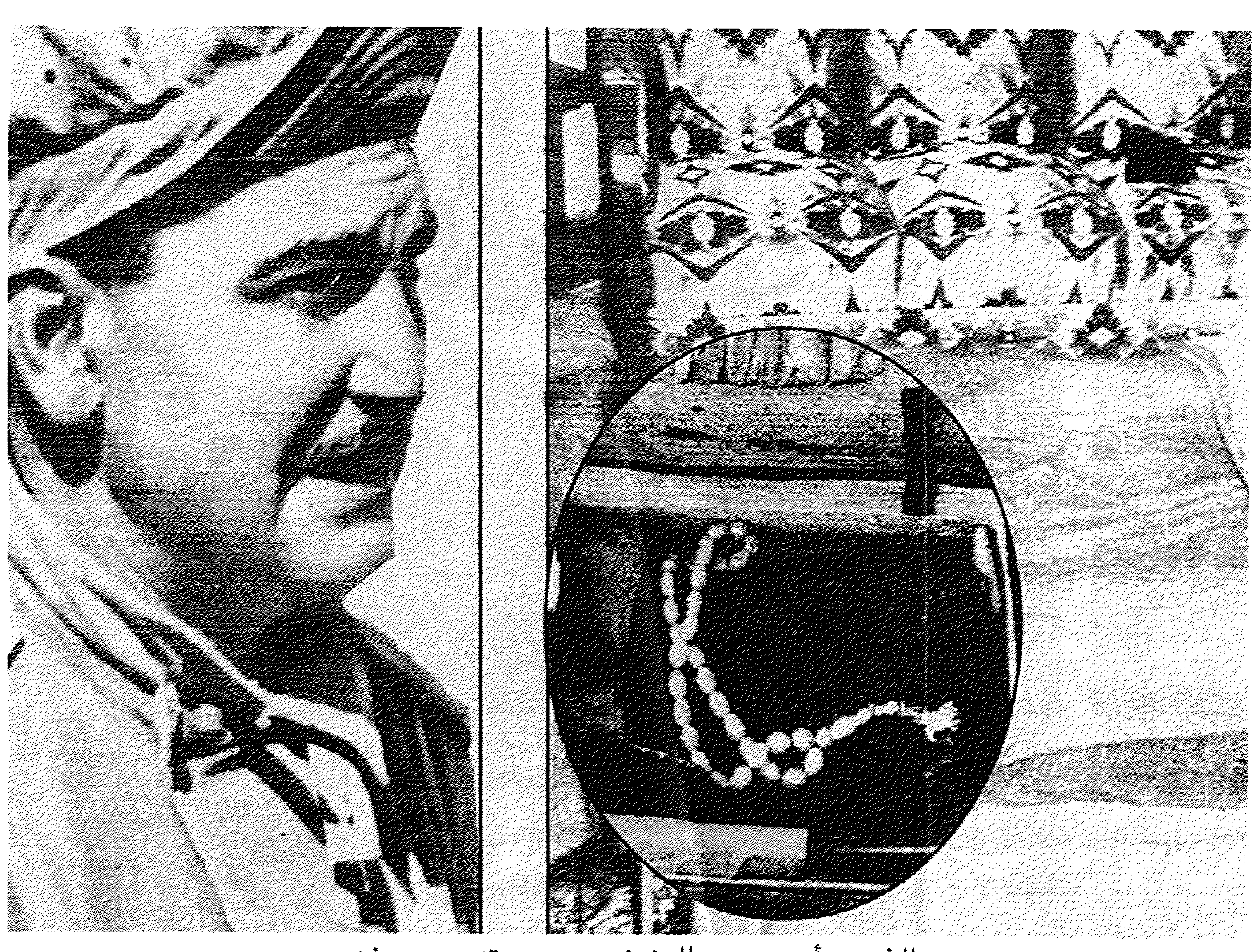
وهكذا كنت تجد فى الكشوف ما لا تجد فى الحقيقة.. بل كانت الكشوف تحوى أضعاف الأسلحة والمعدات الموجودة فعلا فى أيدى الجنود لأن أصحاب «العهد» وجدوا فى هذه المناسبة فرصة العمر لتغطية ما فى ذمتهم من نقص شديد».

●●●

ويشير أنور السادات إلى ما لا قاه المسافرون من عطف.

ويقول أن الذين كانوا يعطفون على المسافرين فعلا، ويساعدونهم فعلا هم إخوانهم الضباط والجنود والعمال الذين التقوا بهم فى الطريق.

«ففى العريش مثلا، قام رجال الصيانة بفحص العربات المسافرة، والذعر



الشهيد أحمد عبدالعزيز.. ومسبحته ومصحفه

والأسى والحزن مخيم عليهم جميعا.. فقد كانت كلها سيارات قديمة لا تصلح لشىء.. وقضى رجال الصيانة هناك ليلهم ونهارهم عاكفين على إصلاح السيارات وإعدادها لكى تستطيع أن تكمل الرحلة إلى الميدان.

وكان الضباط يقولون لإخوانهم «الله معنا.. فالذهاب إلى الحرب بسيارات كهذه نوع من الانتحار».

ومع كل هذا، فقد كانت الروح أقوى، والحماسة أشد من أن يجرفها اليأس.

وسافر المتطوعون، وقد لزموا فى طريقهم فلنكات السكة الحديد، حتى وصلوا إلى رفح..ثم إلى خان يونس.

وفى خان يونس.. فوجىء الضباط فى اليوم التالى بحضور عبدالمنعم عبدالرءوف.. وهكذا لم يتخلف هذا الضباط الذى كان معروفا بين إخوانه بالحماس».

●●●

الفصل التاسع

عبد الناصر.. وتهمة التعاون مع الإخوان

سارت الحرب في فلسطين سيرها الذي نعرفه جميعا.. وتطورت الأمور في مصر تطورات سريعة.. وحلت جماعة الإخوان المسلمين.. واغتيل رئيس الوزراء.. وأصبح إبراهيم عبدالهادى باشا رئيس الوزراء الذى جاء لرئاسة الوزارة بعد اغتيال محمود فهمى النقراشى باشا رئيس الوزراء، وهو اغتيال قام به أحد عناصر الاخوان المسلمين، ويتحدث أنور السادات فى مقاله فى «الجمهورية» فى يوم الثلاثاء ٣٠ مارس ١٩٥٤ عن استدعاء جمال عبدالناصر لمقابلة رئيس الوزراء إبراهيم عبدالهادي باشا له ليوجه له تهمة التعاون مع الاخوان المسلمين..



إبراهيم عبدالهادي باشا

فى بداية مقاله يتابع أنور السادات الصورة الذهنية والعاطفية لضباط الجيش ومنهم ضباط مجموعة الثوار يوم دخول الحرب والفرق بينها وبين صورتهم الذهنية والعاطفية يوم عادوا من هذا

الحرب.. ويشرح كيف حارب الجيش بلا سلاح وبلا معدات وبلا معلومات كافية عن العدو وبقيادة تقود الحرب من القاهرة.. ففجعوا فى الحرب فى أوائلها.. وكانت أواخرها فترة تأمل ويقين وعاد الجميع من الحرب مدركين أن القيادة «يجب أن تتغير.. قيادة الجيش وقيادة البلاد».

● ● ●

يقول أنور السادات في هذا المقال:

«النتيجة التى عاد بها الجيش على أى حال.. هى المرارة والسخط والتصميم على تغيير هذه القيادات جميعا... تغيير الأوضاع القائمة فى البلاد من أساساتها.

ولعل القارئ لم ينس أن هذه الحرب قد انتهت فى عهد عبدالهادى المعروف بعهد الارهاب.

وفى هذا العهد، عادت القوات المصرية من فلسطين.. وقررت المجموعة أن تبدأ العمل فورا، فقد كانت هذه هى اللحظات المناسبة فعلا لتكون نقطة البدء فى العمل السرى الكامل الذى يؤدى إلى تغيير الأوضاع فى البلاد.

وكان لابد للمجموعة أن تتخذ لها قاعدة تعمل منها، أى أن تعمل على أن يستتب بعض رجالها فى مكان معين، وأن تحرص كل الحرص على إبقاء هذه القاعدة حتى لا تعمل فيها يد التشتيت».

القبض على جمال

«وبينما كانت المجموعة تفكر فى هذا الإرتكاز، فوجئت المجموعة بزيارة غير مرغوب فيها من الفريق عثمان المهدى «باشا» رئيس هيئة أركان حرب الجيش حينئذ، لمنزل جمال عبدالناصر.

ولم يكن الفريق عثمان المهدى وحده فى هذه الزيارة، فقد كان معه عدد من ضباط البوليس الحربى.

ولم يكن هدف الزيارة هدفا عاديا.. وإنما كان الهدف هو القبض جمال عبدالناصر، وتفتيش بيته.

وقام رجال البوليس الحربى بالتفتيش، فلم يجدوا فى البيت سوى بضع

طلقات.. فقد كان جمال عبدالناصر حريصا دائما.

أما جمال، فقد اصطحبه عثمان المهدى. إلى «دولة» إبراهيم عبدالهادى باشا رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى العام والمسئول الأكبر فى عهد الارهاب.

وهناك فى مكتب رئيس الوزراء والحاكم العسكرى العام، جرت مناقشة طويلة بين جمال وبين عبدالهادى.. فقد وجه عبدالهادى لجمال تهمة التعاون مع الإخان المسلمين مستدلا على ذلك بأنه - أى جمال - قد قام بتدريب بعض شبان الاخوان على السلاح، أثناء الحرب وقبيل قيامها.

أما جمال.. جمال الثائر الذى كان عائدا من الفالوجا.. فلم يكن لديه من الصبر ما يمكنه من عدم الاحتداد فى المناقشة على الحاكم العسكرى العام.

ولعلها كانت مفيدة.. فقد تريث إبراهيم عبدالهادى فى



جمال عبدالناصر

إصدار الأمر باعتقاله.. وأرسل رسله يأتونه بأخبار جمال.. ثم أفرج عنه فورا.. لأنه أدرك أن لهذا الضابط شخصية معينة بين ضباط الجيش، وأن له كيانا خاصا فى صفوفهم، فخشى أن يعتقله فتكون القشة التى تقصم ظهره، وظهر العهد من بعده».

●●●

ويتابع أنور السادات بعد ذلك حديث عن بداية العمل بعد العودة من الحرب وظهور اسم الضباط الأحرار لأول مرة..

يقول أنور السادات:

«انتهينا من هذه المشكلة.. وبدأنا فى التكوين.. تكوين القاعدة أولا..

وكانت القاعدة مكونة - كما قررنا - من جمال وعبدالحكيم وزكريا محيى الدين وصلاح سالم.

واستطاع كل منهم أن يجد له مكانا شبه ثابت فى القاهرة.

فجمال وكان برتبة صاغ فى ذلك الوقت قد عين فى مدرسة الشئون الإدارية بالجيش.

وعبدالحكيم عين فى مدرسة المشاة.

وزكريا عين فى الكلية الحربية.

وصلاح استقر فى وحدته بالقاهرة.

وفى الأيام التى تلت ذلك فرغنا من وضع أساس التنظيم كله.

فأسمينا أنفسنا بالضباط الأحرار.. الأحرار فى كفاحهم فى سبيل الحياة، والأحرار فى سعيهم إلى تحرير وطنهم من الاستعمار والاستغلال والفساد، وكذلك الأحرار من الانتماء إلى أى هيئة أو جمعية أو تشكيل معروف.

ووضعنا أهداف التشكيل وطبعناها.. وتم توزيعها فعلا على الضباط الأساسيين فى التشكيل.. وظهر اسم «الضباط الأحرار لأول مرة».

●●●

الفصل العاشر

الأحداث تتلاحق ..
والثورة تقوم
والإخوان خارج الثورة



الرئيس محمد نجيب

فى مقالاته فى «الجمهورية» يمر أنور السادات مرورا سريعاً على تطورات الأحداث بعد ذلك.. من حرب القتال.. حتى حريق القاهرة.. ثم قيام الثورة.

ويصف أنور السادات السنوات ١٩٥٠، ١٩٥١، ١٩٥٢ وهى السنوات التى شهدت اكتمال بتنظيم الضباط الأحرار بأنها كانت سنوات الاستعداد والدراسة الكاملة للموقف وتحديد موعد البدء.. وفى نهايتها أو قرب نهايتها وقعت معركة القنال.. وتم تحديد عام ١٩٥٢ أو ١٩٥٣ موعدا للثورة.. وتم انتخاب جمال عبدالناصر بالإجماع رئيسا للضباط الأحرار وأعيد انتخابه مرة أخرى فى يناير ١٩٥٢ لسنة أخرى.. وتم أيضا

فى ذلك الإجتماع اختيار اللواء محمد نجيب رئيسا لحركة الضباط فى يوم تنفيذها، ولم يتم إخطاره بذلك..

ولتهيئة الموقف الداخلى بعد الثورة قرر الضباط الاتصال بالوفد..

وخيبت نتيجة اللقاء آمال الثوار فى الاستعانة بالوفد أو غيره..

ثم حدث حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢.

●●●

ويتحدث أنور السادات عن هذه الفترة واصفا ذعر الملك فاروق بعد الحريق وتفكيره فى الهروب من البلاد، ثم قرار الضباط بتحديد شهر مارس ١٩٥٢ للقيام بالثورة أو كما أسموها «الحركة».. ثم اضطرارهم للتأجيل للمرة الأخيرة.

يقول أنور السادات:

«لقد ذعر فاروق ذعرا شديدا.. وفكر فى الهرب من البلاد وأعد نفسه للسفر فعلا ووجدنا نحن أنفسنا فى موقف من يجب أن يعد نفسه للعمل فى أية لحظة ومهما كانت الظروف والعقبات».

سنعمل وحدنا

واجتمعنا وحددنا موعدا تقريبيا لحركتنا شهر مارس ١٩٥٢ أى بعد أيام قليلة من موعد ذلك الاجتماع.. ووضعنا خطتنا كاملة، وكنا قد راعينا فيها الأساس الأول الذى اتفقنا عليه من بدء التدابير الأولى للحركة، وهو أن ينفرد الجيش بهذه الحركة انفرادا كاملا، دون الاعتماد على أية هيئة أو جماعة أو حزب، فقد كانت اتصالات جمال عبدالناصر، المتعددة، مع جميع الهيئات قد أثبتت لنا بصورة قاطعة أنه لا توجد هيئة واحدة على استعداد للقيام بأى عمل جدى إلى جانبنا.

واتخذنا هذا الموقف لأكثر من اسبوع.. موقف التأهب الكامل للقيام بالحركة

فى أى وقت.

ولكن الأسبوع الذى مر بعد ذلك جدد أحداثا جديدة فى حياة البلا.. فقد أقيلت وزارة على ماهر.. أو استقالت مرغمة.. وجاء شهر مارس بوزارة الهلالى وبأسلوب جديد.. وهدأت مخاوف فاروق وقرر البقاء فى البلاد.. ووجدنا فرصتنا تكون أكبر إذا انتظرنا قليلا حتى تتكشف الأمور ويفيق الشعب من الذهول الذى أوجدته الأحداث فيه.

وهكذا قررنا تأجيل موعد الحركة الذى كنا قد حددنا له شهر مارس.. وكان هذا هو التأجيل الأخير»

●●●

ثم جاءت معركة نادى الضباط ووضع الضباط الأحرار كل ثقلهم وراءها استعراضا لقوتهم وقدرتهم، ولفرض إرادتهم على القصر.



جمال عبدالناصر

وقرر الضباط أن ينفرد الجيش بكل شىء فى القيام بالثورة..

ويقول أنور السادات:

«قام جمال باتصالات كافية مع جميع الهيئات التى يمكن أن تكون عاملا مساعدا فى الثورة وإذا بالنتيجة الوحيدة التى نخرج بها هى أن الجيش يجب أن يتحمل وحده جميع أعباء التنفيذ لأن جميع الهيئات والأحزاب التى اتصل بها قد أثبتت أنها غير جديرة بالثورة ولا مستعدة لعمل أى شىء».

●●●

وقامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.. لتبدأ مرحلة جديدة من حياة مصر.. مع ثورة يوليو .. وتبدأ أيضا مرحلة جديدة لثورة يوليو مع الإخوان المسلمين.. ثم مرحلة جديدة أيضا لنظام الحكم مع هذه الجماعة.. التى أصبحت «محظورة».. وتدرجت فيها الأمور من التعاون والتشاور فى مطلع الثورة.. إلى شق صفوف الجماعة بتعيين وزراء منها على غير رغبتها.. إلى أن جاء الصدام الكبير مع محاولة الإخوان اغتيال جمال عبدالناصر.. وكان صداما بلا رجعة.. وحتى الآن.. وإن تخللته فترة الرئيس أنور السادات التى استرد فيها الإخوان بعض أنفاسهم.. ولكن الصدام لم يتوقف بعد ذلك وحتى الآن.

صلاح عطية

salahattia@hotmail.com

ملاحق الكتاب

١١ مقالا

بقلم:

أنور السادات

نشرتها

الجمهورية

في الفترة :

من ٧ ديسمبر١٩٥٣

إلى ١١ مايو ١٩٥٤

ذهب الملك .. تحيا القيادة
السياسيون يستعملون أسلحة جديدة لتضليل الشعب
إشاعات بسبب التحقيق فى مقتل حسن البنا

بقلم : أنور السادات



الاثنين ٧ ديسمبر سنة ١٩٥٣ — خفايا وأسرار — «الجمهورية» — ٥

صفحات مجهولة من كتاب الثورة

بقلم أنور السادات

ذهب الملك تحيا القيادة!

السياسيون يستعملون أسلحة جديدة لتضليل الشعب

إشاعات بسبب التحقيق فى مقتل حسن البنا

هذه صفحات مجهولة من تاريخ الثورة التى انبثقت فى مصر فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، فجعلت من هذا التاريخ نقطة تحول بين عهدين، عاشت مصر فى أحدهما راسفة فى قيود الذل والعبودية والمهانة، وتطلعت إلى الحياة فى ثانيهما تطلع الذليل إلى العزة، والكسير إلى الكرامة..

هى صفحات مجهولة.. ولكنها ليست كل ما يجهله المصريون من صفحات.. فدون نشر التاريخ الكامل لهذه الثورة، أعوام يحيانها، تستقر فيها كثير من الأوضاع وتكتمل فيها كثير من العناصر، وتنتهى فيها تماما هذا الشعب الصابر المكافح من عدوان صارخ على حريته، وبقايا انتهازيتها أرضعته قرون العبودية وأجيال الاستعمار

إنها ثورة الشعب.. ولهذا فمن حق هذا الشعب أن يعرف من تفاصيلها الدقيقة كل شىء..

وهى ثورة مصر.. ولهذا فمن حق مصر أن تجد من يسجل لها على الورق قصة جهادها، وثمرة كفاح أبنائها، ليحفظ لها فى التاريخ عهدا من الكفاح تريده لتشترى به عزة وكرامة ومجدا وحياة وافرة آمنة.

مناجاة مع الفجر

تكملة الكفاح

يدخلون الجحور!

حديث المعجزة!

أين الحقيقة

دور البطل!

بداية القصة

... والوفد أيضا!

وصاية الوفد!

ها هو معجون الأسنان العجيب
كولجيت
الأخضر الجديد
COLGATE
CHLOROPHYLL TOOTH PASTE
كولجيت بالكلوروفيل

الصفحة الخامسة من «الجمهورية» العدد الأول الصادر فى يوم الإثنين ٧ ديسمبر ١٩٥٣.

إن أحدا لم يكن يتوقع شيئا عندما نام ليلته فى نهاية اليوم الثانى والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٥٢، فلما أصبح الصباح كان الناس فى شبه ذهول. فقد توالت الأحداث منذ الفجر على صورة لم يألفها هذا الشعب ولا كانت تستطيع أن تطوف بخياله، بعد أن تاهت منه أحلامه وآماله، فى ظلمة الأيام وسواد الليالى، طيلة أشهر ستة ثقيلة مرة..

نكسة الكفاح

رأى كفاحه المسلح من أجل حريته، ينتكس فجأة يوم ٢٦ يناير(*).. ورأى مدينته العزيزة تشتعل بالنار التى إنطفأت فى اليوم نفسه من معسكرات أعدائه... ورأى أبناءه الذين ذهبوا يذودون عن شرفه وحريته، يعودون إلى المدينة مكبلين بالأغلال، ليقضوا أيامهم خلف أسوار المعتقل... ثم رأى نفسه، وقد أصبح فى نظر الحاكمين خطرا داهما على أرضه، ووطنه ومدينته، فألزموه البيت كلما جاء المساء، عقابا له على إنطلاق آماله، وإلزاما له بالتكفير عن خطاياه...

الخيانة والدسائس

ورأى الإشاعات والمخاوف تملأ الجو من حوله، حلقات الخيانة والدسائس تحيط بحياته، وخمسا من الوزارات تتتابع على مقاعد حكمه العرفى، لم يعرف لماذا أتت، ولا لماذا ذهبت ولكنه لعنها جميعا فى سره وفى علنه... وما كان يملك غير هذه اللعنات، وقد سلب القدرة على العمل، وسدت فى وجهه منافذ الآمال..

وفجأة، وبدون أية مقدمات، تحرك الجيش وتوالت الأحداث وفى صباح ٢٣ يوليو، كان الناس بين مصدق ومكذب.. كانت الفرحة تشملهم، ولكنها فرحة تشوبها المخاوف، وتتنابها الظنون والتكهنات لأن البيان الذى طلع عليهم لم يشف نفوسهم، ولم يضئ أمامهم كل المصابيح، وجاء الأصدقاء الى القيادة، ونفوسهم تحترق على مصيرنا، إذا نحن لم نجهز على الملك، وإذا نحن حصرنا هذه الضربة فى نطاق الجيش وحده، كما فهموا من البيان..

وأخذوا يذكرون الفساد والاستهتار وما آلت اليه البلاد من فوضى سياسية وخلقية ومعنوية... ويطالبوننا بالعمل الكبير الحاسم قبل أن تضيع الفرصة، وتفلت الآمال..

وكان هؤلاء جميعا أصدقاء... مجرد أصدقاء شبانا مخلصين... ولم يكن بينهم واحد فقط من رجال السياسية وقتذاك..

ومضى يوم ٢٣

ومضى يوم ٢٤

ومضى يوم ٢٥

مرت هذه الأيام الثلاثة، ولم نسمع فيها كلمة من سياسى واحد، ولم نر فيها وجها لسياسى واحد...

لقد لزم فيها جميع السياسيين بيوتهم، وإعتصموا بالصمت والحذر، فلم يتحرك منهم الا أولئك النفر الذين ظنوا أن الملك باق على عرشه، فهرعوا يقيدون أسماءهم فى سجل التشريفات... يوم ٢٤

وجاء يوم ٢٦.

حدثت المعجزة

وما أن وافت الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح ذلك اليوم، وكان قد عرف فى دوائر السياسة أن فاروق قد وقع التنازل(**) وأنه بسبيل مغادرة البلاد فى الساعة السادسة، حتى وقعت المعجزة...

● حريق القاهرة ٢٦ يناير ١٩٥٢

●● تنازل الملك فاروق عن عرش مصر فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢.

وكانت المعجزة، هى خروج السياسيين من جحورهم، وتقاطرهم علينا وفودا، وفودا من السياسيين، ومن جميع الألوان والمذاهب والإتجاهات، تطرق أبوابنا فى مقر القيادة بثكنات مصطفى باشا، ابتداء من الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح ذلك اليوم..

جاءوا إلينا جميعا، حتى أولئك الذين قيدوا أسماءهم قبل الأمس... ولاء وإخلاصا فى سجل تشريفات الملك..

دور البطل

ولم يضيع السياسيون وقتا بعد ذلك...

فمنذ الصباح فى يوم ٢٧، بدأت كل هيئة سياسية، بل بدأ كل سياسى فى هذا البلد، يعد نفسه لمعركة جديدة يحلم فيها بدور البطل...

لاشىء قد تغير، فى نظر السياسيين والهيئات السياسية.

لا شىء، الا إختفاء شخص الملك، وظهور أشخاص رجال القيادة..

كان لسانهم الناطق يقول: ذهب الملك تحيا القيادة!!

وهذا التغير الشكلى، قد يستتبع تغييرا فى الأساليب، وتجديدا فى أسلحة السياسة، ولكنه لا يستتبع أبداً، تغييراً فى الهدف... الهدف الرئيسى لاحتراف السياسة منذ وجد فى مصر محترفوها .

سلاح جديد

ومثلما خاض السياسيون المعارك تحت أقدام فاروق فى سبيل الوصول إلى أسلاب الحكم ومغانمه، بدأوا منذ اللحظة الأولى لطرده يخوضون معركة جديدة، يقتسمون فيها هذه الأسلاب والمغانم...

وكان لابد أن يختار كل منهم سلاحا جديدا يناسب لون المعركة الجديدة.. وكان لابد أن يكون السلاح براقا أمام أسلحتهم القديمة.. وكان هذا البريق هو المنطق المعقول الذى يحاولون الدخول به إلى الأذهان فإذا ما إنفتحت عقول الناس لهم أكملوا القصة بأكاذيب وأراجيف تعودوا صياغتها لكى يصلوا إلى ما يبتغون.

وكانت عقول الناس فعلا مهيأة لقبول أى منطق معقول.. وقد رأى الناس أشياء لم يستطيعوا فهمها وسمعوا عن أسماء لايعرفون عن أكثر أصحابها شيئا وترددت فى آذانهم إشاعات لايستطيعون تكذيبها لأن الحقائق لاتزال مستورة عن عيونهم.

أين الحقيقة؟

كان الناس يريدون أن يعرفوا من أمر هذه الثورة ومن أمر الرجال الذين يقودونها كل شىء.. كانوا يريدون أن يعرفوا من نحن وأين كنا وكيف إجتمعنا ومتى إجتمعنا وكيف أعددنا خطتنا وما هى تفاصيل هذه الخطة وكيف نفذناها وماذا ننتوى.. وهل لدينا مشروعات معدة وماذا يدور فى رءوسنا وماذا سوف نصنع.. وكيف نجحنا..؟

هل من ورائنا قوة معينة.. وما هى هذه القوة..؟

هل فى صدورنا إتجاه معين.. وما هو هذا الإتجاه..؟

أسئلة كثيرة كانت تدور برءوس المصريين جميعا ولم يكونوا يجدون لها جوابا منا.. ولكن.. كانت الإشاعات تجيب..! وإنطلقت أول اشاعة تقول إن هذه الثورة ثورة إخوانية يقودها ويوجهها من وراء الستار الإخوان المسلمون.

وكانت هذه الاشاعة تطوف بالناس وبين يديها دليل يؤكد صدقها.. فقد كان أول إجراء إتخذته الثورة كجزء من برنامجها الضخم فى إزالة آثار الماضى البغيض ومحاسبة المسئولين عنه بالحق والعدل، هو الأمر الذى

صدر بإعادة التحقيق فى قضية مقتل المرحوم حسن البنا مرشد الإخوان المسلمين.. ولم يقل الناس أن هذا مصرى قد قتل بليل وأحاطت بالتحقيق فى مقتله ظروف مريبة وإتخذت فيه إجراءات شاذة.. ثم طوى على سر دفين وقاتل مجهول.. لم يقل الناس هذا ولم يقولوا أن من حقهم كمصريين أن يعاد التحقيق فى هذه الجريمة المنكرة وأن يؤخذ جناتها بالقصاص.. ولكن قالوا أن خلف الثورة، جماعة الإخوان المسلمين..

وبدأ بعد ذلك تساؤل كثير..

إن كانت هناك صلة بين هذه الثورة وبين الإخوان المسلمين.. فمتى بدأت؟

وإلى أى مدى وصلت؟

وماذا كانت أهدافها؟

وماذا أنتجت؟

وهل إستمرت أم إنقطعت؟ وفى جملة واحدة:

ما هى قصة الثورة مع الإخوان المسلمين؟

بداية القصة

سؤال واحد يعود بالذاكرة إلى إثنى عشر عاما قبل ظهور هذه الثورة.. إلى عام ١٩٤٠عندما بدأت قصتنا مع الإخوان.

وهذه القصة لايعرفها المصريون ولايعرفها جمهرة الإخوان ولايعرفها العدد الأكبر من رجال قيادة الإخوان وكل ما يعرفه المصريون هو ماذاع من إشاعات بعد ذلك بأيام.

.. والوفد أيضاً

ومع ذلك.. فليس هذا هو كل ما لابس هذه الثورة من مظاهر ومن إشاعات.. ومن محاولات..

فقد كان هناك الوفد أيضا..

وللوفد أيضا قصة مع هذه الثورة قصة لايعرفها المصريون ولا يعرفها أيضا عدد كبير من رجال الوفد أنفسهم.

وصاية الوفد

فالناس لايعرفون أن إتصالنا بالوفد قد بدأ قبل ظهور الثورة بزمن طويل.. ولا يعرفون أننا فى وقت من الأوقات قد وضعنا خطتنا على أساس أن نأتى بالوفد ونفرضه فرضا على فاروق كشرارة أولى للثورة ثم نكمل نحن التنفيذ الخطر.

لايعرف الناس شيئا من كل هذا ولايعرفون كيف تخاذل الوفد عن القيام بدوره فى هذه الخطة ولا لماذا..

ولكن هذا كله يعرفه بعض زعماء الوفد.. الذين حاولوا بعد يوم ٢٧ يوليو أن يفرضوا وصايتهم على الثورة.. وأن يمهدوا لهذه الوصاية بسيل كبير من الإشاعات والروايات والمظاهر.. وأن يحاولوا خلق أمر واقع يحيطون به الثورة ويلبسونها ثوبا لم تفكر فيه يوما من الأيام!!

سر النشاط

وقد بدأ هذا بمجرد عودة مصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين من الخارج فى الأسبوع الذى تلا فاروق.

عاد الرجلان.. فعاد النشاط إلى أقصاه فى صفوف الوفد.

الاجتماعات المتتالية تعقد..

ومندوبو الصحف يسهرون الليالى فى دار الزعامة...

وأعمدة الصحف تمتلىء كل يوم بالأخبار والأسرار والتكهنات والقرارات الخطيرة التى يتخذها رجال الوفد..!

وعاد الشباب الوفدى فورا يملأ ردهات النادى السعدى وعاد الهمس وعادت الهتافات وسارت الإشاعات تشكل الوزارة وتملأ المناصب الهامة فى الدولة وتتكهن بالمستقبل وتحدد تواريخ الأحداث الخطيرة المقبلة.

وسمع الناس أيضا هذه الإشاعات.. ثم لم يسأل أحد منهم نفسه سؤالاً واحدًا يستطيع أن يقضى عليها..

لماذا عاد النحاس وسراج الدين من مصيفهما بأوروبا عقب الثورة مباشرة؟! أيمكن أن يكون الزعيمان الكبيران قد ارتحلا إلى أوروبال إبان أعنف الأزمات السياسية التى وقعت فى تاريخ مصر.. وخلال أحلك الليالى التى مرت بشعب مصر منذ إحترقت القاهرة وإضطربت كل موازين الحكم فيها، أيمكن أن يكون الرجلان قد سافرا إلى أوروبا ليفكرا هناك بهدوء فى أمر هذا الشعب الذى يزعمان زعامته وهذا البلد الذى حطمه الخراب والطغيان.

لماذا يتركان البلاد فى محنتها فلا يعودان إليها إلا يوم يترامى إلى أسماعهما حديث الثورة فينبه فيهما شهوة جائعة إلى الغنيمة، وقد ظننا أنها أصبحت سهلة بلاحراس؟!

ولكن سؤالا كهذا لم يطف بخاطر أحد ممن سمعوا إشاعات الوفد تنطلق فى كل يوم..

وبينما كان الناس فى دوامة الإشاعات كان سراج الدين يعد خطة الاستيلاء على الغنيمة..

وكانت خطة الوفد فذة فى نوعها يحملها إلينا رسولان.. وإلى لقاء غدا مع خطة الوفد ورسولى سراج الدين.

● نشر فى العدد الأول من «الجمهورية» الصادر فى يوم الإثنين ٧ ديسمبر ١٩٥٣.

الصدفة التى جمعتنى بالمرحوم حسن البنا
إجازة إجبارية للفريق عزيز المصرى
لواءات الجيش يخونون مصر
وضباط جامعيون يتجسسون لإنجلترا

بقلم : أنور السادات

السبت ١٩ ديسمبر سنة ١٩٥٣ — خفايا وأسرار — «الجمهورية» – ٥

صفحات مجهولة من كتاب الثورة

الصدفة التى جمعتنى بالمرحوم حسن البنا

اجازة اجبارية للفريق عزيز المصرى!
لواءات الجيش يخونون مصر..!
وضباط جامعيون يتجسسون لانجلترا

وصلنا من مرسى مطروح الى القاهرة باسلحتنا كاملة وجمعتنا القاهرة باصدقاء متقاد...

وكانوا جميعا يفكرون فيما كنت انا افكر فيه... كانت تسيطر علينا فكرة الحياة...

وقررنا ان نتصل بعلى ماهر، لنعرف منه جميع التفاصيل التى كانت تنقصنا عن الاسباب والملابسات الخفية التى ادت الى استقالته.. فقد كان كل ما نعرفه، هو برقية تشمبرلين، على ماهر يجب ان يستقيل.!

وقررنا ان نتصل بعزيز المصرى، لنعرف منه كل التفاصيل الخاصة بمتاعبه فى الجيش وتدخل الانجليز... ولكى ناخذ رأيه فيما نقدم عليه من عمل كبير.

وراح كل منا يفكر فى الاجواء المحيطة به عن الوسيلة التى يتم بها الاتصال بالرجلين دون اثارة لشبهات المخابرات البريطانية...

واخيرا جاءت الصدفة فى مولد النبى...

بقلم أنور السادات

سؤال خطير

وجامعيون أيضا!

الذين خانوا الجيش

الموعد الاول

عينان من بعيد!

الرجل ذو العباءة!



عزيز المصرى... اجازة اجبارية...



شركة الأمنيبوس العمومية المصرية
شركة مساهمة مصرية (تحت التأسيس)

الصفحة الخامسة من «الجمهورية» فى يوم السبت ١٩ ديسمبر ١٩٥٣.

وصلنا من مرسى مطروح إلى القاهرة بأسلحتنا كاملة وجمعتنى القاهرة بأصدقاء منقباد...

وكانوا جميعاً يفكرون فيما كنت أفكر فيه...

كانت تسيطر علينا «فكرة الحياة»...

وقررنا أن نتصل بعلى ماهر، لنعرف منه جميع التفاصيل التى كانت تنقصنا عن الأسباب والملابسات الخفية التى أدت إلى إستقالته.. فقد كان كل ما نعرفه هو برقية تشمبرلين: «على ماهر يجب أن يستقيل»!

وقررنا أن نتصل بعزيز المصرى لنعرف منه كل التفاصيل الخاصة بمتاعبه فى الجيش وتدخل الانجليز... ولكى نأخذ رأيه فيما نقدم عليه من عمل كبير.

وراح كل منا يفكر فى الأجواء المحيطة به، على الوسيلة التى يتم بها الإتصال بالرجلين دون إثارة شبهات المخابرات البريطانية...

وأخيراً جاءت الصدفة فى مولد النبى...

الزمن: ليلة مولد الرسول من عام ١٩٤٠

والمكان: سلاح الإشارة فى المعادى

وكنت إذ ذاك ضابطاً برتبة ملازم فى هذا السلاح..

ومولد الرسول فى مصر، موسم من مواسمها، يعرف الأطفال فيه عرائس الحلوى، والأحصنة الصغيرة الملونة يركبها فرسان العرب... وتعرف فيه البيوت والدواوين والمجالس النيابية ودوائر السياسة وقصور الأغنياء، الحلوى الحمصية والسمسمية.. ثم.. لا شئ بعد ذلك..!

وعلى هذا الوجه مرت بمصر هذه الليلة، كما مرت بها دائماً... ولكنها لم تمر بى كذلك، فقد كانت، من حيث لا أدري، ليلة البدء لأحداث كثيرة متتابعة سمع المصريون أطرافاً منها، بعضها خافتاً كالهمس، وبعضها مدوياً.. كالقنابل والمتفجرات!

كنا جلوساً فى إحدى غرف السلاح، نتناول العشاء ونتكلم... وكان جنود هذا السلاح، وأغلبهم بطبيعة عملهم فى سلاح الإشارة فنيون متطوعون، قد إعتادوا منى كثيراً أن أحاضرهم وإعتادوا منى دائمًا أن أتناول طعامى معهم، وأن أحدثهم بصراحة وأن يحدثونى بمثلها...

كنا فى أثناء استراحتنا وطعامنا، إخوانا مصريين لا ضابطًا وجنودًا..

ودخل علينا ونحن جلوس للعشاء فى ليلة مولد النبى جندى من جنود السلاح الفنيين، لم يكن موجودًا بيننا منذ بدء هذه الجلسة، وقدم إلينا صديقاً له يلتحف بعباءة حمراء لا تكاد تظهر منه شيئاً كثيراً..

لم أكن أعرف هذا الرجل إلى ذلك اليوم، ولم يثر دخوله ولا ملبسه إهتمامى، ولم يلفت نظرى.. وكل ما هناك أنى صافحته ورحبت به، ودعوته إلى تناول العشاء معنا، فجلس وتناول العشاء...

وفرغنا من الطعام، ولم أعرف عن الضيف شيئاً إلا بشاشة فى وجهه ورقة فى حديثه وتواضعا فى مظهره.

ولكنى عرفت بعد ذلك عنه شيئاً كثيراً...

فقد بدأ الرجل بعد العشاء حديثاً طويلاً عن ذكرى مولد الرسول.. كان هو اللقاء الحقيقى الأول بينى وبين هذه الذكرى...

كان فى سمات هذا الرجل، كثير مما يتسم به رجال الدين:

عباءته، ولحيته، وتناوله شيئاً من الدين بالحديث...

فليس حديثه هو وعظ المتدينين.

ليس الكلام المرتب، ولا العبارات المنمقة، ولا الحشو الكثير ولا الإستشهاد المطروق، ولا التزمت فى الفكرة، ولا إدعاء العمق، ولا ضحالة الهدف، ولا إحالة إلى التواريخ والسير والأخبار.!

كان حديثه شيئاً جديداً...

كان حديث رجل يدخل إلى موضوعه من زوايا بسيطة ويتجه إلى هدفه من طريق واضح.. ويصل إليه بسهولة أخاذة.. وكان هذا الرجل هو المرحوم الشيخ حسن البنا مرشد الإخوان المسلمين.

الموعد الأول

وإنتحى الرجل بى ناحية، وتجاذب معى حديثا قصيراً أنهاه بدعوتى إلى زيارته فى دار جمعية الإخوان المسلمين قبل حديث الثلاثاء... كانت الجمعية اذ ذاك لا تزال فى دارها القديمة التى تشغلها الآن شعبة الجوالة التابعة لها..

عينان من بعيد

وذهبت يوم الثلاثاء.

لم أكد أضع قدمى فى مدخل الدار، حتى شعرت بكثير من الرهبة، وكثير من الغموض...

دخلت من حجرة كبيرة جداً، من هذه الحجرات التى عرفت بها الأبنية المصرية القديمة...

وقطعت هذه الحجرة بأكملها لأنفد من باب صغير..

ونفذت من هذا الباب، لألقى أمامى شيئاً كالحجرة، أو شيئاً كالمر الطويل بين حجرات..

وإنما كان مكتبة..

كان صفوفا طويلة من الأرفف المتقاربة الملتصقة بالحوائط، وقد صفت عليها مئات كثيرة من الكتب ملأت جو المكان برائحة الورق المخزون...

وعلى بعد كبير من آخر هذا الممر.. كانت هناك عينان فقط ترسلان بريقاً قوياً، هما كل ما يظهر من الرجل الجالس خلف مكتبه.. مرشد الإخوان.

وتحدثت مع الرجل طويلاً فى ذلك اليوم...

ولكنه لم يفتح لى كل نفسه...

تحدث معى كثيراً.. ولكنه لم يخرج عن دائرة الدين أبداً.

وحصر نفسه فى هذه الدائرة، ولكنه جعل يتسع بمحيطها شيئاً فشيئاً حتى أصبحت أفقاً كبيراً مليئاً بالمعانى...

ورغم كل المحاولات التى بذلتها فقد فشلت..

ورغم كل ما تطرق إليه الحديث من شئون الجيش، فقد ظل الرجل ملتزماً ناحية الدين، وإهمال الناس له ورسالة الإيمان التى يجب أن يرتكز عليها جهادنا، ووجوب نشر هذه الرسالة فى صفوف الجيش.

سؤال خطير

وتكررت زياراتى بعد ذلك للرجل

وبدأنا نتحدث فى كثير من الشئون العامة.. وبدأت أوقن أن الرجل يطوى صدره فعلاً على مشاريع كبيرة وخطيرة.. لا يريد أن يفصح عنها.. كما أيقن الرجل أيضاً أنى لا أنتوى الإنضمام إلى جمعيته، ولعله شعر أو أدرك أنى أعمل شيئاً، وأنى لست أعمله وحدى...

ولم يرد الرجل أن يعرض على الإنضمام إلى جمعيته، كما أنه لم يحاول أن يسألنى عن أى صلة لى بآخرين.. ولكنى فهمت أنه كان يدرك أشياء كثيرة من الحقيقة فى مناسبة جاءت بعد ذلك بأيام...

وفى يوم تقابلت معه، وكنت ثائراً مكتئباً تملأنى المرارة والألم... فقد صدرت الأوامر فى ذلك اليوم بإعطاء الفريق عزيز المصرى إجازة إجبارية من رياسة أركان حرب الجيش.

وكان معلوماً لنا أن وراء هذه الفعلة أيدى الانجليز... وكان مجرد العلم بهذا كافياً لإثارة نفوسنا، ودفعنا إلى أى عمل قد يراه الكثيرون - فى مثل ظروفنا - من أعمال الجنون!

الذين خانوا الجيش

فقد كنا نعرف ما أراد عزيز المصرى لجيش مصر من قوة ومنعة... وكنا قد بدأنا ننتعش بالنهضة الفعلية التى بعثها الرجل فى الجيش.

وكنا نسمع كثيراً من القصص التى تروى عن محاولات عزيز المصرى الإصلاحية، والمشاكل والعقبات التى توضع أمامه، والأحابيل والشراك التى تنصب له، والتى عرفت بعد ذلك للأسف الشديد أن الذى كان ينصبها له هم كبار ضباط الجيش المصرى نفسه!

وكنا قد تحققنا من الشرك الأخير، شرك الخيانة الحقيقية تقع من ضباط كبار...

فقد جمع الفريق عزيز المصرى لواءات الجيش ليسألهم عن مدى حاجتهم فى أسلحتهم إلى جهود البعثة الإنجليزية، ومدى ما حققته هذه البعثة فعلاً من الإصلاح...

وكان الجيش كله، ما عدا هذه الفئة يتمنى اليوم الذى تزول فيه وصمة البعثة الإنجليزية من وحداته وأسلحته.

وتكلم عزيز المصرى مع الضباط الكبار كلام مصرى لمصريين وكلام قائد لضباطه...

ولكنهم خرجوا من هذا الاجتماع لا ليفكروا ولا ليبحثوا ولا ليسكتوا.. ولكن لكى يذهبوا إلى السادة الإنجليز ويقصوا عليهم حديث قائدهم... وعادوا اليه فرادى...

عاد كل منهم، وطلب مقابلته لكى ينهش فى لحم الآخرين.

ولعل كلا منهم كان يرمى من وراء ذلك إلى الظهور أمام الرجل بمظهر الوطنى، نفياً للشبهة عن نفسه، وإلصاقا بها فى الآخرين، واذا حدث أن وقعت الواقعة وعلم الرجل حديث الخيانة...

ولكن عزيز المصرى، فهم كل شئ، وأدرك أنه بين جماعة من اللواءات لا يفضل واحد منهم أخاه إلا فى خسة النفس وبطلان الضمير...

وجامعيون أيضاً

ولم تكن خيانة اللواءات هى كل ما أحاط بعزيز المصرى من الشراك.. فقد كان الإنجليز أحرص من ألا يرصدوا عليه كل حركة من حركاته فاستطاعوا بأساليبهم المختلفة أن يملأوا وظائف مكتبه بجماعة من الضباط الشبان الحاصلين على شهادات دراسية عليا، والحاصلين على شهادة انجليزية فذة فى نوعها هى شهادة التخصص فى أعمال التجسس للإنجليز.

كل هذا كنا قد بدأنا نسمع عنه.

وكل هذا قد تحققنا منه بعد ذلك.

وجاءت الإجازة الإجبارية لعزيز المصرى كناقوس كبير يدوى فى آذاننا لكى نبدأ العمل...

●●●

وطال الحديث عن عزيز المصرى، ولاح منى شدة إهتمامى بهذا الموضوع، وأبديت رغبة شديدة فى ضرورة لقاء هذا الرجل الذى كان موقفه محور تفكيرنا..

وهنا شعرت بأن المقابلة قد آذنت على الانتهاء، حين قدم لى المرحوم حسن البنا وريقة...

●●●

واستحث هذا الحادث أمنيتنا الكبرى، منذ وصلنا إلى القاهرة: أن نتصل بعزيز المصرى، ونتعاون معه.. وكان الخوف من إثارة الشبهات حول جماعتنا الصغيرة.. أو حول أى فرد منها لايزال مسيطراً علينا.

ويبدو أنى قلت ذلك للمرحوم حسن البنا أثناء حديثى معه فى ذلك اليوم الخطير..

وإبتسم الرجل وسألنى فى بساطة:

ـ هل تحب أن تلقى عزيز المصرى؟ وفوجئت بالسؤال فما تمالكت نفسى من القول:

ـ إنها امنية!

وعاد يسألنى والابتسامة على شفتيه

ـ وما يمنعك من تحقيقها..

وأخذت ألقى إليه بمعلوماتى عن مراقبة المخابرات البريطانية للفريق عزيز المصرى، ومحاصرتها له، ولكل من يحاول الإتصال به، وأوشكت أن أفضى إليه بأنى اخشى أن أحاول ذلك فلا تكون نتيجته أن ينكشف أمرى أنا وحدى.

ولكن الرجل الذى كان يستمع لى ويبتسم كان قد أمسك ورقة صغيرة، وأخذ يخط عليها بضع كلمات.. ثم مد بها يده إلى... وقال لى:

ـ ستلقاه فى هذا المكان.. غداً فى المساء.

وأخذت الوريقة اقرؤها بشغف شديد.. بينما قال لى حسن البنا، والإبتسامة على شفتيه:

ـ واقطع تذكرة عند الدخول كما يفعل الداخلون.!

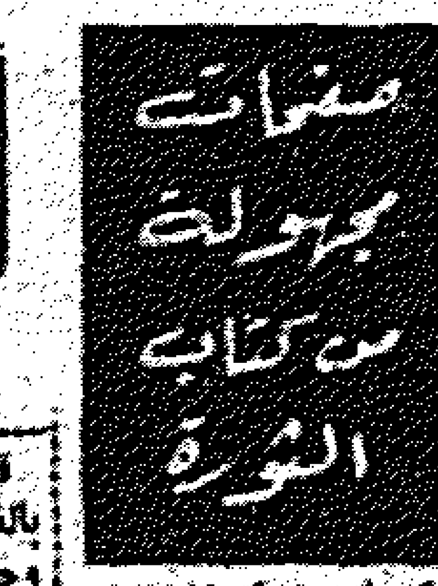
وخرجت من دار الإخوان المسلمين.. أخطو خطواتى الأولى إلى مستقبل... مجهول...

وإلى اللقاء فى الحلقة التالية.. فى الطريق إلى عزيزى المصرى.

● نشر فى العدد الثالث عشر من «الجمهورية» الصادر فى يوم السبت ١٩ ديسمبر ١٩٥٣.

إتهام عزيز المصرى بدس السم لنازلى
الفريق عزيز المصرى يمنح إجازة إجبارية
فاروق ينام فى لندن بملابس السهرة!

بقلم : أنور السادات



اتهام عزيز المصرى بدس السم لنازلى

الفريق عزيز المصرى يمنح اجازة إجبارية

فاروق ينام فى لندن بملابس السهرة

قال لى المرحوم حسن البنا انى سالتقى فى اليوم التالى بالفريق عزيز المصرى ..

وحدد لى موعد اللقاء ومكانه ...

وكنت اعلم ان مقابلتى له فى ذلك الوقت قد تثير كثيرا من الشكوك والشبهات ..

فعلى الرغم من الطمأنينة التى كانت تبدو على وجه المرحوم البنا وهو يحدد ذلك الموعد، فقد كنت انا على يقين من ان مخابرات انجلترا لن تكون نائمة فى ذلك الموعد المضروب ...

وكان على ان ارجع الى تشكيل الاحرار قبل المقابلة وكان على ان اعود اليهم بعد المقابلة ...

فلا بد اذن من الحذر .. ان اى شك يحوم حولى قد يذهب بتشكيل الاحرار كله ..!

بقلم أنور السادات

فاروق يكره اباه!

من هم زملاؤك ؟!

متى بدأ الفساد ؟

الخطة الأولى

ماذا تنتظرون ؟!

الإيمان .. والشباب

لابد من انقلاب



عزيز المصرى



ماذا
وراء
العدد رقم
١٠٠٠
من
آخر ساعة ؟

آخر ساعة

انتظر! ... لا تتعجل! ..

الصفحة الخامسة من «الجمهورية» فى يوم الأحد ٢٠ ديسمبر ١٩٥٣.

قال لى المرحوم حسن البنا أنى سألتقى فى اليوم التالى بالفريق عزيز المصرى...

وحدد لى موعد اللقاء ومكانه...

وكنت أعلم أن مقابلتى له فى ذلك الوقت قد تثير كثيراً من الشكوك والشبهات...

فعلى الرغم من الطمأنينه التى كانت تبدو على وجه المرحوم البنا وهو يحدد ذلك الموعد، فقد كنت أنا على يقين من أن مخابرات إنجلترا لن تكون نائمة فى ذلك الموعد المضروب...

وكان على أن أرجع إلى تشكيل الأحرار قبل المقابله وكان على أن أعود اليهم بعد المقابلة...

فلا بد إذن من الحذر.. إن أى شك يحوم حولى قد يذهب بتشكيل الأحرار كله..!

كنت أشعر فى كل خطوة أخطوها إلى حى السيدة زينب بأنى أخطو خطواتى إلى بدء مستقبل حافل مجهول، لابد أن تقع فيه أحداث جسام.

كنت أعرف أنى ذاهب لأضع قدمى على أول الطريق، ولكنى لم أكن أستطع أن أتخيل إلى أين سوف تقودنى قدماى، أو إلى أى مكان سوف يمضى بى الطريق..

ولم أكن كذلك قد فكرت فى شىء من كل هذا.

فلم يزد الامر عندى عن أنى ذاهب إلى لقاء عزيز المصرى، وأن هذا اللقاء لابد محدث أثراً.

واتجهت إلى العنوان الذى كتبه لى المرحوم حسن البنا قبل ذلك بيوم.. ونظرت إلى فوق فقرأت اللافته الموضوعة على عيادة الطبيب «الدكتور إبراهيم حسن».

وصعدت الدرج بخطى ثابتة، ثم تذكرت أنى «مريض» أو لابد أن أكون «مريضاً» فربما كان البيت مراقبا، بل من المؤكد أنه مراقب، إذا كانت المخابرات البريطانية قد علمت بوجود المصرى فى داخله.. ولأول مرة قمت بدور تمثيلى صغير.. فصعدت الدرج فى تثاقل، ولهثت بأنفاسى مرتين!

وطرقت الباب وطلبت مقابلة الطبيب، وأعطيت خادم العيادة أجر الزيارة، وأخذت منه تذكرة!

وبعد قليل دعانى الخادم إلى غرفة الطبيب.. ورأيت لأول مرة وكيل جمعية الإخوان المسلمين.. ولم يكن غريباً أن الدكتور ابراهيم حسن ينتظرنى.. فقد أخذنى من فورى إلى مكتب ملحق بحجرة الكشف وأدخلنى إليه.. وفى هذا الغرفة، كان عزيز المصرى فى انتظارى.

ماذا تنتظرون؟!

كنت بحاجة أن أقدم نفسى للفريق الذى آمنت بوطنيته.. وكنت أريد أن أقول له كلاماً كثيراً، وأن أكسب ثقته.. لكن رغم كل شىء.. رغم الطريقة التى تم بها اللقاء بينى وبينه، كنت أشعر أن فى قلب الرجل ندوبا عميقة من خيانة الأصدقاء، الكبار والشبان على السواء.. ولكن النفس الصافية، أبت أن تحملنى هذه المشقة.. وفى الدقائق الاولى كان عزيز المصرى يحدثنى حديث رفيق الجهاد..

كان يائسا من الحكومات، يائسا من الملك، يائسا من البرلمان، ولكنه كان مؤمنا بالشباب.. وقال لى:

- عيب هذا البلد أنه ضعيف، وإنه لا يجد العناصر التى تغذيه بالقوة.. وسألته:

وكيف نأتى بهذه القوة..

فنظر إلى وقال:

- أنتم شباب الجيش.. ماذا تنتظرون، ومتى تعرفون مسئوليتكم الحقيقية، ومتى تبدأون فى الإضطلاع بها؟

وعدت أسأله:

- وهل تظن أننا فى داخل الأوضاع القائمة نستطيع اليوم شيئاً؟.

فأجاب وقد إنتفض:

- تستطيعون كل شيء.. وغيركم لا يستطيع شيئاً.. ماذا تنتظرون؟

تنتظرون توجيها منى، من لواءاتكم من حكام البلاد؟.

وسكت وهو يتمتم: كلام فارغ!

ثم نظر إلى فى عزيمة شابة، وقال:

- لقد كان نابليون فى السابعة والعشرين من عمره فقط.. كان مثلك هكذا شاباً صغيراً.. ولكنه إستطاع أن يكون فى تلك السن المبكرة نابليون القائد. وإستطاع أن يقود بلاده وجيشه، ولم يكن يتلقى توجيها من أحد.

وبعد لحظات قال فى عمق:

- التوجيه الوحيد الذى كان نابليون يستلهمه فى كل خطواته، هو الإيمان الذى كان ينبعث من نفسه.. فابحثوا عن الإيمان ولا تعتمدوا أبداً على أحد.. إلا على أنفسكم..

الإيمان.. والشباب

وكان لكلمة الإيمان فى نفسى رنين خاص عميق.. فقد كنت أنا أيضاً أبحث عن الإيمان، وأومن فى الوقت نفسه بأنه المخرج الوحيد لنا من الحيرة التى كان المصريون جميعاً يعيشون فيها.. فلا يكادون يقدمون حتى يحجموا.. تيئسهم الحسرات، وترعبهم المخاوف..

ورغم هذا، فقد قلت له:

- لقد عشت أنت مؤمنا بهدفك وعشت لاتعتمد على أحد.. وتغلبت عليك مع ذلك هذه القوى.. ونحن نريد أن نعمل..

فقاطعنى بقوله:

- إعملوا وحدكم، واعتمدو على شبابكم وإيمانكم.. والذى يستطيع أن يقصى عزيز المصرى عن توجيه الملك والذى يستطيع أن يقصيه عن توجيه الجيش، لا يستطيع أن يقصى شباب الجيش عنهَ..

متى بدأ الفساد؟

وكان كلاما منطقياً حكيماً.. وكان مع ذلك إشارة إلى سلسلة الدسائس التى تعرض لها عزيز المصرى قبل هذه المرة.. فسألته:

- إذن فقد بدأت الدسائس من زمن..

فقال:

- نعم، منذ كنت فى إنجلترا أشرف على تربية فاروق..

وتنهد بمرارة وهو يقول:

- كنت أحب أن تحسن تربيته، لأنه شاب، سواء كنت أنا الذى أربيه أم غيرى.. ولكن يد الخيانة والدسائس إمتدت إليه.. وكانت أقرب إلى قلبه من يدى..

وسألته:

- أتقصد أحمد حسنين؟

فقال:

- أحمد حسنين، وعمر فتحى.. هذان الإثنان تآمرا على فاروق، فتآمرا بذلك على شعب مصر فى شخص ملكه..

وبعد قليل عاد ليتكلم:

- هل تتصور أنى كنت أدخل غرفته صباحا، فأجده نائما بملابس السهرة.. والخمر تفوح من فمه؟!

هذا الشاب الذى كنت أريد له الصلاح والتقوى والوطنية، كانا هما يريدان له الفساد والتهتك والاستهتار.. كانا يقودانه إلى دور الفساد، فلا يعود إلا فى الرابعة صباحا، ويعود مخمورا.. فينام.. ويلقى بنفسه إلقاء على أقرب مقعد.. أو وسادة.

وكنت أحاول أن أنهاه عن ذلك فيخجل.. ولكنهما ينفردان به من بعدى، فيزيلا كل أثر لنصائحى..

وتمهل قليلا.. ثم أردف:

فاروق يكره أباه!

- هل تريد أن تعرف سرا خطيرا..

ولم ينتظر منى إجابة فقال:

- لقد ألقى هذان الاثنان فى وهم فاروق أنى مدسوس عليه من أبيه..

قلت:

- أبيه؟..

قال:

- نعم.. فإن فاروق كان يبغض أباه أشد البغض.. يبغضه من كل قلبه.. وكان يقدس أمه تقديسا شديدا.. فألقى هؤلاء فى وهمه أنى أنا عزيز المصرى أشيع الأقاويل عن أمه، وأنى أريد أن أزيلها من الوجود لكى ينفرد أبوه بحبه.. وانى أعمل الآن على دس السم لها..

وسألته:

- وعرفت أنت كل ذلك؟..

فأجاب:

- نعم عرفته.. عرفته يوم أرسل فاروق إلى أبيه خطابا باكيا يهدده فيه إن لم يسحبنى فورا من مهمتى..

وبعد هنيهة قال:

- وقد سحبنى أبوه فعلا.. وتركه لهذين المفسدين.. يفسدانه على نفسه، ويفسدانه أيضا على وطنه..

ثم تلاحقت الدسائس، والمؤامرات لتقصينى عن كل مكان أستطيع فيه أن أوجه الشباب، لأن فاروق يعرف كيف أوجه أنا الشباب..

لا بد من إنقلاب

كان الرجل يتكلم بإنفعال شديد، حتى كاد يغلبنى البكاء.. ولكنه عاد إلى طبيعته الواثقة.. وقال لى:

- إن كان معك خمسة أفراد مؤمنين، فإنى على استعداد اليوم أن حمل طبنجتى، وأتقدمكم لأى عمل لإنقاذ البلد.

وعندما هممت بالإنصراف، شعر عزيز المصرى بالمسئولية التى وضعها فوق كتفى.. فقال مؤكدا:

- لن يكون خلاص البلد إلا بإنقلاب على أيدى العسكريين..

ونظر فى عينى طويلا، وأنا أصافحه.. ولم يقل بعد ذلك شيئا..

ولكنى عندما خرجت من عنده، كانت رسالتنا قد تحددت، كهدف بعيد نستطيع أن نراه بأعيننا، وإن كنا لا نتبين الطريق إليه..

من هم زملاءك؟!

وفى اليوم التالى التقيت بالمرحوم حسن البنا وسألنى عن أثر زيارتى لعزيز المصرى فى نفسى.. وكأنه كان يعلم ما جرى فيها.. ولاحظت أنه يريد أن يزداد علما بالمجموعة التى شعر أنى واحد من أفرادها.

فقد سألنى عندئذ:

- هل لديك زملاء فى الجيش يشتركون معك فى هدف معين؟!

وكان السؤال فى ظاهره بريئا ولكنه يريد أن يعرف من ورائه إن كان هناك تشكيل معين يضمنى ويضم غيرى..

ولم أخف الحقيقة عنه.. ولكنى لم أبح له بأسماء إخوانى.

قلت:

- إنى لست أعمل وحدى.. وأن هناك تشكيلا معينا موجودا، وأننا جميعا نؤمن بالكلام الذى قاله لى عزيز المصرى.. ونعرف أن البلد لن تخلص من الاستعمار إلا بإنقلاب عسكرى يقوم به رجال من الجيش..

الخطة الأولى

وكانت جماعتنا فى ذلك الوقت قد قطعت شوطا فى تنظيماتها.

وكان لكل منا خلية يعرف وحده أفرادها..

وكنا نجتمع فى مكانين: ضباط الجيش وحدهم، وضباط الطيران وحدهم..

ولكن قراراتنا النهائية كانت مرتبطة ببعضها بواسطة تنسيق كامل لكل شىء.

وكنا قد بدأنا فعلا.. منذ الليلة الماضية نفكر فى الإعداد للعمل الكبير..

وأدرك المرحوم حسن البنا من إجابتى المقتضبة أنى على استعداد للكلام معه فى المبادىء، ولكنى لا أحب الدخول فى التفاصيل..

فقال لى:

- اذن فأنتم تعدون العدة للقيام بعملية حاسمة؟..

فأجبته فى صراحة:

- إننا نريد أن نخلص البلاد.. وقد تكون الفرصة اليوم مواتية.. فالإنجليز فى مأزق بالصحراء الغربية، وجرازيانى قادم إلى مصر..

وهز المرحوم حسن البنا رأسه وهو يقول:

- وهل أعددتم خطة لذلك؟..

قلت:

- إننا فقط نفكر الآن فى أن نضرب ضربتنا، ونقيم حكومة عسكرية تحارب الإنجليز إلى جوار المحور.

وكان كل شىء مهيئا لضربتنا فعلا.. فقد كان الانجليز قد بدأوا ينسحبون فى سرعة مخيفة.. وكانت دباباتهم ومصفحاتهم تهرع فى شوارع القاهرة فزعا، فى طريقها إلى الجنوب.. وكانت الأسر الإنجليزية قد بدأت ترحل إلى السودان..

كان كل شىء ينذر بهزيمة الإنجليز المحققة..

ولم يكن أمامنا إلا أن نعد العدة لنعمل..

ولكن أين نعمل؟

وكيف؟

موعدنا بذلك فى الحلقة التالية.. وإلى اللقاء..

● نشر فى العدد الرابع عشر من «الجمهورية» الصادر فى يوم الأحد ٢٠ ديسمبر ١٩٥٣.

أسباب حادث ٤ فبراير
حسن البنا يختزن السلاح
الإنجليز يحاولون عزل الجيش عن الشعب
كوكتيل مولوتوف لإبادة الإنجليز

بقلم : أنور السادات



الاثنين ٢١ ديسمبر سنة ١٩٥٣ — خفايا وأسرار — «الجمهورية» - ٥

صفحات مجهولة من كتاب الثورة

أسباب حادث ٤ فبراير

■ حسن البنا يختزن السلاح
■ الانجليز يحاولون عزل الجيش عن الشعب
■ كوكتيل مولوتوف لابادة الإنجليز!

٤ فبراير ...

أين التحقيق ؟..

الهدف المكشوف

الجيش ... والشعب

نستعد ونجهز

خطتنا .. وخطة القدر

أحذية ممتازة للسيدات

٩٩ — ١٣٩ — ١٤٩ — ١٥٩

الصفحة الخامسة من «الجمهورية» فى يوم الأثنين ٢١ ديسمبر ١٩٥٣.

فهم المرحوم حسن البنا منى أننى لست أعمل وحدى.. وفهم أننا نريد أن نقيم حكومة عسكرية فى البلاد تحارب الإنجليز إلى جوار المحور.

وفهم أن الذى ينقصنا فعلا هو جماعة أخرى من الشباب، تستطيع خوض المعركة بإسم الشعب عندما يضرب تشكيلنا ضربته، كعمل عسكرى...

وبدأ المرحوم حسن البنا يتحدث إلىّ حديثا طويلا عن تشكيلات الإخوان المسلمين، وأهدافه منها، وكان واضحا فى حديثه، أنه يريد أن يعرض على الإنضمام الى جماعة الإخوان المسلمين، أنا، وإخوانى فى تشكيلنا، حتى تتوحد جهودنا، العسكرية والشعبية، فى هذه المعركة.

وكنت أنا مستعدا للإجابة على هذا الطلب اذا وجهه إلى، فلما رأيته يكتفى بالتلميح، أوضحت له من جانبى أيضا، أنه ليس من وسائلنا أبدًا أن ندخل كجماعة ولا كأفراد فى أى تشكيل خارج نطاق الجيش.

وأطرق المرحوم قليلا ثم قال، وعلى وجهه إبتسامة تغطى تفكيراً عميقا - من الخير لنا إذن لنجاحنا ونجاحكم أن نتشاور وأن نتكلم معا فى كل شىء.. كما أننا على استعداد لكى نعاونكم عندما تطلبون ذلك إلينا.

تعاون.. وأسرار!

وبدأ بيننا تعاون كنت أنا الصلة فيه.. تعاون بدأ فى تحفظ وإستمر فى تحفظ.

وفى خلال هذا التعاون تكشفت لى أشياء كثيرة من الأسرار الداخلية لجماعة الإخوان، رغم أنه رحمه الله لم يحاول أن يكشف لى شيئا منها، ولا أن يطلعنى على أى سر من أسرارهم الداخلية..

المرشد وحده يعلم!

وكان أهم هذه الاسرار، أن حسن البنا وحده كان الرجل الذى يعد العدة لحركة الإخوان، ويرسم لها سياستها ثم يحتفظ بها فى نفسه... وأن أقرب المقربين إليه لم يكن يعرف من خططه شيئا، ولا من أهدافه شيئا..

حتى لقد كان حسن البنا فى ذلك الوقت المبكر يجمع السلاح، ويشتريه ويخزنه، ولكنه لم يكن يطلع أقرب الناس إليه من كبار الإخوان أنفسهم على أى شىء من كل هذا...

وكان على العكس من ذلك يستعين فى هذه العمليات بإخوان من الشبان الصغار.. وكان منهم الجندى المتطوع الذى جاءنى به فى سلاح الإشارة أول مرة...

وكان أعوانه الصغار هؤلاء يعرفون أن ما بينهم وبينه سر على الناس جميعا بما فيهم الإخوان الكبار...

فقد أدركت هذا فى يوم من الأيام، كنت جالسا معه، عندما دخل علينا هذا الجندى المتطوع يحمل فى يديه صندوقين مغلقين.

ورآنى الجندى جالسا، فأجفل، ولكن حسن البنا، قال له إفتح الصناديق، ولا تخف...

ونظر الجندى إلى بابتسامة الأخ فى الجهاد، ثم فتح صندوقيه، وكان ما فيهما عينات من أنواع المسدسات.

وتأكدت فى ذلك اليوم من أن الرجل يشترى سلاحا ويخزنه، ويخفيه حتى عن الإخوان..

وفرحت فى نفسى بذلك...

فسيأتى اليوم الذى نضرب فيه ضربتنا كرجال عسكريين...

وسيكون من أهم ما نستعين به أن نجد قوة شعبية تقف فى الصف الثانى، مسلحة مدربة...

ولكن، متى يكون هذا اليوم؟..

إن الأمر بحاجة إلى إعداد كامل طويل..

ونحن نستعد، ونستعد، ونستعد.

ودعوتنا تجد أنصارها ببطء، ولكن فى وثوق.

وكل شىء يجرى على وجه نطمئن اليه..

وفجأة..

كان يوم ٤ فبراير ١٩٤٢، فقلب خطتنا رأسا على عقب، وبدأنا السير فى طريق خطير...

٤ فبراير...

وأحب أن أعرض هنا لبعض الحقائق والملابسات التى إكتنفت حادث ٤ فبراير..

فعلى كثرة ماكتب عن هذا الحادث فإن هناك حقيقة لم تنشر أبدا، ولم تطف بأذهان الذين تكلموا، ولا الذين سمعوا..

فقد أخذ الناس هذا الحادث بالمأخذ السطحى، فقالوا إن مظاهرات سارت فى البلاد تهتف: «إلى الأمام ياروميل» فتحركت دبابات الانجليز تفرض النحاس على الملك، رئيسا لمجلس وزراء البلاد..

ولو قلت اليوم أن هذه المظاهرات قد رسمت رسما ودبرت تدبيرا، لما جاوزت الصواب..

ولو قلت أنها رسمت ودبرت لتبرر هذه الجريمة التى إرتكبها الإنجليز. لما جاوزت الصواب أيضا..

وبقى أن تعرف بعد ذلك اليد التى حركت هذه المظاهرات بليل.. يد المدبر، والمحرك، وناصب الشرك...

أين التحقيق؟..

لقد كانت البلاد واقعة تحت حكم عرفى، والذين يقودون مظاهرات كهذه- إن كانوا من الوطنيين فعلا- لابد أن يقدروا خطورة تظاهرهم، ودعاءهم لروميل فى بلاد يحتلها جيش الانجليز..

ومع ذلك فقد سارت المظاهرات بليل... ولم نعرف أشخاص قادتها، ولا قبض رجال البوليس عليهم، ولا تحرش بهم جيش الانجليز المقيم فى العاصمة، والذى لم يجد حرجا فى مهاجمة قصر الملك!

فإذا بحثنا عن الدافع الذى صورته انجلترا لهذه المظاهرات، لعرفنا كيف تستطيع الدعاية البريطانية وأعوانها فى مصر، أن تلعب فى فترات الحرج، بعقول العامة من أهل هذه البلاد. فاذا بالأكذوبة تصبح حقيقة تتناولها صحف مصر إثنى عشر عاما كاملا.. ثم تترددها قاعات المجالس النيابية، وقاعات المحاكم أيضا فى قضايا السياسة الكبرى!!

أحقا، هذه المظاهرات قد سارت فى شوارع القاهرة، لتلعب دوراً فى هزيمة الإنجليز؟!

فإن لم تكن هذه المظاهرات بالخطورة الفعلية على كيان الإنجليز فى أيام محنتهم، ففيم إذن هذا الإجراء العنيف، وقد كان أيسر إجراء فى تلك الأيام كفيلا بقمع مظاهرات، لاهى بالخطيرة، ولا وراءها تدبير؟!

ولكن هناك هدفاً.. وقد تحقق هذا الهدف..

والهدف هو إيجاد مبرر تستند اليه الدعاية البريطانية، عندما يتخذ الإنجليز هذا الإجراء الاجرامى الشاذ فى نوعه..

وقد تحقق هذا الهدف، وإستطاعت إنجلترا أن تفرض على الملك حكومة النحاس..

الهدف الكبير

ويبقى السؤال الذى لايزال ينتظر الجواب...

لماذا أراد الإنجليز هذا، وما الذى كلفهم كل هذا التدبير، وكل هذه الجريمة، وكل هذه الدعاية التى إضطروا اليها لتبرير فعلتهم؟!

لم تكن المسألة السخط الذى كان يعم وقتئذ.. ولم تكن مسألة الخوف من فورة الشعور الشعبى المضاد للإنجليز، فى وقت يقف فيه الإنجليز فى أحرج موقف من مواقف الحرب العالمية الثانية..

فما كان حادث ٤ فبراير ليستطيع إزالة السخط، ولا وقف الشعور الشعبى المضاد للإنجليز، وإنما هو جدير بزيادة السخط والكراهية، وكشف العداء سافرا بين شعب مصر، وبين حليفه المفروض عليه فرضا.. جند الاحتلال..

فصحيح كان هناك سخط، وكان فى البلاد توثب لإنتهاز الفرصة وضرب الإنجليز من الخلف، بينما تشتد عليهم نيران روميل من أمام..

ولكن هذا، لم يكن كل شئ.. ولم يكن يستحق الموضع الذى وضعت إنجلترا نفسها فيه، يوم ٤ فبراير المشئوم..

الجيش.. والشعب

كانت إنجلترا ترى أن هناك تقاربا بين الملك وبين الشعب من ناحية وبين الملك وبين الجيش من الناحية الأخرى.. فقد كان الملك فى نظر الشعب وفى نظر الجيش أيضا. شابا وطنيا، وكان محبوبا.. ورأت إنجلترا أن هذا التقارب سيوحد جبهة متحدة من الجيش والشعب، فأرادات أن تحطم هذه الجبهة، وأن تعزل الجيش عن الشعب، وكان يوم ٤ فبراير هو الوسيلة لذلك.. فقد صممت إنجلترا فيه على تكليف النحاس – زعيم الشعب – بتشكيل الوزارة، فأصبح الشعب بذلك فى ناحية، والملك والجيش فى الناحية الأخرى.. وبدأت إنجلترا بعد هذا تقييم سياستها على أساس عزل الجيش عزلا كاملا عن الشعب بتبغيضه اليه، وإشعار الشعب بأن جيشه هو السوط الذى سيلهب ظهره بإسم الملك.

فى نادى الضباط

وكان يوم ٤ فبراير.. الذى تحدثت مصر عنه عشرة أعوام كاملة.. ولا تزال تتحدث!..

وكحقيقة نذكرها، لم يكن تشكيلنا قد توقع هذا الحادث، بل وأكثر من هذا، لم يشعر تشكيلنا بهذا الحادث عندما وقع..

ولكننا أحسسنا به بعد ذلك، وفهمناه من تحليلنا ومن تحرياتنا. وبينما كانت البلاد فى ذهول من الحادث، طاش صواب ضباط الجيش وبدأنا نحن فى تشكيلنا.. نفكر..

أما البلاد فقد ذهلت لأن الاحداث كانت أغرب من كل ما تصوره خيال هذا الشعب.. وأذهلها بعد ذلك عنه أو شغلها عنه، ما تقاذف به السياسيون من سباب وإتهامات وما أثير من قصص الاجتماعات التى تمت فى قصر الملك، والمواقف المثيرة التى رأتها قاعاته من الزعماء..

وطاش صواب ضباط الجيش، لأنهم كعسكريون شعروا بأنها ضربة عسكرية لايردها سواهم.. وفى فورة الحماسة وعنف الشباب. بدأت الإجتماعات تعقد علنا فى نادى الضباط لمناقشة الموقف، وتقرير الخطة بصورة مفتوحة، لا يمكن أن تؤدى إلى خير.

أما نحن فقد إنتهينا حينئذ إلى قرار أولى..

إستعداد وتأجيل

فمع تصميمنا على وجوب رد هذه الضربة للانجليز، قررنا تأجيل هذا الرد، لأن ذلك الجو المفتوح الذى نوقشت فيه المسائل بنادى الضباط كان يوجب عدم القيام بأى شى فى خلاله..

كنا قد درسنا الأمر من كل وجوهه على طريقة العسكريين عندما يقومون بما يسمونه «تقدير الموقف»..

ولم نضع فى حسابنا عندئذ أن نحدد موعد ضربتنا، فقد إتفقنا على عدم الإهتمام بالتفكير فى الموعد، بعدما حدث، وما فوجئنا به على غير استعداد أو ترقب..

ولكننا وضعنا فى حسابنا أن ندرس كيف تكون ضربتنا لا متى تكون، وصممنا على أن نضع خطتنا لكى تأتى ضربتنا للانجليز محكمة، ودامية فى الوقت نفسه..

وقررنا كذلك أن تنأى خطتنا فى هذه المرة عن أى صلة بالإخوان المسلمين.. وأن تقوم على توسيع تنظيمنا الداخلى فى الجيش، وتكتيل قوتنا فى كل الاسلحة، وإعداد أنفسنا بما تستلزمه ضربة عسكرية محكمة دامية..

وقت العمل

ومرت الأيام من ٤ فبراير حتى وقع حادث العلمين، أو مأزق العلمين. وكانت هذه المدة كفيلة بأن تضاعف قوتنا داخل الجيش أكثر من مائة ضعف.

فقد كنا، عندما وقع مأزق العلمين قد وصلنا فى استعداداتنا إلى تجهيز مائة ألف زجاجة من الزجاجات المعروفة بكوكتيل مولوتوف..

وكنا قد إستطعنا إنشاء ورشة كاملة لصنع المسدسات وبدأت تخرج السلاح فعلا..

وكنا أيضا قد إستوردنا من ريف مصر، كميات كبيرة من البارود الذى يصنعه الفلاحون من زمن بعيد، وإستطعنا أن نحضره تحضيرا علميا، بحيث يمكن الاعتماد عليه..

وكان هذا هو الشق الأول من خطتنا بعد ٤ فبراير.. أن نعد أنفسنا بما يلزم لعمل كبير.

أما الشق الثانى الذى حدد نوع العمل، فقد كان مقررا تركه للخطة التى يتقرر فيها العمل نفسه..

كنا مرة أخرى ننتظر الوقت المناسب.. وجاء هذا الوقت.. يوم وصل الألمان إلى العلمين..

وبدأنا نرقب الأحداث لحظة بلحظة لنتبين نوع العمل الحاسم الذى نستطيع أن نقوم به.

وقالت الأحداث كلماتها سريعة متلاحقة..

قالت أن روميل يضرب ضرباته القاضية..

وقالت أن الانجليز أيقنوا بالهزيمة..

وقالت إنهم فى هلع أفقدهم صوابهم..

وقالت أنهم قرروا الانسحاب فورا، وبأسرع ما يمكن إلى الجنوب...

هذا كان صوت الأحداث الواقعة التى رأيناها بأعيننا ورآها العالم بأسره معنا..

وكان يجب علينا أن نضع الخطة التى تناسب منطق الأحداث.. فلم يكن هذا المنطق يحتمل حربا نظامية، ولا إنقلابا عسكريا، ولكنه كان يوجب إتجاها آخر.. يوجب خطة سريعة واحدة توضع لإبادة الانجليز أفرادا وجماعات عند إنسحابهم.

خطتنا.. وخطة القدر!

وعكفنا نضع خطتنا كعسكريين..

وكان جانب منها يحدد تفاصيل العمل العسكرى الداخلى..

والجانب الآخر يرسم خطة الإتصال بالألمان..

ولكن خطة أخرى كان القدر يضعها فى الوقت نفسه.. وقد لا نستطيع أن نحكم على أفعال القدر عندما تحدث، ولكن بعد مرور وقت طويل، تستطيع دائما أن تنظر إلى الماضى، فتجد أن الإيمان الحق.. هو دائمًا.. أقوى من القدر!

وبدأت قصة القدر..

بدأت بطرقات خفيفة على باب بيت صديقى الصاغ حسن عزت.. دخل فى أثرها رجلان من الألمان، يصحبهما صديق له، هو الاستاذ عبد المغنى سعيد الذى يعمل اليوم مفتشا فى مصلحة العمل.. ثم لم يلبث الصاغ حسن عزت أن أتى بثلاثتهم إلى..

هكذا بدأت قصة القدر بالنسبة إلينا..

ولكنها بالنسبة إلى هذين الألمانيين فقد بدأت قبل ذلك..

بدأت على رمال الصحراء الغربية الصفراء.. عندما دعا قلم المخابرات الألمانية رجلين من رجاله.. أحدهما يدعى هانز ابلر.. والثانى يدعى ساندى..

وكان ابلر يعرف مصر من قبل، كما يعرفها كل أبنائها..

فقد كانت أمه الألمانية، قد تزوجت فى ألمانيا من المرحوم صالح بك جعفر المستشار، ثم حضرت معه إلى مصر، وفى يدها ولدها من زوجها الأول..

وكان ولدها هذا، هو «هانز ابلر».

وأراد الزوج المصرى، أن يوفر لإبن زوجته حياة مطمئنة فى مصر، فيسر له كل سبل التعليم والنجاح، وأعطاه إسما مصريا، وأعطاه فوق ذلك لقب أسرته، فأصبح هانز ابلر يعرف فى مصر، بإسم حسين جعفر.

وعاش «حسين» فى مصر، ولكنه لم يكن الولد الصالح الذى ارتجاه زوج أمه، فقد انحرف عن الطريق الذى رسمه له الرجل.. وأصبح بعد فترة وجيزة شوكة فى قلبه، ووصمة فى سمعته.

وفشل المستشار المصرى، فى إقناع ربيبه بالعدول عن مخادنة الأوغاد وحياة الليل بين المراقص والحانات، ونساء الطريق.

وفشل فى إقناعه بأن يجد لنفسه عملا يعيش منه، أو يشغل به بعض وقته.

ولما أيقن بألا سبيل إلى إصلاحه، ولا إتقاء شره فى مصر، طرده من حياته قبيل الحرب.. فما كاد يعود إلى وطنه حتى جندوه هناك.. ثم أصبح من رجال روميل.. ومن رجال مخابراته فى شئون مصر بالذات.

تجسس

وأصدر روميل لرجليه ابلر وساندى أمرا بالتسلل إلى مصر، وكلفهما بعمل معين، وسلمهما جهازا لاسلكيا دقيقا.. وزودهما بعشرات كثيرة من الآلاف من الجنيهات الإنجليزية المزيفة المطبوعة فى اليونان وبسيارة من سيارات الجيش الإنجليزى التى إستولى عليها روميل أثناء معركة العلمين وفرار الإنجليز تاركين خلفهم كل شىء..

وتحركت السيارة بالرجلين، وقد إرتديا ملابس ضباط فى الجيش الإنجليزى، وحملا معهما جهاز اللاسلكى، والثروة الطائلة.

وإخترقا الصحراء الغربية من طريق غير مطروقة تقع إلى جنوب سيوه، ثم إنحرفا من سيوة إلى الواحات الخارجة.. واستراحا فيها من رمال الطريق، وتزودا بما يحتاجان إليه، ثم اتجها صوب أسيوط فى الطريق المرصوفة الفاخرة المؤدية إليها.

وكانت هذه المرحلة هى أخطر مراحل الرحلة بالنسبة إليهما إذ الطريق طريق عسكرى، تنتشر على جانبيه المعسكرات البريطانية، ونقط التفتيش والحراسة، وتذرعه دوريات الإستكشاف وقوافل الجنود والعتاد..

وأخذت السيارة تنهب هذا الطريق مارة بالموت فى كل لحظة، ونفد منها الوقود فى منتصف الطريق.. إذا بقائدها آبلر ينثنى بكل جرأة إلى أحد المعسكرات البريطانية، فتفتح له الأبواب، ويدخل إلى محطة البنزين بالمعسكر، ويقدم أوراقه، ويعبئ سيارته بالبنزين، ثم يخرج مودعا بتحية الجنود.

ووصلا إلى أسيوط.. ثم انحرفا فى الطريق إلى القاهرة.. ودخلاها ضابطين إنجليزين تقوم لهما دنيا القاهرة وتقعد فى ذلك الزمان.

طلبات

وقال لنا الأستاذ عبد المغنى سعيد إنه تعرف بهما عن طريق قريب له متزوج من ألمانية تعرف عائلة ابلر.

وأخرج الرجلان أوراقهما، وأثبتا بما يقطع كل شك، حقيقة جنسيتهما الألمانية وحقيقة مهمتيهما.

وطلب الألمانيان منا أن نقدمهما إلى الفريق عزيز المصرى. وكانا يطلقان عليه كلمة «الزعيم».

وقال ابلر إن جهاز اللاسلكى الذى جاءا به قد تعطل، وأنه يرجو أن يعتمد فى إصلاحه علينا.

كما طلبا أن نسهل لهما عند الحاجة الإتصال الشخصى بروميل فى مكانه بالعلمين.

وقابلهما عزيز المصرى، وتفاهم معهما على أشياء كثيرة، ثم أصدر أمره إلينا بتسهيل طلبيهما الآخرين.

وقمت أنا بالناحية التى تتصل بعملى فى سلاح الإشارة، فحددت معهما موعدا لزيارتهما وفحص الجهاز اللاسلكى المعطل.

وكان أول ما فوجئت به من أمرهما، أنهما يقطنان فى عوامة خاصة للراقصة المشهورة حكمت فهمى.. ويبدو أن المفاجأة قد ظهرت على آثارها، فقد ضحك آبلر، وقال:

ـ أتريدنا أن نقيم فى معسكرات الإنجليز؟!

ومضى يروى لى ما يعرفه من إخلاص حكمت فهمى له منذ كان فى مصر قبل الحرب، ثم روى لى طرفا من حياته التى يحياها، منذ عاد إلى القاهرة، وكان قد مضى عليه أكثر من شهر يقيم فيها.

البنك الأهلى

وفهمت أنهما منذ نزلا ضيفين على هذه الراقصة قد خلعا ثيابهما الرسمية «الإنجليزية» وإرتديا ثيابا مدنية عادية، ثم راحا يعيشان كإنجليزيين بصورة لا تثير الشبهات حولهما.

كانا ينفقان عن سعة.. ويبعدان بنفسيهما عن كل مكان يمكن أن تكون له صلة بالوحدات الحربية أو الجهات العسكرية.

ولم تزد حياتهما طول هذه الفترة عن مجرد السهر ليلا فى الكيت كات، والعودة مخمورين قرب الصباح إلى العوامة التى إتخذا منها محطة للإذاعة يتصلان عن طريقها بقيادة مخابراتهم.

وقالا لى وهما يضحكان إن البنك الأهلى قد بدل لهما ما يزيد عن أربعين ألفاً من الجنيهات الإنجليزية المزيفة بجنيهات مصرية.

ثم قالا:

وكان الوسيط يهوديا، قبل أن يتحمل المسئولية مقابل ٣٠٪ من قيمة ما يبدله من النقود.

ولم أدهش أنا لليهودى الذى يعرف أنه يؤدى خدمة لجواسيس النازى، فلا يتردد مادام كل شىء بثمنه ولكنى مع ذلك أشفقت عليهما من قيام صلة بينهما وبين اليهود.

وسألنى ابلر:

ـ متى تجىء؟

فحددت له موعدا يوم الجمعة.

وفى يوم الجمعة، كنت واقفا على شاطىء النيل، من خلفى مستشفى الجمعية الخيرية الإسلامية.. ومن أمامى عوامة الراقصة حكمت فهمى!

وإلى اللقاء فى عوامة حكمت فهمى.

● نشرت فى العدد الخامس عشر من «الجمهورية» الصادر فى يوم الاثنين ٢١ ديسمبر ١٩٥٣.

حاولنا الهرب إلى إسطنبول
لماذا لم ننسف السفارة البريطانية
فدائيون فى الجيش وفدائيون فى الشعب

بقلم : أنور السادات

صفحات مجهولة من كتاب الثورة

بقلم
أنور السادات

مرت حياتنا كتشكيل منظم بفترة ركود نسبى طويلة ، فعلى الرغم من عودة جمال عبد الناصر من السودان ، إلا أنه وجد من الخير للتشكيل وللثورة ، ألا يعاود العمل المنظم الفعلى إلا أن تستكمل لهذا العمل أسباب النجاح ، وكل وسائله ..

وقد جاءت هذه الأسباب واكتملت الوسائل بعد بضع سنوات .. وعن تجارب أعمال وخطط منظمة وصلت إلى غايتها يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ..

ومع ذلك ، فقد كانت هناك اتصالات ، وكانت هناك ألوان من النشاط فى نفس الفترة التى تلت اعتقالى ، وسبقت نقطة البدء التى حددها جمال .

بعد كانت فترة ركود ، ولكنها لم تخل من عمل .. ومن تفكير فى عمل ..

● حاولنا الهرب إلى أسطنبول
● لماذا لم ننسف السفارة البريطانية ؟
● فدائيون فى الجيش وفدائيون فى الشعب ..

صداقة ... وصديق

عشرة جنيهات

متى نضعف ؟

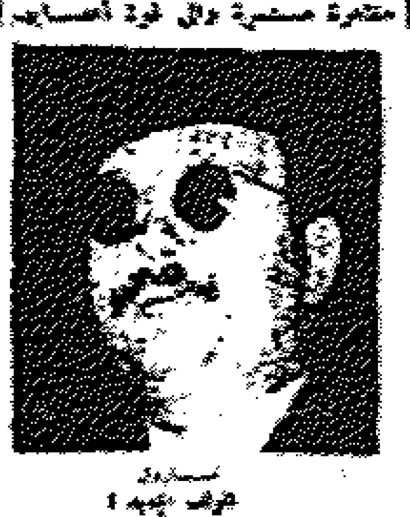
تطورات ... بالجملة !

جمال يعود ...

إلى تركيا ...

نسف السفارة ...




نظرة .. فابتسامة .. فموعد .. فلقاء .. فى تاكسى الغرام
بطولة هدى سلطان ، عبد العزيز محمود
سينما ركس بالقاهرة

الصفحة الخامسة من «الجمهورية» فى يوم الأحد ٣ يناير ١٩٥٣.

مرت حياتنا كتشكيل منظم بفترة ركود نسبى طويلة، فعلى الرغم من عودة جمال عبدالناصر من السودان، إلا أنه وجد من الخير للتشكيل وللثورة، ألا يعاود العمل المنظم الفعلى إلا بعد أن تستكمل لهذا العمل أسباب النجاح، وكل وسائله..

وقد جاءت هذه الأسباب واكتملت الوسائل بعد بضع سنوات.. وعندما بدأت أعمال وخطط منظمة، وصلت إلى غايتها يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢..

ومع ذلك، فقد كانت هناك إتصالات، وكانت هناك ألوان من النشاط فى نفس الفترة التى تلت إعتقالى، وسبقت نقطة البدء التى حددها جمال..

مدة كانت فترة ركود، ولكنها لم تخل من عمل.. ومن تفكير فى عمل..

عندما أتذكر اليوم تلك السنوات التى إتصلت فيها بحسن البنا، قبل إعتقالى، يأخذنى كثير من العجب للفتات كان - رحمه الله - يلتفتها فى وقت لم يكن مثلها يخطر لى ببال.

لقد كان الرجل بعيد النظر، وكان يتوقع كل شئ..

وأنا أتذكر اليوم، كم ألح على حسن البنا أن أذكر له اسما واحداً من أسماء زملائى، ليتصل به إن حدث أن عاقنى شئ عن الاتصال به.

وكنت أنزعج لهذا السؤال، وكنت أتهرب من الإجابة عليه، فقد كان متفقا بينى وبين إخوانى أن أظل أنا وحدى، الضابط الوحيد من التشكيل المعروف لمرشد الإخوان.

ولكنه ألح.. وألح كثيرًا...

وفى مرة أحرجنى، فأطلت التفكير.. ثم إخترت أن أذكر له إسم عبدالمنعم عبدالرءوف..

ولا أذكر على التحديد لماذا إخترت عبدالمنعم.. وكل ما أستطيع اليوم أن أذكره من أفكار ذلك الماضى البعيد الحافل بالمثيرات، هو إنى إخترت هذا الزميل، ربما لأنه كان أول من إنضم إلى تشكيلنا عقب عودتنا إلى القاهرة فى عام ١٩٤٩.

ولم يعلق حسن البنا بشئ عندما ذكرت له اسم عبدالمنعم وإنما لزم الصمت والحرص اللذين لونا حياته حتى فارق هذه الدنيا، بحادث اغتياله المشهور..

ولكنى عندما قابلته أول مرة بعد، لك، ذكر لى إسم عبدالمنعم وأثنى عليه طويلاً.. ثم أخذ يسرد لى تفاصيل كثيرة عن تاريخ عائلة عبدالمنعم وحياته وبيته..

وفهمت أن صلة ما قد وجدت بين أسرة عبدالمنعم، وبين مرشد الاخوان، وأنها صلة قديمة، وأنها صلة معرفة وصداقة وبيئة، فقد كان جد عبدالمنعم شيخاً للأزهر كما أن عائلته كلها كانت معروفة بالدين والتقوى..

وأمسك حسن البنا عن ذكر عبدالمنعم بعد ذلك، حتى ظننته نسيه.!

ثم كان القبض على عبدالمنعم فى قضية عزيز المصرى وكان الإفراج عنه، ولم يشر حسن البنا إليه أبداً..

صداقة.. وصديق

وعندما أفرج عن عبد المنعم وكنت أنا إذ ذاك طليقاً لم يقبض على، فقد أفرج عنه مع الفريق عزيز المصرى فى مارس عام ١٩٤٢، ولم يقبض على أنا إلا فى أغسطس من ذلك العام.. عندما أفرج عنه، لم أشأ أنا أن أتصل به فى شىء، كنت أخشى عليه أن تثور حوله شكوك جديدة.. وكنت أريد له فترة من الراحة بعد المحاكمة والسجن والإعتقال.

ولكن يبدو أن عبد المنعم أساء فهمى حينذاك، فقد غضب فى نفسه وتضايق.. وعرفت ذلك فيما

بعد.

وجاء اليوم الذى قبض فيه علىّ وقبض فيه على عزيز المصرى مرة أخرى.. ولم أكن إذ ذاك على صلة بعبد المنعم، ولا على شبه صلة به.

وكان آخر شىء أفكر فيه هو أن ينشط عبد المنعم بمجرد إعتقالى ليقوم بما قمت به، لفكرتنا، وليقوم بواجبات أخرى يكلف بها نفسه.. لشخصى.

إنها الصداقة التى آمنت بها دائماً.. هى التى دفعته أن ينهض فوراً بعبء كنت أنهض به.. ثم أن يفاجئنى مفاجأة أخرى.

عشرة جنيهات

كنت قد نقلت إلى معتقل المنيا.. وكنت أذود عن نفسى هم التفكير فى العالم الخارجى، بالقراءة الكثيرة أقطع بها وقتى.

وكان هم التفكير فى خارج المعتقل هما ثقيلا، مثيرا للنفس باعثا للكآبة.. والجنون.

فمثلى فقير لا يملك غير عمله.. وذو زوج وأولاد.. يعيش فى المعتقل لا يعرف لأهله معينا، غير الذى خلقه وخلقهم.

وفى طريقى اليومى إلى مكتبة المعتقل التقيت بالمرحوم الشهيد يوزباشى محمد وجيه خليل، الذى استشهد فى حرب فلسطين، وكان من دفعتى ومن دفعة عبد المنعم عبد الرؤوف.

وينتحى بى الصديق ناحية ليسر فى اذنى أن التشكيل قد رتب لعائلتى عشرة جنيهات فى كل شهر، وأنه جاء لكى يطمئننى بعد أن عزت على الجميع زيارتى.

متى نضعف؟

وكانت هذه العاطفة الصادقة من زملائى هى أسمى ما يمكن أن يشعر به مثلى فى ظلمة الإعتقال.

فقد يعرف الذين زاولوا الكفاح من أجل فكرة أنهم لا يضعفون أمام الموت ولا يضعفون أمام السجن ولا يضعفون أمام التعذيب، وقد يخيل إليهم فى لحظات الحماس والإنفعال أنهم لن يضعفوا أمام شىء فى الوجود.. ولكنهم فى هذا واهمون. فهناك الشىء الذى يضعفون أمامه، والذى لا يملكون حياله شيئا إلا الفرار.. الفرار من الواقع، والفرار من التفكير فيه.. الفرار من هذه المطارق التى تطرق الرأس والقلب والضمير... وتحيل الجبار وهما ضعيفا يكاد يستسلم ويكاد يستغيث لولا كبرياء الكفاح، ويقظة الفكرة المتأصلة فى نفسه ومثالية الهدف..

ولعلك عرفت الآن، ما هو هذا الشىء الذى يضعف أمامه المجاهدون... إنه الولد، الطفل.. العيال!

هؤلاء الصغار الودعاء، الذين تدفعهم دفعا إلى مرارة الكفاح، وتأخذهم أخذا على الصبر والحرمان والتقشف، ولما يبرحوا بعدمهاد الطفولة، ولما يعرفوا بعدمراح الصبا.

هؤلاء هم نقطة الضعف فينا... وهى نقطة ضعف أعترف بها، ولا تخجلنى.. لأننى إنسان!

وقد كنت أحتمل أن يحرم أطفالنا من رعاية أبيهم.. ولكنى ما كنت أصبر على حرمانهم من ضرورات الحياة.

وكانت هذه الجنيهات العشرة، هى العون الوحيد الذى أقبله لأطفالى لأنها لم تصدر عن عطف ولا إشفاق. وإنما صدرت عن فكرة مشتركة، وتكافل بين مكافحين.

وبدأت أنسى هم الحياة الوثيقة بى خارج المعتقل.. وبدأت أفكر فى خطوط المستقبل، وخطوات الجهاد.

وكان مجرد تفكير نظرى، تنقصه حكمة الواقع، ودراسة الطبيعة.

وكان أهم ما يشغلنى هو أن أخرج من هذا المعتقل، ولكنى لم أكن قد حددت بعد، لماذا أخرج، أو ماذا أستطيع أن أصنع وأنا مطارد شريد!

إلى تركيا

ويبدو أنى لم أكن وحدى الذى فكر فى هذا الأمر.. فقد فكر فيه عبدالمنعم عبد الرؤوف فى نفس الوقت الذى كنت أنا أفكر فيه.

وفى جلسات متعاقبة مع بعض أعضاء التشكيل من سلاح الطيران. وكانوا من أكثر أعضاء تشكيلنا حماسة واندفاعا.. أخذ عبد المنعم يضع خطة لتهريبنا.. عزيز المصرى وأنا.

وكانت خطته تعتمد على عدد من المجازفات، ولم تكن خطة عملية على أى حال.

كانت خطته تقوم على الهجوم على المعتقل الذى يقيم فيه عزيز المصرى وإختطافه اختطافاً مسلحا من حرسه ليهرب عزيز من معتقله فيجد عربة فى إنتظاره تحمله إلى المنيا.

وكان الشق الثانى من الخطة مماثلا للشق الأول فهو قائم على الهجوم على معتقل المنيا واختطافى من هناك بالقوة لأهرب فأجد عبد المنعم فى انتظارى.

أما الشق الثالث.. فكان قائما على أن تقوم طائرة من القاهرة لتهبط فى المنيا فى نفس الوقت الذى يصل فيه عزيز المصرى إليها، وأخرج أنا من المعتقل.

وكان الاتفاق أن تحملنا الطائرة فورا إلى سوريا.. أو إلى إسطنبول وكانت كفة الأراضى التركية هى الراجحة فى هذه الخطة، للموقف الذى كانت تركيا تتخذه من الحرب.

ولكنها ـ كما قلت ـ لم تكن خطة عملية.. فلو قدر لهذين الهجومين المسلحين أن ينجحا، لما كان من السهل ضبط التوقيت فى العمليتين معا، بحيث لا تزيد مدة بقائى خارج المعتقل عن دقائق معدودة تحلق بنا الطائرة بعدها إلى خارج الحدود.

لم يكن هذا سهلا.. ولعل أسهل ما كان فى هذه الخطة هو الدور الخاص بسلاح الطيران.. فقد كان زملاؤنا الطيارون، أكثرنا إندفاعا وحماسا فى كل شىء.. وكنا نرجع ذلك دائما إلى طبيعة عملهم كطيارين كل حياتهم مغامرة مستمرة وإلى قوة أعصابهم التى تعتبر شرطا أساسيا فيمن يقبل فى هذا السلاح.

كان الجزء الخاص بالطائرة.. هو الجزء العملى الوحيد فى هذه الخطة، أما القسمان الآخران منها فكانا يحتويان على كثير من الثغرات الكافية لخلق متاعب جديدة لنا، كنا فى غنى عنها.

وكانت هذه الخطة هى خطة عبد المنعم وحده.. فقد كان التشكيل ـ كما قلت ـ فى فترة من فترات الركود.

تطورات.. بالجملة!

ولكن هذه الفترة كانت تحوى تطورات كثيرة فى الحياة المصرية، وفى موقف العناصر المختلفة التى كانت ذات تأثير فى سياسة البلاد.

فقد أصبح للملك ـ مثلاً ـ موقف جديد وتطورت نظرته إلى عرشه، وإلى شعبه وإلى مستقبله وإلى الإنجليز تطورًا كبيرًا.

هذا الملك الذى كان يمثل عنصرا من العناصر الوطنية حتى ٤ فبراير ١٩٤٢ والذى إعتبرناه فعلا رمزا لمصر.. وإعتبرنا الإعتداء على قصره إعتداء على مصر.. وأردنا أن نثأر له بإبادة الإنجليز.. قد تطور أو تغير.. ووضح لنا هذا التطور والتغير بصورة جعلتنا نضعه فى الصف الأول من صفوف الأعداء.

وأحمد ماهر.. الذى ملأ قلوبنا يوم أن وقف وقفته أمام الإنذار البريطانى فى عام ١٩٤٢ والذى علقنا عليه أملاً كبيرًا يوم عاد إلى الحكم فى عام ١٩٤٤.

لم يكد يستقر فى مقعد رئيس الوزراء حتى أصدر أمره بالإفراج عن جميع المعتقلين فورا.. إلا نحن.. فقد أصدر أمره ببقائنا فى الإعتقال وكان هذا الأمر بناء على «أمر» من الإنجليز، ولا أقول بناء على طلب أو رغبة أو تفاهم!

وحسن البنا، الذى كان قد أصبح قوة رهيبة يخشاها الملك، ويعلن عن مخاوفه منها، بدأ يضع لنفسه سياسة جديدة يضمن بها القفز بحركة الإخوان المسلمين فى جو آمن من مقاومة القصر أو غدره.. وكان رحمه الله قديرا على إقناعنا بخطته، وعلى الإمساك بطرفى حبلين فى قبضته.

جمال يعود

وفى هذا الوقت هربت أنا من المعتقل.. هربت فى نوفمبر ١٩٤٤ أى بعد تأليف وزارة أحمد ماهر بشهر.

وكانت ظروف كثيرة متعاقبة.

ففى الوقت الذى إنصرف فيه عبد المنعم عبد الرؤوف إلى الإخوان المسلمين إنصرافًا كليًا. وفى الوقت الذى هربت أنا فيه من المعتقل، وبدأت أكافح لأعيش هاربا شريدا أقتات من عدد من الأعمال الغريبة هنا وهناك متنكرا مستترا حتى ألغيت الاحكام العرفية عام ١٩٤٥ فبدأت أظهر بوجهى.

فى هذا الوقت.. كان جمال عبد الناصر قد بدأ يتولى بنفسه أمر التشكيل داخل الجيش، لينظمه تنظيما جديدا وليضع له خطة بعيدة المدى طويلة الأمد قائمة على فلسفة مدروسة واقعية.

وبدأت حركتنا تتخذ صورتين.

صورة داخل الجيش يرسمها ويكون عناصرها جمال عبد الناصر وصورة خارج الجيش توليت أنا أمرها.

وكان الغالب على الصورتين، روح فدائية، وكانت بين الصورتين صلات.

كنا قد بدأنا نعتمد على أنفسنا كل الإعتماد أثر أحداث وأحداث.

وكنا قد رسمنا خطتنا القريبة على أن ننشىء تشكيلا شعبيا وتشكيلا عسكريا، يعملان جنبا إلى جنب، كل بوسائله وكل بخططه، ولا يرتبط أحدهما بالآخر أى إرتباط ظاهر حتى تأتى اللحظة المناسبة لذلك.

ومر بنا تاريخ طويل.. ووقعت أمام أعيننا هزات عنيفة.

نسف السفارة

وكنت أتعجل الخطى.. وكان جمال يتريث.

حتى أتى اليوم الذى شكلت فيه وزارة المرحوم النقراشى عقب مصرع المرحوم أحمد ماهر.. وذهب النقراشى إلى السفارة البريطانية فقابله كيلرن.. على سلم السفارة.

وكانت هذه القصة حديث مصر.

فقد كانت قصة بغيضة فاضحة.. ولم يكن فى البلاد مصرى واحد يحتمل سماعها، دون أن تفور الدماء فى عروقه ويهم بأى عمل يمكن أن يسمى من أعمال الجنون.. فقد كانت خلاصة هذه القصة أن النقراشى لم يكد يشير إلى مطالب مصر، حتى هز ذلك اللورد كتفيه فى إستهتار وسخرية، وقال للنقراشى، دعك من هذا الكلام.. فإن حديث الجلاء والوحدة ليس إلا حديث خرافة.

وكانت لطمة قاسية أردناأن نردها.

وذهبت إلى جمال.. وفى يدى خطة من التشكيل الشعبى، لنسف السفارة البريطانية على كل من فيها.

وإستمع لى جمال طويلاً. وناقش خطتى مناقشة كاملة. وأقر كل أطرافها وعناصرها.

ولكنه فى آخر الأمر.. هز رأسه وقال: لا.

كان يستعرض فى ذهنه الإجراءات التى يستطيع الإنجليز اتخاذها عقب نسف سفارتهم وكان يستحضر فى ذهنه مصرع «لى ستاك» سردار السودان.

وقال: لا.. نحن لا نرى أن نعيد مأساة السودان التى وقعت منذ عشرين عامًا..

وكان على حق.. فعشرون عاما فى عمر أمة مكافحة، ينبغى لها أن تغير من أساليب كفاحها بما تتضمنه من تجارب ومن دروس..

ولم تتم هذه الخطة.. ولكن بدأ صراع من نوع آخر جديد..

هذا إجمال لفترة طويلة.. ولكن هل يكتفى القارىء منى بإجمال..؟!

إن للقارىء أن يسأل عن موقف الملك وكيف تطور..

وله أن يسأل عن موقف الأحزاب وكيف تطورت..

وله أن يسأل عن موقف حسن البنا وكيف تطور وكيف تعاونا معه وكيف تعاون معنا.

وله أن يسأل عن جمال عبدالناصر كيف بدأ خطوطه الجديدة

وله أن يسأل عن سر التشكيلين الفدائيين.. تشكيل الجيش وتشكيل الشعب

وله أن يسأل عن دور الأحرار فى معركة القنال..

وله أن يسأل عن ثورة الأحرار فى نادى الضباط..

وله أن يسأل عن خطة الأحرار التى اتبعوها بين صفوف الشعب..

وله أن يسأل عن الترتيبات والظروف التى أخرت موعد قيام الحركة؟!

له أن يسأل عن كل هذا؟

وعلىّ أن أجيب فى الحلقات القادمة

وإلى اللقاء

● نشر فى العدد الثامن والعشرين من «الجمهورية» الصادر فى يوم الأحد ٣ يناير ١٩٥٤.

كيف أقيلت وزارة النحاس
أحمد ماهر ينفذ رغبات الإنجليز
فاروق يقول ليوسف رشاد: حسن البنا ضحك عليك!
ضممنا «الملك» إلى صفوف الأعداء..!

بقلم: أنور السادات

صفحات مجهولة من كتاب الثورة

كيف أقيلت وزارة النحاس

أحمد ماهر ينفذ رغبات الإنجليز!

فاروق يقول ليوسف رشاد: حسن البنا ضحك عليك!

بقلم أنور السادات

ضممنا الملك إلى صفوف الأعداء

في الساعة الخامسة تماما من مساء ٨ أكتوبر ١٩٤٤، انقطع صوت الإذاعة المصرية فجأة، وكانت تذيع إحدى الأغاني .. ثم عادت تصدر صوتا كان مألوفا لدى المصريين طوال فترة الحرب، هو صوت الأستاذ محمد سعيد لطفي، الذي كان مستشارا للإذاعة في ذلك الوقت ...

كان يحمل أمر الإقالة التي وجهها فاروق إلى النحاس لينهي بها عهدا بدأ بدبابات الإنجليز ..

وكان واضحا في صوت مستشار الإذاعة وفي إلقائه لهذه الإقالة، أنه طروب بها .. مستبشر .. شمتان!

الخلاص من حسن البنا!

رأس الملك!

القوة التي في الميدان

تجاربنا

انتظار الكلمة!

الملك يخشى وكيل الوزارة!

١٩٥٤ حنفي فرج

اليوم — الفن — عبد الشافي القشاشي



الصفحة الخامسة من «الجمهورية» في يوم الأثنين ٤ يناير ١٩٥٤.

فى الساعة الخامسة تماما من مساء ٨ أكتوبر ١٩٤٤، إنقطع صوت الإذاعة المصرية فجأة، وكانت تذيع إحدى الأغانى.. ثم عادت تصدر صوتا كان مألوفا لدى المصريين طوال فترة الحرب هو صوت الأستاذ محمد سعيد لطفى، الذى كان مستشارًا للإذاعة فى ذلك الوقت.. كان يحمل أمر الاقالة التى وجهها فاروق إلى النحاس لينهى بها عهدا بدأ بدبابات الانجليز.. وكان واضحا فى صوت مستشار الاذاعة، وفى إلقائه لهذه الإقالة، أنه طروب بها مستبشر.. شمتان!

كان سهلا على المدركين لحقائق الأمور أن يعرفوا الأسباب التى تدعو مستشار الإذاعة إلى الفرح الشديد بهذه الإقالة، فقد كانت هذه الإقالة بشرى- من السماء!- هبطت على ذلك الرجل، لتنقذه من عذاب طويل، وضيق وحرج لا مثيل لهما، عاش فيهما أكثر من عامين ونصف عام..

كانت الحكومة طيلة تلك الفترة تتحدى القصر وكان القصر طيلة هذه الفترة يتحين الفرص لإقالتها...

ولو كان الخلاف قائما على أساس دستورى، لكان خلافا فى سبيل مصر.

رأس الملك!

ولكن النحاس كان يتحدى الملك، بإسم الانجليز، لا بإسم الشعب، ولا بإسم الدستور.

والملك كان يحنى رأسه، لأنه كان يعلم أنه لا يستطيع شيئا غير الإنحناء، حتى تحين الفرصة، ليبطش بهذه الحكومة التى جاءت رغم أنفه، لتذل كبرياءه، وتهدر كرامته!

وكان الملك قد جرب حظه مرة خلال حكم الوفد.. فأرسل حسنين يفاوض كيلرن ليسمح الانجليز بتغيير وزارة النحاس، فكان الرد الذى يلقاه على ذلك، هو برقية من تشرشل يقول فيها:

- لاتغيير.. «No change»..

وسكت الملك، وسكت حسنين، وعلم الوفد بالأمر، فإزدادت حكومته صلفا، وبطشا...

والمهم أن هذا الخلاف والتحدى بين الحكومة وبين «الملك» كان مصدر متاعب وحرج شديد لرجل الإذاعة المسئول...

كان الملك مثلا يأمر باذاعة القرآن الكريم من القصر، فترسل الإذاعة رجالها وآلاتها لإعداد مايلزم للملك.. وتسمع الحكومة بالأمر فترسل رجالها لسحب آلات الاذاعة.

ويبدأ الحرج، وتبدأ المتاعب، للإذاعة ورجال الإذاعة..

وكان الوفد يقرر القيام برحلات فى الأقاليم، فيأمر الإذاعة بإذاعتها، ويسمع الملك الهتافات والدعايات، فيغضب، ويبلغ غضبه بطريقته المعروفة، لرجل الإذاعة المسكين..

وهكذا، كان على الإذاعة أن ترضى الانجليز، وأن ترضى الحكومة، وأن ترضى الملك، وكان هذا أمرا، لاسبيل اليه!

فاذا أقال الملك حكومة النحاس، فقد كان من الطبيعى أن يفرح رجل الإذاعة ويستبشر.

وسمعنا هذه الإقالة من الاستاذ محمد سعيد لطفى، وسمعنا بعدها مباشرة الأمر الملكى الصادر بتكليف أحمد ماهر بتشكيل الوزارة.. وكنا فى المعتقل، قد إستطعنا أن نحصل على جهاز راديو يسمح لنا بإستعماله كلما رضيت عنا إدارة المعتقل.

ولا أخفى على القارىء أنى أنا أيضا طربت لهذه الإقالة.. فقد كانت عندى الرد الأول على إنذار ٤ فبراير المشئوم..

وفى غمرة هذا الطرب، غفلت عن تحليلها، والتعمق فى مدلولها. فإن الأمر لم يكن بعد قد ترك للملك يتصرف فيه كيف يشاء... ولابد من مصدر لهذه القوة التى لبسته، حتى أقال وزارة النحاس... ولابد من إتفاق سابق، وأن التغييرات من الإنجليز، لا من الإرادة الحرة للملك!

تجاربنا

غفلت عن هذا التحليل، فى غمار النشوة التى بعثتها فينا هذه الإقالة.. وغفلت عنه فى غمار النشوة التى تلتها. إذ أصدر الرئيس الجديد أمره بالإفراج عن جميع المعتقلين... وبدأت أعد نفسى للحرية... وكل من عرف الإعتقال يعرف كيف يكون الأمل فى الحرية، وكيف تتزاحم مشروعاتها على الرأس، وتتواثب صورها أمام الخيال...

ولكنى أفقت بعد ذلك بقليل.. أفقت من الآمال، وأفقت من الخيالات وأفقت من هذا الطرب الذى غمرنى عندما سمعت إقالة النحاس.

فقد رأى أحمد ماهر أن يفرج عن جميع المعتقلين... ولكنه رأى أن فينا خطرا داهما يهدد النظام العام!

وبدأنا التحليل، وتعمقنا فى سر الإقالة، وتكفلت الأيام بعد ذلك بإفشاء الأسرار!

وبدأت أضيق ذرعا بالمعتقل وأصبح وجودى فيه بعد ذلك ضربا من المستحيل... فوضعت خطة هربى وهربت فعلا، هربت فى الشهر التالى لإقالة النحاس، أى فى شهر نوفمبر ١٩٤٤....

وبدأت أتصل سرا بإخوانى فى تشكيل الجيش، وأتصل سرا بالمرحوم حسن البنا، وأعمل سرا فى سبيل الحصول على ضرورات الحياة...

إنها فترة طويلة على قصرها، لأنها كانت مغامرة كاملة... ولعل القراء قد قرأوا طرفا منها بقلم غير هذا القلم... ولعلى أعود الى ذكرها يوما من الأيام بالتفصيل.

ولكنى لا أفعل اليوم، وقد حددت لهذه الصفحات المجهولة، خطا تسير عليه، يستهدف الكشف عن الأسرار التى يمكن كشفها من تاريخ التمهيد لهذه الثورة، وتاريخ تجاربنا خلال ذلك التمهيد...

خرجت من المعتقل لأكتشف عددا من الحقائق الجديدة، ولأعرف عددا من الأسرار...

خرجت لأسمع حديث الملك، عندما ذهب يزور تشرشل فى السفارة البريطانية...

وكان حديثا عجيبا... فالرجل الذى ضربه الإنجليز، أو ضربوا مصر كلها فى شخصه، لم يكن يخلق به، ولا بكرامة عرشه، ولا بكرامة البلد التى «يملكها» أن يذهب بنفسه لزيارة رئيس وزراء الإنجليز، الذى أصدر أمره بتحرك الدبابات إلى قصره وطعنه هذه الطعنة الدامية.. ولكن... متى كانت لفاروق كرامة، ومتى كان يعرف كرامة لعرشه وبلده...

القوة التى فى الميدان

لقد ظننا هذا يوما... وكنا فى ظنوننا مخطئين... فالضربة التى أصابت كبرياء مصر من أجل الملك، لم تصب أبدا كبرياء الملك من أجل مصر... لأنه لم تكن له كبرياء.

وخرجت لأرى قصر رأس التين، القصر الرسمى الثانى فى البلاد، وقد أمر الملك بتحويله إلى مستشفى عسكرى، لا لجنود مصر وضباطها، الذين حاولوا الموت فى سبيل عرشه يوم

هوجم عرشه، ولكن لجنود الإنجليز وضباطهم الذين تحركوا بالدبابات يحطمون بها باب قصره الأول، فى قلب العاصمة!

وخرجت لأرى فاروق قد ترك كل ما كنا نرجوه فيه من معانى الشباب والوطنية، وارتمى بين أحضان جنود أمريكا، وضباط أمريكا... يلعب معهم، ويسهر معهم، ويقوم برحلاته معهم، ويلهو فى لياليه معهم... وكأنه رأى فيهم الجدار القوى الذى يستطيع الإستناد إليه، إن تخلى عنه الإنجليز!

وخرجت لأعرف السر فى كل هذا... فقد سيطرت على الملك روح من الرعب الشديد من ذلك اليوم الذى أقتحم فيه قصره بالدبابات والمدافع... ورأى فيه عينى كيلرن تقدحان بالشرر!

أصبح الملك يخاف... يخاف على حياته، ويخاف ضياع العرش منه، حتى لقد كان يتتبع أنباء التحركات الداخلية لجنود الانجليز، فلا يكاد يسمع عن أى تحرك من تحركاتهم، حتى يؤوله بأنهم يقصدونه به، وأنهم يعتزمون إزاحته عن العرش مثلما أزاحوا من قبل بعض أسلافه..!

وكان تصرفه الواحد فى كل مرة من هذه المرات، هو أن يترك قصره، ويهرب إلى إنشاص... وكأن إنشاص كانت بعيدة عن دبابات الانجليز!! إذن فقد أصبح الملك ألعوبة فى أيدى الإنجليز، ولم يعد فى إستطاعتنا أن نعول عليه فى شئ من خططنا... بل لعل الأسلم كان أن نعتبره.. من الأعداء...

وهكذا، ذهبت مع الأعداء، صفوف الوفد وصفوف السعديين، وقوة الملك، ولم يبق فى الميدان إلا قوة الإخوان

هل نستعين بهم... وهل نعول عليهم؟

عاودت إتصالى بالمرحوم حسن البنا، وأنا هارب من المعتقل... وتبسط معى حسن البنا بصورة لم تسبق له من قبل... فرغم كل الصلات التى قامت بينى وبينه كنت أشعر دائماً أنه يقول شيئاً، ويخفى فى نفسه أشياء..

ولكنه فى تلك المرة، تبسط كثيراً وشرح كثيراً، وأفاض كثيراً... ثم... ثم كلفنى بأمر!

شرح لى حسن البنا متاعبه التى تأتيه من ناحيتين:

ناحية الملك... وناحية الأجانب...

وقال لى إن الملك قد بدأ يشعر شعوراً قوياً بخطورة دعوة الإخوان، لما كان يسمعه من أن دعوتهم تقوم على أن يكون الملك بالمبايعة لا بالوراثة وقال لى إن الملك يدبر أمره ليبطش بهذه الحركة، وأنه يخشى أن يضرب الملك ضربته، والحركة لم تبلغ بعد أوج قوتها...

العملاق الذى لا يقهر

وكانت هذه أول مرة يفصح فيها حسن البنا عن شعوره بعدم وصول دعوته إلى ذروة القوة والمناعة... فقد كان دائماً يعطى سامعه صورة للجماعة، أشبه بصورة العملاق الذى لا يقهر ولا يخشى عليه... وإستطرد بعد ذلك إلى ذكر طرف آخر من متاعبه، وكان هذا الطرف، هو موقف الأجانب من الدعوة...

فقد بدأ يشعر بأن الأجانب أيضاً يرهبون دعوته، ويعتقدون أنها اذ تقوم على وجوب الأخذ بشريعة الإسلام ستتعرض حتما لأعمالهم وأموالهم، وحرياتهم الممنوحة لهم بمقتضى القانون السائد، والدستور.. وقال لى إن هذه النظرة الموحدة إلى دعوته، من جانب الملك، ومن جانب الأجانب، تجعل الدعوة فى خطر جسيم، فما أيسر أن تتحول هذه النظرة الموحدة إلى تحالف

عملى للقضاء على الدعوة، وعلى الجماعة التى تدعو إليها... ويومئذ لا يعرف من أين تصوب إليه الضربات!

وإستمعت اليه، منصتا، ومناقشا... ثم رأيته يطرق فجأة يستجمع كلمات معينة، يريد أن يبدأ بها حديثاً جديداً..

وبدأ حديثه الجديد..

قال لى إنه يريد أن يضع حداً لهذه المتاعب، وأنه يعتقد أن الأجانب يمكن أن يطمئنوا إلى الدعوة، لو اطمأن إليها الملك...

ونظر فى عينى طويلاً وهو يقول:

أنا أستطيع أن أكسب طمأنينة الملك، لو تقابلت معه...

وكان وجهه ينبئ فعلاً عن الثقة الكبيرة التى تملأ نفسه بقدرته على كسب طمأنينة الملك.

وظهرت هذه الثقة أكثر وأكثر، وهو يصف لى كيف يستطيع أن يزيل من نفسه جميع الأوهام والشكوك لو تيسرت له مقابلته... مرة واحدة!

ثم أوضح لى أنه لا يريد أن يبدأ مع الملك سياسة وفاق، أو تعاون... ولكنه يريد أن يشيع جواً من الطأنينة فى نفس الملك، يجنب به سفينة الإخوان أية عقبات تعترض الطريق.

وقصد - رحمه الله إلى هدفه بعد ذلك مباشرة، فقال لى: أنت تعرف يوسف رشاد...

قلت له: نعم... أعرفه، وبينى وبينه صداقة كبيرة ومودة.

فقال: ويوسف اليوم ذو حظوة، فلو إستطعت أن تشرح له هدفى..

وأن تفهمه أنى لست خطرا على الملك، ولا أريد أن أكون خطراً، لأمكنه إقناع الملك بمقابلتى...

وأجبته أنا: أحاول...!

ومضيت فى تلك الليلة، أبحث الأمر بينى وبين نفسى... هل أقوم بهذه الوساطة، وكيف أقوم بها.. وما مدى ما يمكن أن يترتب عليها.

وكنت إذ ذاك لا أزال هارباً أعيش متنكراً، وأتحاشى الظهور فى أى مكان ولكنى مع ذلك.. ذهبت إلى يوسف رشاد... وأبلغته رسالة حسن البنا، فناقشنى فيها، ثم وافق على أن يلعب هذا الدور.

الملك يخشى وكيل الوزارة

وعندما رأيت يوسف رشاد بعد ذلك قال لى: لقد فاتحت الملك فى هذا الأمر، فى محادثة تليفونية بينى وبينه وإذا به يقطع حديثى قطعاً ويوجهه وجهة أخرى... وقابلته بعد ذلك فقال لى:

- كيف تكلمنى تليفونياً فى أمر كهذا، ألا تعلم أن حسن رفعت يراقب التليفونات؟!

ودهشت أنا عند سماع هذه الكلمة.. فقد فهمت منها أنه يخشى المراقبة، حتى من حسن رفعت وكيل وزارة الداخلية المصرية!

وعاودت الإلحاح على يوسف رشاد بعد ذلك وفى هذه المرة، إستطاع يوسف أن يحصل على إذن من الملك، بأن يقابل هو أولا حسن البنا، ويستمع إليه.. وينقل حديثه إلى الملك ليرى إن كان يقابله... وكدنا نحدد موعد المقابلة بين حسن البنا ويوسف رشاد... وفى أحد الأيام كنت فى منزل يوسف رشاد فدق جرس التليفون وكان الملك هو المتكلم... واستمع يوسف لحظات

قصيرة... ثم قال حاضر... وإنتهت المكالمة... ونظر إلى يوسف وقال لى: إن الملك يقول:

- إلغ كل ما قتله لك بشأن حسن البنا..

ويئست أنا من المحاولة، وخصوصاً أنى كنت أقوم بها فى حالة تنكرى وإختفائى... وأبلغت حسن البنا بيأسى...

ومرت أيام... وسقطت الأحكام العرفية، وبدأت أظهر من جديد.

إتحاد الكلمة

وكنت فى بيتى بعزبة النخل فى إحدى الليالى، عندما أقبل حسن البنا، ومعه المرحوم محمود لبيب، فتناولا معى طعام العشاء..

وأخذ حسن البنا يتحدث عما يمكن أن تجنيه البلاد إذا ما إتحدت الكلمة، وهدأت شكوك الملك فى الإخوان... ولكنه كان فى هذه المرة شديد التحفظ يكتفى بالتلميح عن التصريح، لوجود المرحوم محمود لبيب..

وفهمت أنا أنه يريد منى أن أعاود الكرة، وألح فى تدبير مقابلة له مع الملك... فلمحت له بدورى، بأنى سأفعل...

وفى اليوم التالى، قصدت إلى الاسكندرية، فقد كان الملك هناك فى تلك الأيام، وكان يوسف رشاد إلى جانبه، وتحدثت مع يوسف رشاد فى الأمر وأقنعته بمعاودة المحاولة.

وبذل يوسف رشاد جهداً كبيراً مع الملك..

وضحى فى سبيل ذلك تضحية.. كانت كبيرة فى ذلك الوقت!

فقد غضب منه الملك، وأقصاه عن صحبته عشرة أيام طوال.. وعندما عاد يقربه، قال له: إياك أن تفاتحنى مرة أخرى فى هذا الموضوع!

إخلاص حسن البنا!

وللتاريخ بعد ذلك أذكر، أن الملك فى يوم من الأيام، قد دعا إليه يوسف رشاد، وطلب منه أن يتصل بحسن البنا، وأن يستمع إلى ما كان حسن البنا يريد أن يقوله له..

والتقى يوسف رشاد بحسن البنا وتحدث معه ثلاث ساعات.. وقال لى يوسف رشاد، إنه خرج من هذه المقابلة، مقتنعاً تماماً بخلوص نية حسن البنا نحو الملك.. وأنه ذهب إلى الملك فنقل اليه كل شئ... واذا به يفاجأ بالملك يقول له حسن البنا ضحك عليك!!

وحاول يوسف رشاد أن يدافع عن نفسه، وأن يقنع الملك بأنه ليس الساذج الذى يضحك عليه الناس... ولكن الملك ضحك ضحكته المشهورة وأعاد جملته: حسن البنا ضحك عليك..

هذا ما قاله لى يوسف رشاد...

وقال لى أيضاً بعد ذلك بأعوام، إن الملك فى أواخر عهد ابراهيم عبدالهادى قال له:

- إحنا غلطنا فى ضربة الاخوان. وحقنا نرجع لسياستنا القديمة..

الله أعلم!

وسألت يوسف رشاد، وما هى السياسة القديمة؟.. فقال: صدقنى... أنا لا أدرى... ولكن يبدو أن صلة أخرى قد حدثت بين حسن البنا وبين الملك عن طريق غير طريقى... وأن الملك قد إتخذ لفترة قصيرة خلال عام ١٩٤٦ موقفا معينا من الإخوان... ثم عدل عنه بعد حرب فلسطين...

قال لى ذلك... ثم قال: والله أعلم

هذه هى العناصر التى كانت فى الأجواء خلال الفترة بين عامى ١٩٤٥ و١٩٤٦ وفى هذه الفترة، كان جمال عبدالناصر قد بدأ خطته الجديدة.

وإلى اللقاء.

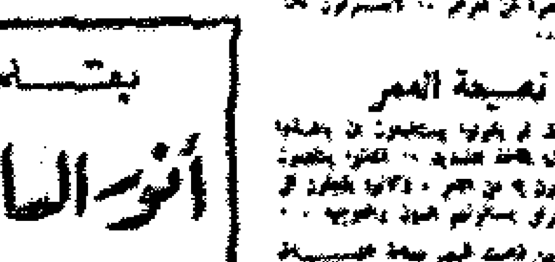
● نشر فى العدد التاسع والعشرين من «الجمهورية» الصادر فى يوم الإثنين ٤ يناير ١٩٥٤.

دور عزيز المصرى فى معركة الحرية
حقيقة منشوات مصطفى صدقى
وقصة اعترافات حسين توفيق
ضباط يحلفون يمين الإخوان المسلمين!

بقلم : أنور السادات

٢٣ فبراير ١٩٥٤ — صفحات مجهولة من كتاب الثورة

دور عزيز المصري في معركة الحرية
حقيقة منشورات مصطفى صدقي
وقصة اعترافات حسين توفيق



ضباط يحلفون يمين الإخوان المسلمين

عندما يتكاثف الظلام وتتصدر الرؤية، وتتخبط الناس في طرقات الحياة وتتشعب بهم مسالكها .. يختار الله من عباده المخلصين من يتيح لهم البصيرة التي تغني عن البصر، فلا هم يتوقفون عند العثرة، لأنهم يتوقعونها، وإن لم ترها منهم الأبصار ...

وقد كان الله معنا في طريقنا الطويل إلى هذه الثورة، فأودعنا البصيرة كلما ادلهمت الظلمة .. وجنب خطواتنا أكثر العثرات ..

وفي طريقنا هذا الطويل امتد أمامنا السواد، ونبعت أقدامنا السلام .. ولكن خطواتنا ظلت محتفظة بذاتها وشخصيتها، واستقلال توجيهها ... واستطاعت أن تؤكد للجميع، أنها تستطيع أن تلتقي بخطوات الآخرين، ولكنها لا تستطيع أن ترتبط بها، لا متبوعة ولا تابعة، لأنها خطوات لا تخضع إلا بإرادة أصحابها، وأصحابها لم تكن تعوزهم البصيرة، مهما افتقدوا الضوء في الطريق ...

حيلة من القاويش

نصيحة العمر

التعاون .. لا الانضمام

يمين الإخلاص للدعوة

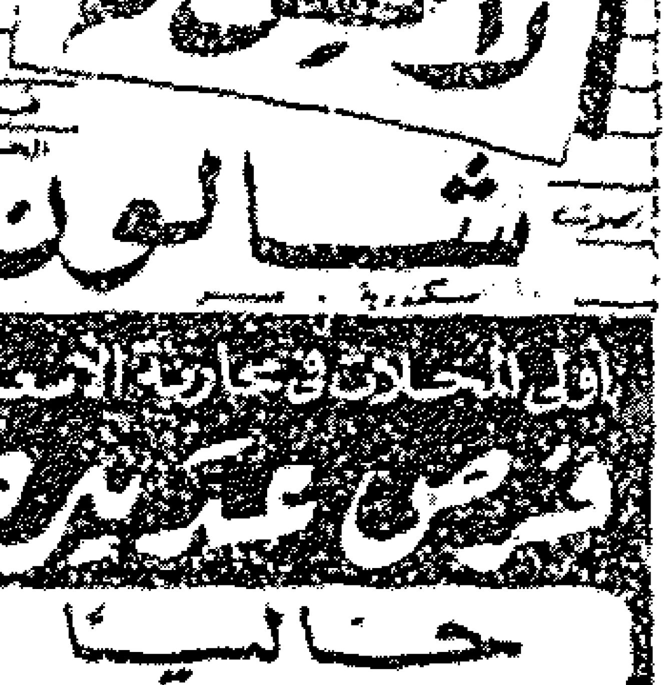
لا آلات ولا أدوات

منشورات مصطفى صدقي









الصفحة الخامسة من «الجمهورية» في يوم الأحد ٢٣ فبراير ١٩٥٤.

عندما يتكاثف الظلام، وتتعذر الرؤية، ويتخبط الناس فى طرقات الحياة، وتتشعب بهم مسالكها.. يختار الله من عباده المخلصين من يتيح لهم البصيرة التى تغنى عن البصر، فإذا هم يتوقفون عند العثرة، لأنهم يتوقعونها، وإن لم ترها منهم الأبصار.

وقد كان الله معنا فى طريقنا الطويل إلى هذه الثورة، فأودعنا البصيرة كلما إدلهمت الظلمة.. وجنب خطواتنا أكثر العثرات.

وفى طريقنا هذا الطويل، لمعت أمامنا أضواء، وتبعت أقدامنا أقدام.. ولكن خطواتنا ظلت محتفظة بإتزانها وشخصيتها، وإستقلال توجيهها وإستطاعت أن تؤكد للجميع، أنها تستطيع أن تلتقى بخطوات الآخرين، ولكنها لاتستطيع أن ترتبط بها، لا متبوعة ولا تابعة، لأنها خطوات لاتمضى إلا بإرادة أصحابها، وأصحابها لم تكن تعوزهم البصيرة، مهما إفتقدوا الضوء فى الطريق..

منذ عام ١٩٤٢.. وعقب حادث ٤ فبراير ببضعة أشهر تقررت هذه الحقيقة، حقيقة استقلال خطواتنا داخل الجيش عن كل مؤثر خارجى وعن كل قيادة خارجية.

وكان لهذا القرار، الذى أصبح تقليدا راسخا لنا بعد ذلك، سبب مباشر وظروف

ففى يوم من الأيام، توجه المرحوم الشهيد «وجيه خليل» إلى عبدالحكيم عامر، وكان يعرفه ويعرف حماسه وإتجاه تفكيره ويعرف أنه واحد من جماعة من الضباط يتشاورون دائما فيما ينبغى عمله عقب ذلك الحادث المشئوم..

ولاشك أن بعضنا كان يرى العنف ويفكر فى القيام بأعمال إرهابية واسعة النطاق.. فالإرهاب دائما هو أول الحلول التى تتبادر للشباب المتحمس فى أيام المحن القاسية التى تجتاح الوطن.

ولم تكن هذه الفكرة تجد معارضة كبيرة أو محسوسة من أكثرنا.. بل لقد كان بعضنا يدبر الأمر للتنفيذ وكأنها خطة مرسومة لا إختلاف عليها..

ولم تكن زيارة الشهيد «وجيه خليل» لعبدالحكيم إلا صدى لوجود هذا الإتجاه بيننا.. فقد كان مقصودا بهذه الزيارة تدبير إغتيالات متعاقبة واسعة النطاق تشل حركة الإنجليز وأعوانهم فى تلك الأيام العصيبة من أيام الحرب.

وإنتهت هذه الزيارة والتقى عبدالحكيم بجمال فأنبأه بنبئها.

لا آلات ولا أدوات

وكعادة جمال أنصت طويلا إلى هذه القصة.. والأسلوب الذى سيتبع فى التنفيذ، وتمويل الفدائيين ورعاية أسر من يتعرض منهم لسوء، والإستعدادات الموجودة لهذه المعركة التى «سوف» تدور فى الظلام.. وشىء واحد لم يستطع جمال أن يستخلصه من حديث عبدالحكيم.. من الذى سيدير هذه المعركة.. وما هى أهدافه منها.

ولم يكن الشهيد وجيه خليل قد قام بهذا الإتصال بإسمه الخاص ولكن بإسم جماعة تقف من خلفه هى التى بعثته رسولا إلى جمال..

وقال عبدالحكيم إن وجيه قد إحتفظ بما بعد ذلك سرا وأن جماعته تريد أن تستعين بنا لما تعرفه عنا من إستعداد لخوض معركة من هذا القبيل..

وقال جمال فى هدوء:

- لا...

ثم أردف:

قد نرى القيام بحملة إرهابية واغتيالات، ولكننا عندما نصنع ذلك يجب أن نصنعه بأنفسنا ونتحمل وحدنا كل مسئولياته ونتائجه..فالخط الذى يجب أن نسير عليه كضباط فى الجيش هو ألا

نكون آلات ولا أدوات فى يد أحد من الناس ولا جماعة من الجماعات مهما كانت وحدة أهدافنا ومهما كانت درجة إخلاصهم.

قال جمال هذا فى عام ١٩٤٢.. وإنتهت بهذا قصة «وجيه خليل».. قبل ان تبدأ..!

ولكن قصة أخرى لوجيه خليل قد بدأت بعد ذلك.. قصة عظيمة، مجيدة وهب فيها حياته كأشجع ضابط فى أقدس الميادين.

فقد انضم وجيه بعد ذلك إلى الأحرار وأصبح عنصرا من أهم العناصر فى تشكيلاتهم.. فلما كانت حرب فلسطين كان من أسبق الضباط إليها وهناك فى الميدان جرح زميل له وكان هو فى مصفحته فهبط ليحمل زميله الجريح.. هبط تحت نيران اليهود ليخر صريعا شهيدا كأشجع مايكون ضابط وكأنبل ما يكون إنسان.

يمين الإخلاص للدعوة

وفى عامى ١٩٤٤، ١٩٤٥.. فى الفترة التى تتناولها هذه المجموعة من الصفحات، تكررت الصلات بين الضباط الأحرار وبين تشكيلات كثيرة عسكرية، ومدنية. ولكن هذا القرار الذى صدر فى عام ١٩٤٢، ظل دستورا لهذه المجموعة من الضباط.

فى هذه الفترة نشطت جماعة الإخوان المسلمين نشاطا كبيرا فى إجتذاب عدد من ضباط الجيش إليها.. ونشطت نشاطا كبيراً فى الإتصال بجمال عبدالناصر، ومجموعة أصدقائه..

وليس سرا أن عددا من الضباط كانوا قد ألفوا دعوة الإخوان، وأحبوها.. ورأوا فيها أملا ومخرجا لمصر من محنتها.

وعندما تلتقى ببعضهم اليوم قد يقص عليك قصة ذلك اليوم الذى تم فيه «إختباره» بواسطة الجماعة، ثم طلب منه أن يذهب إلى مكان ما.. لحلف اليمين.

كانوا اذ ذاك يذهبون ليلا، إلى حى الصليبة فاذا ما إنطوى الحى عليهم، قادهم رسول الإخوان فى أزقة مظلمة متعرجة. حتى يصلوا إلى بيت عتيق.. فيصعدون درجا يؤدى بهم إلى غرفة مظلمة، لا أحد فيها، ولا تفتح نوافذها..

ويجلس الضابط إلى منضدة. وضع عليها مصحف. ومسدس.. ثم يدخل إلى الغرفة فى الظلال رجل لايراه الجالس، ويلقنه يمين الإخلاص للدعوة، فيؤدى هذا القسم ويداه موضوعتان على المصحف والمسدس.

وتنتهى هذه العملية فيخرج الرجل من الغرفة أولا.. ثم يخرج الضابط ليجد رسول الإخوان الذى جاء به فى إنتظاره يقوده مثلما جاء به إلى خارج الحى.

التعاون.. لا الانضمام

وكانت الصلة بين الإخوان، وبين ضباط الجيش، ضابط هو الصاغ عبدالمنعم عبدالرؤوف.. وكان عبدالمنعم، يدعو ضباط الجيش إلى الإنضمام لصفوف الإخوان، ويعرفهم دائماً بالصاغ «محمود لبيب» ليتولى هذا قيادتهم فى طريق الدعوة.

وكان الضباط يرحبون بهذا التعاون.. إنهم كانوا يريدون متنفسا ينفسون به عن آلامهم الحبيسة، كقوة وطنية مقيدة بأغلال الحياة العسكرية..

وكانت كثرة الضباط ترى أن يقوم التعاون دون الإنضمام.. فمن سمات الرجل العسكرى ألا يخضع لأوامر تأتيه عن غير الطريق العسكرى الذى يندرج فيه..

ولعل أخطاء كثيرة قد وقعت من جماعة الإخوان فى صلتهم بالضباط.. فقد كان الضباط ينضمون إلى هذه الجماعة، أو يتعاونون معها، وفى يقينهم أن دورهم فى هذا التعاون هو دور التنظيم والتدريب

لشباب الإخوان المتحمس الذى يتحرق شوقا للتدريب العسكرى وحمل السلاح فى إنتظار الفرصة التى تأتيه فداء للوطن..

ولكن تنظيمات الإخوان، كانت لا تفرق بين الضباط وغيرهم.. حتى لقد كانوا يحددون للضباط مواعيد التدريب.. فإذا أقبلوا وجدوا واحدا من المدنيين، يعطيهم دروسا فى كيفية إستعمال المسدسات!

وكانت هذه الأساليب تزعج الضباط إزعاجا شديدا.. فهم يقبلون على الإخوان.. وعلى دعوتهم، كضباط مدربين، لا كجماعات فى حاجة إلى التدريب.. وهم يشعرون بمرارة وأسى يملآن قلوبهم عندما يجدون الجزاء الوحيد لهم على هذا الإقبال الوفى ، هو أن يعلمهم مدنى، كيف يستعملون السلاح!

وفوق ذلك، فلم تكن خطة الإخوان واضحة لهم.. ولم يكن أحد يصارحهم بشىء.

وكانوا يتساءلون.. متى نعمل.. وما هو نوع العمل الذى نعد أنفسنا ونعد شباب الإخوان له.. فلا يجابون على سؤال.

وكانوا يسألون: فما هو المطلوب منا..؟!

فيقال لهم: أن تثقوا فى قيادة الدعوة.. وأن تعملوا ما يطلب منكم فى حينه فحسب..

ولم تكن هذه الفترة قصيرة.. فقد إمتدت أكثر من عامين.. وحدثت فى خلالها أحداث ظن هؤلاء الضباط أن كل حدث منها، سيكون الناقوس، الذى تصدر على أثره أوامر العمل المطلوب..

ولكن هذه الأحداث مرت، بكل رنين النواقيس.. والإخوان فى جمود.. والضباط المنضمون إليهم فى حيرة من أمرهم.. لا يعرفون ماذا يصنعون.

نصيحة العمر

وكضباط لم يكونوا يستطيعون أن يأخذوا انفسهم هذا المأخذ الشديد.. فكانوا يتكلمون فيما يضيقون به من الأمر. وكانوا يلجأون إلى أصحاب الرأى يسألونهم العون والتوجيه..

وكان ممن ذهبت إليهم جماعة الضباط المنضمين للإخوان الفريق عزيز المصرى..

وللفريق عزيز المصرى، طبيعته النزاعة إلى التحرر من كل قيد.. وشخصيته المستقلة دائما وطريقته فى تربية ضباطه وأبنائه على الإستقلال بالرأى وقوة الشخصية، والعمل بالإرادة.

ويقول لك هؤلاء الذين ذهبوا إلى الفريق عزيز المصرى، إنه قال لهم «كونوا إخوانا إذا شئتم.. ولكن لا تقفوا عند هذا الحد».

ولما سألوه عما يصنعون أجابهم:

– إقرأوا.. إقرأوا كل كتاب.. إقرأوا فى السياسة ومذاهبها.. والإقتصاد وفنونه، والإجتماع وأبوابه.. إقرأوا وأضيئوا فى رؤوسكم هذا المصباح الذى وضعه الله فيها لكى يضاء لا لكى يهمل ويهال عليه التراب.

إقرأوا.. ثم إضربوا فى الأرض. وإعرفوا الناس، وجربوا بأنفسكم كل شىء.. ولا تتقيدوا بدعوة، ولا بزعيم.. ولاتربطوا أنفسكم برأى، قد ترون غيره غدا اذا ما إستنارت بالعلم رؤوسكم.

ينضمون للأحرار

هذه كانت نصيحة عزيز المصرى للضباط الذين ذهبوا إليه فى تلك الأيام..

وقد ظل هؤلاء الضباط على صلتهم بدعوة الاخوان، ولكنهم جميعا أخذوا هذه النصيحة مأخذ الجد.. وبدأوا يقرأون..

ومن هؤلاء عدد من الضباط الذين يفخر بهم جيش مصر.. لأنهم استطاعوا أن يجمعوا بين روحانية الدين، وبين ضوء العلم، وحقائق الحياة المادية التى خلقنا لكى نعيش فيها..

وكل هؤلاء قد انضموا إلى الأحرار بمجرد تكوينهم على النحو الذى سنفصله فى هذه الصفحات.

وفى خضم تلك الايام العصيبة من أعوام ١٩٤٤، ١٩٤٥، ١٩٤٦.. حدثت أحداث أخرى من تشكيلات أخرى.. بعضها مدنى.. وبعضها عسكرى.

منشورات مصطفى صدقى

وكان أول هذه الأحداث، هو حادث التدبير للاعتداء على الفريق إبراهيم عطا الله.. الذى أتهم فيه اليوزباشى مصطفى صدقى وزملاؤه.

وكان مصطفى كمال صدقى ضابط فى إدارة المخابرات فى الجيش فإختار فى مجموعته عددا من صولات الإدارة.. وأخذ يعد المنشورات ويطبعها داخل الإدارة، وبآلاتها، ظنا منه أن هذه الوسيلة هى أسلم الوسائل لكى لا ينكشف أمر مجموعته.

ولكن تقديره لم يكن سليما.. فقد ضبطت المنشورات.. وضبطت قائمة فى داخل إدارة المخابرات تحوى اسماء ثلاثة وعشرين ضابطا.. وصولا..

وألقى القبض على الجميع، وتقرر حبسهم وتقديمهم إلى المحاكمة.

حيلة من القاويش

وكان الحادث الثانى الذى أحدث دويا فى البلاد هو حادث إغتيال أمين عثمان.. وقد قام بهذ الحادث تشكيل فدائى خارج الجيش.

وكان متفقا عند تقريره، ألا يبوح القاتل إذا قبض عليه بأى شىء أو أى إسم من أسماء إخوانه.

وكان حسين توفيق، هو الذى تقدم فى اللحظة الأخيرة وأصر على أن يوكل اليه أمر التنفيذ. وعندما قبض عليه، ظل مصرا على عدم الإعتراف، حتى إستطاع كامل القاويش أن يلعب بأعصابه، بقصة مختلفة، إن دلت على شىء فعلى ذكاء القاويش وإدراكه الصحيح لنفسيات من يقوم بالتحقيق معهم.

فقد أدرك القاويش أن حسين توفيق قد قام بهذا العمل، كعمل من أعمال البطولة يذكره له التاريخ.. فأراد أن يطعنه فى حلمه العزيز طعنة دامية، تجعله ينسى عهده للجماعة، ويبوح بكل شىء.

وذهب القاويش إلى إحدى الصحف الكبيرة، وأملى عليها خبرا مؤداه أن التحقيق قد أسفر عن وقوع الحادث لأسباب نسائية.. وجعل فى الخبر تلميحا إلى قيام صلة بين أمين عثمان وبين سيدة عزيزة جدا.. على القاتل حسين توفيق..

وفى الصباح دعا القاويش القاتل إلى مكتبه.. وأطلعه على هذا الخبر..

وجن جنون حسين توفيق..

لقد قتل أمين عثمان، وفى يقينه أنه يعمل عملا من أعمال البطولة الوطنية.. فكيف يقبل أن تذهب كل هذه البطولة هباء.. وأن تلوث أيضا سمعة أسرته، وسمعة أعز النساء عليه.

وإنفجر يعترف.. يعترف بالجماعة التى دبرت هذا الحادث، وأسماء أعضائها، وأهدافهم، ومكان إجتماعاتهم، وتفاصيل ما يملكون من أسلحة.. إعترف بكل شىء.

وكنت بين من شملتهم إعترافات حسين توفيق، فألقى القبض علىّ وشاركته السجن واحدا وثلاثين شهراً، حتى برأنى القضاء.

سياسة جمال

وهكذا..

كانت هذه الفترة فترة نشاط كثير.. نشاط من الإخوان كجماعة منظمة.. ونشاط فى داخل الجيش أو ألوان من النشاط فى داخل الجيش، وإتصالات بالفريق عزيز المصرى.. وتدبيرات عنيفة وإغتيالات.

وكان لجمال عبدالناصر رأى فى كل هذا..

فيوم طلب منه عبدالمنعم عبدالرؤوف أن تقوم بينه هو وجماعته صلة مع الإخوان.. رحب بقيام هذه الصلة.. على أن تظل لجماعته شخصيتها المستقلة، وتفكيرها الخاص.

ويوم وقع حادث الفريق إبراهيم عطا الله قرر معاونة جميع المقبوض عليهم من الضباط وضباط الصف، فقام هو ومجموعة أصدقائه بجمع الاشتراكات ودفع مرتبات المقبوض عليهم جميعا طيلة فترة إيقافهم.

وحدث أن علمت إدارة الجيش بهذا الصنيع فأصدرت أمرها بمنع الإتصال بهؤلاء الضباط، ومنع القيام بأية معاونة لهم.. ولكن جمال وأصدقاءه رفضوا هذه الأوامر، وتحدوها علنا وواصلوا العمل لمعاونة المعتقلين.

وقد ظنت هذه الجماعة يوم خرجت من الإعتقال، أن هذا الموقف من جمال معناه رضاؤه عن العمل معها.. ولكن جمال رفض ذلك عندما عرض عليه.. وقررت المجموعة عدم التعاون مع هذه الجماعة، لأنها تضم أفرادا أكثرهم يتصف بالعبث وعدم المبالاة وحب الشهرة، وعدم التقدير لحقيقة العمل، الذى يريدون عمله.

أما لماذا قام بمعاونتهم.. فقد قام بذلك، لأنه رأى إشعار الرؤساء فى الجيش، بأن هذا الرأى الذى رأته فيهم جماعة مصطفى صدقى.. يمكن جدا أن يكون رأى الجميع!

ويوم قام التشكيل الفدائى بإغتيال أمين عثمان، ظلت المجموعة على صلة بى، حتى أعدت خطة لتهريبى من السجن.

وهكذا كانت تقاليد المجموعة قد بدأت تتخذ صورا واضحة فى مواقف متعددة..

وكان أهم هذه التقاليد، هو أن تظل الجماعة قائمة بنفسها، عاملة بإرادتها، محددة لخطواتها.

وفى كلمتين إثنتين..

ألا تكون آلة، ولا أداة فى أى يد

أما وسائلها.. فقد تطورت..

تطورت من صداقة تجمع الضباط، إلى تشكيل له نظام وأدوات..

وتطورت من السرية.. إلى العلنية إلى السرية مرة أخرى.. وكان لكل مرحلة من هذه المراحل ظروفها وأسبابها وغاياتها الوقتية المحددة أيضا.

وظلت الجماعة تسير.. خطوة خطوة.. نحو إعداد كبير..

● نشر فى العدد التاسع والسبعين من «الجمهورية» الصادر فى يوم الثلاثاء ٢٣ فبراير ١٩٥٤

القواعد التى قامت عليها حركة الأحرار
العمل الجماعى وحده هو الطريق
إلى النجاح
النقراشى يهاجم الإنجليز ويضرب الشعب!
والإخوان المسلمون يهادنون صدقى

بقلم : أنور السادات



١٢ - «الجمهورية» — السبت ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٤

التى قامت عليها حركة الأحرار

العمل الجماعى وحده هو الطريق الى النجاح

النقراشى يهاجم الانجليز ثم يضرب الشعب

والاخوان المسلمون يهادنون صدقى

بقلم **أنور السادات**

إن السر الحقيقى فى نجاح هذه الثورة، راجع الى الروح التى سادت فى التمهيد لها ..

فقد يجتمع الناس حول مبادئ، حول نظريات يقرءونها، ويعتنقونها، او افكار يبشر بها دعاتها وقد يبلغ بهم الاقتناع بهذه المبادئ والنظريات والافكار غايته، ويبلغ بهم التعصب لها ذروته، وما بعد الذروة ايضا ان صح هذا القول ..

ولكن هذه المبادئ والنظريات، قد تتعرض للجدل، لتتعرض من الجدل للانقسام .. وقد يتفاقم الجدل، فينحرف عن الآراء الى اصحابها، وتبرز الاشخاص، وتختفى الآراء .. وتتلاعب اهواء النفوس ... ثم تنهار الجماعة وما اجتمعت عليه ...!

حدث هذا كثيرا ...

حدث فى مصر، وحدث فى غير مصر .. ولقد فقدت الشعوب فرصا كثيرة للتحرر والتطور، لأن محاولات قامت بين قادتها، اورثتهم التفكك والتحزب، وشعبت التفرقات بينهم مطامع النفوس واهواؤها ..

ولست اكتب هذا غضا من قيمة المبادئ والنظريات فما أستحق الحياة من لا مبدأ له يعيش من اجله ...

ولكننى فقط ارى ان المبادئ وحدها لا تكفى، لأن الرباط الذى يربط العقول، لا يستطيع دائما ان يربط القلوب، وان يذيب الهوى، ويقتل الاطماع ..

اجتماعات

رأى عام

الجيش والشعب

أهداف .. وهدف

لابد من قيادة

لا أسرية

أيتها السيدة المدبرة اغتنمى فرصة الأسبوع العظيم للبياضات والأدوات المنزلية فى محلات صيدناوى

فساتين :

صينى :

فخار :

قسم البياضات :

الأوانى الزجاجية :

كريستال :

الافتتاح الرائع لأحدث مؤسسة للنظارات
اميل جريش
اخصائى النظارات المعروف
EMILE GREICHE OPTICIEN SPECIALISTE

الصفحة السبت من «الجمهورية» فى يوم السبت ٢٧ فبراير ١٩٥٤.

إن السر الحقيقى فى نجاح هذه الثورة، راجع إلى الروح التى سادت فى التمهيد لها.

فقد يجتمع الناس حول مبادىء، حول نظريات يقرءونها، ويعتنقونها، أو أفكار يبشر بها دعاتها، وقد يبلغ بهم الإقتناع بهذه المبادىء والنظريات، والأفكار غايته، ويبلغ بهم التعصب لها ذروته، وما بعد الذروة أيضا إن صح هذا القول..

ولكن هذه المبادىء، والنظريات، قد تتعرض للجدل، فتتعرض الجماعة للإنقسام.. وقد يتفاقم الجدل، فينحرف عن الآراء إلى أصحابها، وتبرز الأشخاص، وتختفى الآراء.. وتتلاعب أهواء النفوس.. ثم تنهار الجماعة وما إجتمعت عليه..!

حدث هذا كثيرا.. حدث فى مصر، وحدث فى غير مصر.. وفقدت الشعوب فرصا كثيرة للتحرر والتطور، لأن مجادلات قامت بين قادتها، أورثتهم التفكك والتحزب، وفتحت الثغرات بينهم لمطامع النفوس وأهوائها.

ولست أكتب هذا غضا من قيمة المبادىء والنظريات فما إستحق الحياة من لا مبدأ له يعيش من أجله.

.. ولكننى فقط أرى أن المبادىء وحدها لاتكفى، لأن الرباط الذى يربط العقول، لايستطيع دائما أن يربط القلوب، وأن يذيب الهوى، ويقتل الأطماع..

ولذلك أرجع الفضل فى نجاح هذه الثورة، وعدم إنكشاف أمر مدبريها والممهدين لها.. إلى شىء أهم كثيرا من المبادىء التى قامت عليها، وقامت من أجلها.. إلى الصداقة العزيزة الوثيقة، التى ربطت بين كل من شارك فيها، صغيراً كان أم كبيراً..

وهل كان يمكن، لولا هذه الصداقة أن يزيد عدد الضباط الأحرار قبيل الثورة علي الألف ضابط، فلا يوجد بينهم خائن، ولا وجل ولا ثرثار؟!

وهل كان يمكن، لولا هذه الصداقة، أن تقوم الثورة فعلا، وتنجح، فلا يعرف من الأحرار إلا هذا العدد الضئيل، الذى ألزمته ظروف الثورة أن يظهر بوجهه على مسرح الأحداث، وأن يتحمل بنفسه مسئوليات العمل الكبير؟!

إنها الصداقة فقط.. الصداقة التى إستطاعت أن تحوط مبادىء الثورة بسياجها المتين، وأن تحمى النفوس من نزواتها.. لأنها إحتلت من كل قلب منزل الأطماع...

وبهذا الدستور.. دستور الصداقة.. بدأ التكوين الفعلى للأحرار فى عام ١٩٤٤.

إجتماعات

كانوا قد أصبحوا جماعة من الأصدقاء.. جماعة صغيرة عرف بعضها بعضا فى ظروف كثيرة مختلفة.. وقربت بينهم صداقة أثيرة واعية..

ومنهم من عرفه الناس فى مجلس الثورة بعد ذلك.. ومنهم من لايزال بنصيبه من العمل فى وحدته أو سلاحه أو الإدارة التى ينتمى اليها..

كان منهم مثلا، جمال عبدالناصر.

وكان منهم طلعت خيرى وعبدالمجيد فؤاد من سلاح المدفعية.. وكان منهم عثمان نورى من ضباط المخابرات وكان منهم كمال الدين حسين.. وكان منهم حسين حمودة.. وعبدالمنعم عبدالرؤوف..

وكان معهم آخرون أيضا.. فلست أذكر الاسماء هنا على سبيل الحصر.. فقد كان معهم مثلا الصاغ خالد محيى الدين، وكانوا يجتمعون أحيانا فى بيته بشارع الخليج بالحلمية.. كما كانوا يجتمعون فى بيت جمال الذى كان يقع عند تقاطع شارع الملك مع شارع الملكة نازلى.. وأحيانا كانوا يجتمعون فى بيت عثمان نورى بشارع جسر السويس بضاحية مصر الجديدة.. وأحيانا فى بيت حسين حمودة بمنشية البكرى.

رأى عام

أصدقاء متفاهمون.. يريدون أن يعملوا شيئا.. ويستعرض هؤلاء الأصدقاء حالة البلاد.. فيخرجون بعدد من الحقائق التى يجب أن يحسب لكل منها حسابها

يستعرضون حالة الجيش، فإذا هى حالة أليمة غير مشجعة.. فلم يكن لضباط الجيش إذ ذاك رأى عام.. ولو فرض أن كل ضابط صغير كان إذ ذاك ساخطا فى نفسه.. فان هذا السخط لا يمكن أن يؤدى إلى نتيجة عملية، ما لم يصبح سخطا عاما، محدد الأسباب، دافعا إلى التكتل والعمل..

فالمشكلة الأولى إذن، هى مشكلة خلق رأى عام واع بين ضباط الجيش، حتى يستطيع هذا الرأى العام أن يحرك الجيش كله نحو هدف واحد، بصورة منظمة منسقة تؤتى ثمارها.

ولم يكن يغيب عن ذهن هذه المجموعة ما سبق من أحداث خلال الفترة الأولى من أيام الحرب.. فقد كنا إذ ذاك نعمل.. ولكننا كنا نعمل إعتمادا على أنفسنا، لا على رأى عام موحد بين الضباط.. ولذلك كانت أعمالنا فردية.. أو شبه فردية.. وقد تأكد لهذه المجموعة ألا جدوى هناك من أى عمل فردى.. وأن العمل يجب أن يكون عملا جماعيا كبيرا يأتى نتيجة لرأى عام يجمع الضباط..

الجيش والشعب

والمشكلة الثانية التى كانت هذه الجماعة تفكر فيها.. هى مشكلة إنعزال الجيش عن الشعب، وتسخيره دائما ضد كل حركة شعبية تقوم فى البلاد.. فقد كان الشعب فى تلك الفترة يتحمل العبء كله.. عبء الثورة بعد الثورة.. عبء التضحيات الجسيمة والإستشهاد برصاص السلطات المصرية والإنجليزية أيضا..

وكان الجيش.. الجيش المصرى.. هو القوة الخارقة التى يحسب الشعب حسابها، كلما فكر فى الثورة من أجل تحقيق أهدافه..

كانت هذه هى صورة الجيش فى نظر الشعب.. أو كان هذا هو الوضع المتعارف عليه.. ولم يحدث أبدا أن حاول الجيش إزالة هذه الفرقة بينه وبين الشعب، لا لأن ضباط الجيش كانوا يكرهون ذلك، ولكن لأنهم كانوا منصرفين عنه انصرافا غير واع.. أى أنهم كانوا مستسلمين للأمر الواقع المتعارف عليه..

وكانت هذه المجموعة ترى أن الشعب الذى تحمل حتى اليوم كل التبعات والتضحيات ينبغى أن يطمئن إلى جانب جيشه.. وأن يدرك أن هذا الجيش معه لا عليه.. وعلى الأقل أن يدرك أن هذا الجيش إن لم يستطع أن يكون معه بحكم ظروفه وواقعه، فلن يكون عليه بحكم مصريته..

أهداف.. وهدف

وإستقرت المجموعة على خطة طويلة المدى.. خطة لها أهداف صغيرة يتبع بعضها بعضا.. لها هدف كبير وغاية، يجب أن تصل إليها مهما بعدت الشقة وطال المدى..

وأصبح دور هذه المجموعة منذ تلك الأيام، هو السير خطوة خطوة حسب برنامج مرسوم على الوجه التالى:

- خلق رأى عام قوى بين ضباط الجيش.
- إشعار الضباط أن عليهم مسئولية كمواطنين، لاتقل عن مسئولية أفراد الشعب العاديين.
- التدرج فى بث الوعى السياسى بين الضباط حتى يصبح من الممكن توجيههم إلى أن يكون للجيش نفسه دور فى عملية إنقاذ البلاد، أو أن يكون على الأقل محايدا بين الشعب والسلطات الغاصبة الحاكمة، بحيث لا يشترك فى تسديد الضربات إلى الشعب إذا تقدم أحد لحمل تبعة الإنقاذ..

أما الهدف البعيد من كل هذا فهو الوصول بأى صورة من الصور إلى تغيير النظام الملكى القائم فى البلاد.

لا سرية..

وبدأت المجموعة بعد ذلك تسير إلى هذه الأهداف وفق نظام معين أيضا تم الإتفاق عليه..

فقد تم الإتفاق مثلا على نبذ السرية نبذا تاما فى هذه المرحلة من مراحل الدعوة.. فإن السرية توحى بالتآمر، وتنذر بالخطورة ولا تستطيع أن تجمع الأنصار بسهولة، لأن عامل الخوف والحذر قد يتغلب فى آخر الأمر فلتكن العلنية إذن هى الوسيلة.. ففى جوها يمكن تكوين الصداقات وتعزيزها، وإختيار الأشخاص الذين يبدو إخلاصهم وقدرتهم على العمل دون إثارة لغط أو شكوك فى صفوف الضباط أو فى الأوساط الحاكمة..

وكانت هذه هى الخطوة الأولى.. فقد إنبثت هذه المجموعة بين جماعات الأصدقاء فى الجيش تثير المناقشات العلنية فى جميع مشاكل الدولة السياسية والإجتماعية والإقتصادية.. الداخلية والخارجية.. وبدأت هذه المناقشات العلنية تستهوى الضباط الشبان المتحمسين.. وتملأ حياتهم بشىء جديد يعطيها قيمة أكثر.. فقد كانت حياة ضباط الجيش حتى ذلك الوقت حياة خاوية إلا من النظريات العسكرية التى يدرسها والتدريبات التى يقوم بها، ومشاكله الفردية الجدية أو العابثة على حد سواء..

وإنتشرت هذه الاجتماعات المفكرة.. أو إنتشرت هذه المناقشات العلنية بين الضباط بصورة مبشرة ناجحة..

لابد من قيادة

وبدأت بواكير النجاح تظهر سريعا..

فقد بدأت تسمع نفس المناقشات هنا، وهناك.. وبدأت ترى الضباط يلتقون فإذا هم متفقون فى السخط متفقون فى الشعور بحاجات الوطن متفقون فى التفكير فيما يجب عمله من أجل إنقاذه..

ومعنى هذا أن الرأى العام قد بدأ يتكون.. وأن عقبة كبيرة من عقبات الطريق، قد أخذت تزول..

وكان لابد بعد ذلك من التوجيه.. فقد كان واضحا أن هذا السخط عندما ينمو، يمكن أن يكون خطرا كبيرا، إذا لم يصحبه توجيه سديد..

فقد تقع أحداث كالتى كانت تقع بين شهر وآخر وبين يوم وآخر من تلك الأيام العصيبة السوداء.. وإذا بالساخطين ينفجرون فرادى.. أو ينفجرون دون وعى، فيؤخرون الحركة بدلا من أن يساعدوا على تقدمها.

وقد تستطيع بعض الهيئات أو الجماعات، إذ تشعر بهذه الروح الجديدة تدب بين ضباط الجيش، أن تحاول ضمهم إليها بصورة أو بأخرى.. وعندئذ تفلت من الجيش قيادته، إلى أيد قد لا تحسن التوجيه..

وعادت المجموعة تتفق على أساسين آخرين تعتبر المحافظة عليهما عاملا جوهريا من عوامل النجاح:

- العمل على ألا يتأثر الضباط بالأحداث الجارية أى تأثر يدفعهم فرادى أو جماعات على القيام بأى عمل دون وعى أساسى، ودون خطة حكيمة مرسومة..
- والعمل على أن يحتفظ ضباط الجيش بإستقلال تفكيرهم فلا يرتبطون كأفراد أو كجماعات بأية هيئة أو حزب خارج نطاق الجيش لأن الجيش عنصر خطير يجب أن يظل توجيهه فى الأيدى القادرة على تقدير خطره، فلا يكون أداة فى يد أحد أو جماعة من الناس..

تجمعات

وكان لابد لضمان هذين العنصرين من نشاط منظم تسيطر على توجيهه المجموعة بنفسها..

ويوما بعد يوم، وجدت حلقتان كبيرتان تجتمعان علنا، وفى نطاق واسع، وعلى أساس الصداقة أيضا..

وعن طريق هاتين الحركتين، بثت الأفكار، وحذر الضباط من التأثر بالحوادث تأثرا فرديا ومن الإرتباط بأية جماعة أو فرد خارج نطاق الجيش..

وبدأت هاتان الفكرتان ترسخان فى نفوس الضباط.. وأصبحنا جزءا لا يتجزأ من الرأى العام المنتشر الموحد بين ضباط مختلف الأسلحة وإطمأنت المجموعة إلى أن الجيش لن يقوم بأى عمل أخرق أو أحمق.. وأن الضباط سيظلون بمنأى عن التأثر الفردى.. وأنهم لن يعملوا إلا جبهة واحدة منظمة..

وبطبيعة الحال لم تكن سيطرة المجموعة قد شملت جميع ضباط الجيش ولا نسبة كبيرة منهم..

فقد كانت فى الجيش العناصر السلبية التى لا تضر ولا تفيد، والتى لا يمكن الإعتماد عليها فى أى شىء..

وكانت فى الجيش عناصر أخرى مستقلة عن هذا التكوين كجماعة مصطفى صدقى التى رفضت جماعتنا التعاون معها..

وكانت فى الجيش عناصر إنتهازية لم يكن من الصعب تحديدها وإتقاء خطرها..

وفى ظلال هذه الاجتماعات العلنية.. والمناقشات المخلصة والوعى الذى بدأ ينمو تكونت الصداقة القوية بين الضباط.. التى كانت سياج الحركة منذ ذلك التاريخ.. وظلت سياجها حتى اليوم..

ومثلما كان من المستحيل الوصول إلى السيطرة الكاملة على جميع ضباط الجيش وعناصره، فقد كان من المستحيل منع الضباط من التأثر بالأحداث الجارية فى البلاد.. ولكن المبدأ الذى إتفقت المجموعة عليه، منذ البدء.. وهو ألا يؤدى هذا التأثر إلى أى عمل فردى.. قد ظل سائدا طوال الوقت.. وكان تأثر الضباط بالأحداث، عاملا مساعدا لإكتمال صفوفهم حول الفكرة والهدف البعيد، ولتحديد دورهم تحديدا واضحا وضوح الشمس..

الإخوان وصدقى

ففى فبراير ١٩٤٦ - مثلا - وقعت حوادث الجامعة المشهورة فأثارت حماسة الضباط للحركة الشعبية، وحقدهم على السلطة الحاكمة والمستعمرين..

وفى خلال الأيام التى تلت هذه الحركة وقعت المهادنة بين صدقى وجماعة الإخوان المسلمين.. فأيدت هذه المهادنة دعوتنا إلى عدم الإرتباط بأية جماعة خارج نطاق الجيش، إذ وضح فى أثنائها التناقض بين ضباط الجيش الذين كانوا - كأفراد - على صلة بالإخوان المسلمين، وبين جماعة الإخوان كجماعة لها سياستها التى أوحت لها فى ظرف من الظروف أن تهادن حكومة صدقى ضد حركة الشعب..

.. ثم الوفد

وعندما ذهب النقرشى إلى مجلس الأمن يعرض قضية مصر.. قوبلت الطريقة التى هاجم بها الإنجليز بإعجاب شديد فى صفوف الضباط جميعا.. وفى الوقت نفسه كشف النحاس عن وجه غير وطنى عندما أرسل برقيته المشهورة إلى سكرتير عام الأمم المتحدة يعلن فيها أن النقراشى لا يمثل شعب مصر.. فى وقت كان النقراشى فيه يهاجم الإنجليز.

ولعل هذين الموقفين قد أحدثا مقارنات كثيرة بين موقف النحاس وموقف النقراشى فقد كان شعور الإعجاب بالنقراشى فى موقفه يقابله شعور الاشمئزاز من النحاس فى موقفه..

ولكن عودة النقراشى من مجلس الأمن، وأعماله التى تبعت ذلك لقمع الحركة الشعبية بالحديد والنار، قد بعث فى الضباط الشعور باليأس من كل الرجال.. وسوت بينه وبين غيره من الذين تشدقوا

بالوطنية وخانوا قضية الوطن..

مصابيح فى الطريق

هذه الأحداث بالذات..

حادث الكبارى، وحادث المهادنة بين الإخوان وبين صدقى، وحادث برقية النحاس، وحادث قمع الحركة الشعبية على يد النقراشى.. قد كان يمكن أن تؤدى جميعا أو أن يؤدى أى حادث منها إلى إنفجار فردى أو جماعى من ضباط الجيش على غير وعى، أو تنظيم سليم..

ولكن المبدأ الذى كان قد ساد الضباط وشاع بينهم، جعل هذه الأحداث مجرد مصابيح تضىء لهم طريق العمل القادم، وتزيد من وعيهم الحقيقى بما يجرى فى البلاد، وبالدور الذى يجب أن يقوموا به..

ومع الأيام التى تمر بدأت المرحلة الثانية.. مرحلة التنظيم والتكوين.. وبعد ان إطمأنت المجموعة إلى المرحلة الأولى.. مرحلة إشاعة الوعى وتكوين الصداقات..

إلى اللقاء

● نشر فى العدد الثالث والثمانين من «الجمهورية» الصادر فى يوم السبت ٢٧ فبراير ١٩٥٤

التفكير فى تكوين تشكيل سرى داخل الجيش
كيف أبيح للضباط التطوع فى حرب فلسطين؟
حرب فلسطين تزيد سخط الأحرار..
تزوير قسائم العهدة..
والحرب بالبنادق فقط!

بقلم: أنور السادات



السبت ١٣ مارس سنة ١٩٥٤

التفكير في تكوين تشكيل سري داخل الجيش

كيف أبيح للضباط التطوع في حرب فلسطين

حرب فلسطين تزيد سخط الأحرار

تزوير قنابل الهدنة والحرب بالبنادق فقط!

بقلم أنور السادات

الأثنين ١٥ مارس ديانا

تمتاز الصناعات الألمانية بدقتها وجودتها ما أكسبها شهرة فائقة في بلاد الشرق منذ عشرات السنين

نقدم البلور الرصاصي

DEUTSCHER INNEN- UND AUSSENHANDEL – GLAS-KERAMIK

شاهدوا معروضاتنا بالمعرض الصناعي للجمهورية الألمانية الديمقراطية بالجزيرة بالقاهرة من ١٠ إلى ٣٠ مارس سنة ١٩٥٤

الصفحة الأخيرة من «الجمهورية» في يوم السبت ١٣مارس ١٩٥٤.

كانت الروح التى سادت الجيش قد بدأت تبشر بنجاح عظيم خلال الأحداث الكبيرة المتعاقبة فى عامى ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧.

فقد إزدادت جماعات الساخطين بصورة ملحوظة وإنتفت السلبية إنتفاء يكاد يكون كاملا.. وأدرك الضباط إدراكا كاملا أنهم على وشك أن يخوضوا معركة من أجل الخلاص.. خلاص الشعب وخلاص الجيش الذى ينبت من صميمه..

وشعر الحكام.. الملك الطاغية، والقواد «العظام» والسياسيون، بعدوى السخط التى بدأت تنتشر فى صفوف الضباط.. وخيل إليهم أن «المصل الواقى» من وباء السخط يكمن فى خزائن الدولة، وأنهم إذا إستطاعوا أن يحقنوا بهذا المصل جيوب الضباط لأمكنهم أن يعيدوهم إلى السلبية المطلقة التى كانت قد أصبحت من تقاليد الجيش المصرى الراسخة دهرا طويلا..

وكانت السلبية هى كل ما يأملون فيه ليستطيعوا عن طريقها عزل الجيش عن معارك الشعب، وتسخيره فى الوقت المناسب لإلهاب ظهره..

وبدأت ترقيات الضباط تنشر فى الصحف متتابعة متلاحقة.. كوسيلة لإرضائهم من جانب ولإيقاع الفرقة بينهم وبين طوائف الشعب المأزومة من الجانب الآخر..

ولكن حسابهم كان مليئا بالأخطاء الجسيمة.. والخطأ الأول والأكبر فيه، هو أن الروح الوطنية عندما تستيقظ يصعب تخديرها.. وأن الإغداق المفتعل يكشف بنفسه عن دوافعه ويصبح عاملا من عوامل إشاعة السخط لا إشاعة الرضى.

وفى الوقت نفسه كانت الأحداث تتلاحق وكانت أحداثا جسيمة كشفت الغطاء عن كل شىء وبدأت تجرف الضباط جرفا.. نحو المعركة..

تحول إلى العمل السرى

فى ذلك الوقت كانت حلقات الساخطين تضم كل منها خمسين ضابطا على وجه التقريب.

وكانت الأسلحة جميعا ممثلة فى هذه الحلقات، والصداقة القوية تربط بين أفرادها، ومن مختلف الأسلحة، ومختلف الرتب التى لم تكن قد تجاوزت رتبة الصاغ فى ذلك الوقت..

ورأت المجموعة أن تبدأ تنظيمها بداية تدريجية.. فلا تنتقل من الإجتماعات العلنية إلى العمل السرى دفعة واحدة.. وإنما تتدرج إلى ذلك حتى يصبح واقعا طبيعيا تؤمن عواقب السير فى طرقاته..

فقد كان رأى المجموعة قد إستقر فعلا على تكوين جهاز سرى فى داخل الجيش يناط به الإعداد للعمل الكبير، والقيام بهذا العمل أيضا فى اللحظة المناسبة، مطمئنا إلى تأييد الضباط جميعا فى المرحلة الحاسمة، بعد أن اشتعلت فى قلوبهم شرارة السخط ونما الوعى الشعبى فيهم، كأفراد.. وكجماعات..

وكان إختيار أعضاء هذا الجهاز السرى يحتاج إلى دقة، ووقت غير قصير.. خصوصا وأنه لم يكن من تقاليد هذه المجموعة، أن تركن إلى أساليب الاختبارات المفتعلة التى تركن إليها الجمعيات السرية على إختلافها كما لم يكن من تقاليدها الإعتماد على حلف يمين أيا كان شأنه.. وإنما الاعتماد ـ فقط ـ على الاخلاص الواعى المقترن بالصداقة الكاملة.. وبدأ التدرج إلى الهبوط ـ تحت الأرض ـ والإيذان ببدء العمل السرى يأخذ طريقه هادئا حتى لا يشعر الضباط بأن هناك حركة غير عادية أو عمليات فصل بين الجهاز السرى وبين جموعهم الساخطة.

اشتراكات.. ومنشورات

وكانت الخطوة الأولى فيه، هى اقتراح جمع إشتراكات من الحلقات الساخطة جميعا..

وفهم الضباط من هذا الإقتراح أن هناك إتجاها إلى عمل.. فعند مناقشة الإقتراح وتعليل أسبابه.. ذكر إحتمال اللجوء إلى طبع منشورات.. وإحتمال إيقاع الحكومة لونا من الأذى ببعض الضباط وأنه يجب أن يكون لدى «الضباط» لا لدى «المجموعة» قدر من المال ينفق منه على المنشورات وعلى معاونة الضباط الذين يمكن أن يصيبهم الأذى من جراء هذه الأعمال وإعالة أسرهم إذا أصابهم شر..

وفى الوقت نفسه.. نوقشت جبهة الأعداء.. وحددت تحديدا واضحا بأنها مكونة من الاستعمار.. والملك.. والأحزاب السياسية جميعا..

وأدرك كل ضابط أنه مشترك اشتراكا فعليا فى محاربة هذه الجهة.. فسهل بعد ذلك إنشاء التنظيم السرى فى مأمن من الفضول، لقد كان كل ضابط بعد ذلك يعتقد أنه واحد من التنظيم السرى، ولا يفكر فى إكتشاف أمر، يعتبر إكتشافه خطرا داهما على الحركة كلها.. وعلى المشتركين فيها، وعلى البلاد..

فلسطين..

وبينما كانت المجموعة تدير أمر البدء فى التشكيل السرى.. جاءت الأحداث، تؤجل هذه الخطوة وتحول إتجاه السخط إلى ناحية لم تلبث أن كانت حجر الزاوية فى تهيئة الجو لنجاح هذه الثورة..

فقد أقبل عام ١٩٤٨.. وأقبلت معه أحداث فلسطين.. أو بصورة عامة.. حرب فلسطين..

والقراء يذكرون كيف إلتهبت المشاعر عقب الاعتداءات اليهودية المتتابعة على عرب فلسطين العزل من السلاح.. وكيف قرر الشباب العربى فى مختلف البلاد خوص الحرب المقدسة دفاعا عن العروبة فى أعز ديارها..

وفى الأيام الأولى لهذه الأحداث، لم يكن قد تقرر أن يخوض الجيش هذه المعركة.. ولكن الحكومة كانت فى موقف لا تستطيع معه منع الجماعات الثائرة من الشباب من خوض هذه الحرب كمتطوعين..

وكانت أكثر الجماعات فى ذلك الوقت تحمسا للتطوع والقتال هى جماعة الإخوان المسلمين وكانت المجموعة ترى واجبها تدريب الشبان الذين يتطوعون للقتال، والتطوع معهم لقيادتهم خلال المعركة.

الإخوان.. والمفتى.. والجامعة العربية

وبدأت فى تلك الفترة صلات جديدة مع جماعة الإخوان.. صلات بين ضباط المجموعة وبين قيادة الجماعة..

فقد عقدت إجتماعات فى بيت المرحوم حسن البنا، ضمت جمال عبدالناصر، وكان إذ ذاك فى كلية أركان الحرب، وكمال الدين حسين ضابط المدفعية وبعض الضباط المنتمين للإخوان..

وفى نفس الوقت نشأت صلات بين المجموعة وبين الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين.. وبين المجموعة وبين الجامعة العربية..

وكان هدف المجموعة من هذه الصلات جميعا، هو تكوين تنظيمات وتشكيلات مسلحة وتدريبها وإعدادها إعدادا كاملا بكل ما تحتاج إليه من خبرة ومن سلاح، قبل التطوع لخوض غمار المعركة المقدسة..

وكان الإخوان يقولون إنهم مستعدون إلى أقصى الحدود، وأنهم لا ينقصهم سوى السماح لهم

بالسفر إلى ميدان المعركة..

وكان المفتى والجامعة العربية إلى جانبه، يكونان تشكيلات من المتطوعين، وقد أعلنت الجامعة أنها على استعداد لتسليحهم والإنفاق عليهم..

الإستيداع أو الإستقالة

وبقى دور الضباط.. فقد كان الضباط لا يستطيعون الاشتراك فى الحرب إلا إذا أعلنت من الدولة إعلانا رسميا، وإشترك الجيش فيها، ولم يكن قد تقرر بعد إعلان الحرب..

ولذلك فكر الضباط فى الخروج من الجيش، والإشتراك فى الحرب كمتطوعين..

وبدأت الطلبات تنهال على قيادة الجيش من ضباط المجموعة ومن عدد كبير من الضباط الآخرين.. وكانوا يكتبون فى طلباتهم، أنهم مستعدون لتقديم إستقالاتهم، أو طلبات الإحالة إلى الاستيداع، على أن تتركهم الحكومة يذهبون إلى الميدان بأسلحتهم.

وكانت الحكومة مترددة فى ذلك أشد التردد، مما أوجد الضباط فى حالة من الغضب، وزاد من حدة السخط فى قلوبهم.

ولكن ضغط الحوادث كان قاسيا وخطيرا.. وشعرت الحكومة بأنها لابد أن تعمل عملا.. وإقتربت اللحظات الحاسمة، مع إزدياد فظائع اليهود يوما بعد يوم.

قبول التطوع

وفكرت الحكومة فى أن ترسل جماعة من ضباط سلاح المهندسين إلى فلسطين، ليقوموا ببعض الأعمال الإستكشافية.. ووجدت أن خير وسيلة لذلك، هى أن تقبل ما كان الضباط يطالبون به من إباحة إحالتهم إلى الاستيداع أو قبول استقالاتهم، وتركهم للذهاب إلى الميدان بأسلحتهم كمتطوعين.

وفوجىء الضباط بإشارات تأتيهم لمقابلة الفريق عثمان المهدى «باشا» رئيس هيئة أركان حرب الجيش فى ذلك الوقت.

ولبى الضباط الإشارة، وفى مكتب رئيس أركان الحرب، وجدوا الفقيد أحمد عبدالعزيز.. وأخبرهم الفريق عثمان المهدى، أن طلباتهم قد قبلت، وأنهم يستطيعون إعداد أنفسهم للتطوع للقتال.

٤ قطاعات

كانت الجامعة العربية إذ ذاك قد بدأت تنظم تشكيلاتها بالإشتراك مع مفتى فلسطين، وكان قد تقرر تقسيم فلسطين إلى أربعة قطاعات بأربع قيادات ميدان، على أن تخضع القيادات الأربع للجنة العسكرية التى جعل مقرها دمشق، ومثل مصر فيها اللواء صالح حرب.

وكان القطاع المصرى فى فلسطين هو قطاع الجنوب، وقد عينت الجامعة لقيادته اللواء سليمان عبدالواحد سبل.

وكانت المجموعة تعرف اللواء سبل من قبل.. فقد كان الفريق إبراهيم عطا الله قد أخرجه من الجيش.. فأقام الضباط له حفلة تكريم فى نادى الضباط، لا لتكريمه فعلا ولكن تحديا لإبراهيم عطا الله.

وكان مع اللواء سبل، ضابط مخابرات هو اليوزباشى مصطفى كمال صدقى، وقد سافر سبل إلى فلسطين مع متطوعى الجامعة العربية والمفتى.. ولكنه لم يمكث هناك طويلا، فقد دب النفور بينه وبين ضابط مخابراته.. ثم عاد هو، ولم يرجع مرة أخرى إلى الميدان.

إستعداد..

وكان الضباط المتطوعون فى تلك الأيام يعدون أنفسهم للسفر.. يعدون أنفسهم بالسلاح، وتدريب

الجنود الذين سيحاربون تحت إمرتهم، فلما عين المرحوم أحمد عبدالعزيز قائدا لقوات المتطوعين فى فلسطين، ذهبت المجموعة معه إلى منزل اللواء سليمان عبدالواحد سبل لتحصل منه على معلومات عن الجبهة.

وكان مؤسفا، أنها لم تستطع الحصول على أية معلومات ذات قيمة عسكرية.

ومضى الضباط يواصلون إستعداداتهم.

وكان أقسى ما يواجههم هى عمليات الإستعداد.. فللأسف الشديد كانت ظروف الإعداد قاسية موئسة لأى ضابط، مثبطة للهمم، قاتلة للأرواح.

بنادق فقط!

كانت الحكومة مثلا تريد من الضباط والجنود أن يسافروا إلى ميدان القتال غير مزودين إلا بالبنادق!.

وكان الضباط يحاولون إقناع المسئولين بأن البنادق وحدها لا تكفى وأن السفر بغير مدافع، يعتبر إنتحارا، أو يعتبر مهزلة يدفع المتطوعون ثمنها من أرواحهم.. ولكن الحكومة لم تكن تتحرك لصرخاتهم.

وبدأت الأيام تمر، ومع مرورها بدأ اليأس يخيم على النفوس، حتى لقد عاد كثير من الضباط فى قرار التطوع، ورجعوا إلى خدمة الجيش بعد أن كانوا قد قطعوا شوطا فى إستعداداتهم.

لم يكن أحد يشك فى أنها حرب ضد عدو مجهز بأحدث وسائل القتال.. وأخيرا.. وبعد جهود طائلة سمحت الحكومة للمتطوعين بأن يأخذوا معهم عددا من المدافع.. وكان هذا انتصارا عظيما، فرح الضباط به.. والجنود!.

خطابات..

وجاءت ليلة السفر.. وفى ليلة السفر وقعت بعض المفارقات والحوادث التى لا تنسى.

فى ذلك اليوم.. يوم السفر.. إعتذر عبدالمنعم عبدالرءوف عن الذهاب إلى الميدان.. وكان متطوعا، ولا يدرى أحد لماذا تردد، فقد كان حتى ذلك اليوم شديد الحماس.

ولم يكد نبأ اعتذاره يعرف حتى تقدم اليوزباشى خالد فوزى ليحل محله فى التشكيلات المسافرة.

وعندما ذاع نبأ إعتذار عبدالمنعم عبدالرءوف، دب الذعر فى نفس أحد الضباط، فإعتذر بدوره أيضا، وإذا بالمرحوم اليوزباشى أنور الصيحى يتقدم لكى يحل محله، وكأنما كان يسعى إلى قدره.. فقد استشهد أنور الصيحى فى أول معركة عقب وصوله إلى أرض فلسطين.

وفى مساء ذلك اليوم جمع أحمد عبدالعزيز جميع المتطوعين، وخطب فيهم قبل السفر.. وكل من حضر تلك الليلة يذكر خطاب أحمد عبدالعزيز.. ويذكر قوله بحماس لهؤلاء المتطوعين، أنكم لا تذهبون لقتال عدو فحسب.. ولكنكم ذاهبون لتكتبوا التاريخ.

وفرغ أحمد عبدالعزيز من خطابه.. وإذا بالجمع يرى المرحوم حسن البنا ومعه الشيخ فرغلى، قادمين لوداع المسافرين.. وخطب حسن البنا، وخطب الشيخ فرغلى.. وإشتد الحماس وبلغ أوجه.

وفى الحقيقة كانت الروح عالية، وكان الحماس شديدا.. وكان الكل ذاهبا لكى يموت أقدس ميتة وأشرفها.. ولكن هذا لم يكن يعنى أمام الضابط العارف بأسرار القتال وفنون المعارك، أن العمل من أوله إلى آخره لن يؤدى إلى نتيجة تذكر مهما حسنت الظنون.

فقد كان المتطوعون خليطا من شباب الإخوان المسلمين، ومن أفراد الليبيين.. وما تعرفه الجيوش النظامية جميعا بإسم الضبط والربط.. كان مفقودا تماما بين هذا الخليط الذى لم يتعود الحياة العسكرية، ولا يستطيع أن يفهمها فى أيام معدودة.

وكان الضباط حيارى بين الإخوان المسلمين بنظمهم الخاصة وتقاليدهم المعروفة، وبين الليبيين الذين كان السيد عبدالرحمن عزام قد أتى بهم وقال إنهم خير المحاربين وأشدهم بأسا وأقواهم شكيمة.

ولكن روح الفداء التى كانت مسيطرة على الجميع كانت توحى بإمكان التغلب على جميع المصاعب والعقبات...

ورحلت قافلة المتطوعين...

والذى أفادته حركة الجيش من هذه الرحلة.. رحلة المتطوعين إلى أرض القتال، لا يمكن تقديره بحال من الأحوال.. فقد كانت هذه الرحلة وحدها كافية لكى تخلق فى كل ضابط قدرا من السخط، يكفى لكى يدفعه دفعا إلى الموت فى سبيل تغيير الأوضاع القائمة فى البلاد، إذا حدث أن عاد من الحرب سليما.

كشوف العهدة

بدأت المهازل بما رآه الضباط من قوات الأسلحة المختلفة بخصوص العهد التى كانت لديهم فى أسلحتهم.. فأسوأ الأسلحة أعطيت للمسافرين وأسوا العربات أعطيت لهم.. وأكثر من ذلك، قام كل صاحب عهدة بجرد عهدته جردا خاصا، لكى يحصر الناقص منها، ويكتبه فى كشوف الأسلحة والمعدات المسافرة إلى الميدان.

وهكذا كنت تجد فى الكشوف ما لا تجد فى الحقيقة.. بل كانت الكشوف تحوى أضعاف الأسلحة والمعدات الموجودة فعلا فى أيدى الجنود لأن أصحاب «العهد» وجدوا فى هذه المناسبة فرصة العمر لتغطية ما فى ذمتهم من نقص شديد.

مساعدات

والذين كانوا يعطفون على المسافرين فعلا، ويساعدونهم فعلا، هم إخوانهم الضباط والجنود والعمال الذين إلتقوا بهم فى الطريق.

ففى العريش مثلا، قام رجال الصيانة بفحص العربات المسافرة، والذعر والأسى والحزن مخيم عليهم جميعا.. فقد كانت كلها سيارات قديمة لا تصلح لشىء.. وقضى رجال الصيانة هناك ليلهم ونهارهم عاكفين على إصلاح السيارات وإعدادها لكى تستطيع أن تكمل الرحلة إلى الميدان.

وكان الضباط يقولون لإخوانهم «الله معنا.. فالذهاب إلى الحرب بسيارات كهذه نوع من الانتحار».

ومع كل هذا، فقد كانت الروح أقوى، والحماسة أشد من أن يجرفها اليأس.

وسافر المتطوعون، وقد لزموا فى طريقهم فلنكات السكة الحديد، حتى وصلوا إلى رفح.. ثم إلى خان يونس.

وفى خان يونس.. فوجىء الضباط فى اليوم التالى بحضور عبدالمنعم عبدالرءوف.. وهكذا لم يتخلف هذا الضابط الذى كان معروفا بين إخوانه بالحماس.

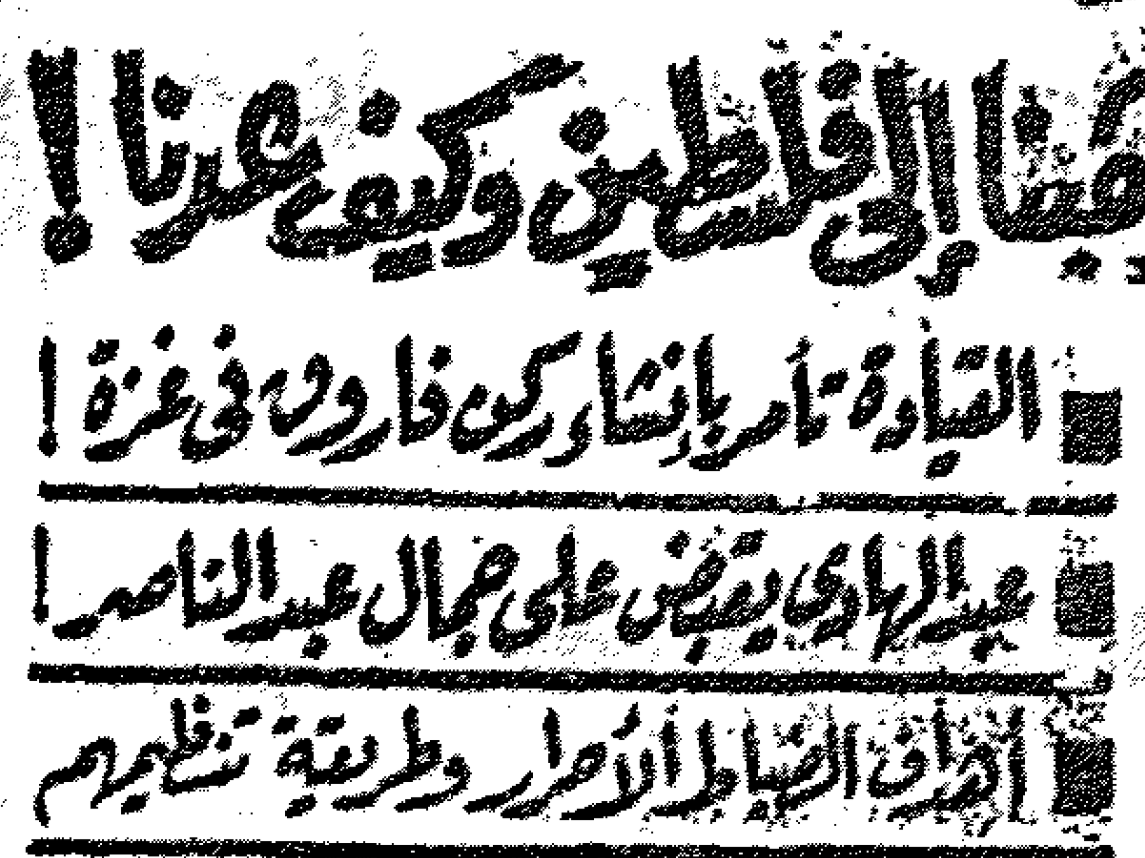
ولنترك المتطوعين الآن.. فلسنا بسبيل كتابة تاريخ حرب فلسطين، لنتركهم، والحقد على الأوضاع يغلى فى قلوبهم.. ونلتقى بالجيش المصرى المسافر رسميا إلى فلسطين بعد هذه الرحلة بأسابيع قليلة..

وإلى اللقاء.

- نشر فى العدد السابع والتسعين من «الجمهورية» الصادر فى يوم السبت ١٣ مارس ١٩٥٤.

كيف ذهبنا إلى فلسطين وكيف عدنا؟
القيادة تأمر بإنشاء ركن فاروق فى غزة!
عبدالهادى يقبض على جمال عبدالناصر
أهداف الضباط الأحرار
وطريقة تنظيمهم

بقلم : أنور السادات



كيف ذهبنا الى فلسطين وكيف عدنا !

القيادة تأمر بانشاء ركن فاروق في غزة !

عبد الهادي يقبض على جمال عبد الناصر !

أهداف الضباط الأحرار وطريقة تنظيمهم

ان قصة حرب فلسطين على حقيقتها قصة مثيرة عجيبة ... هي مأساة تغلق ملهاة من النوع الذي لا ينسى ...

ولقد حاولت ان اكتب الصفحات الخاصة بالتمهيد لهذه الثورة في اثناء حرب فلسطين .. ولكنني امسكت .. فما اعرفه انا عن هذه الحقبة العجيبة من حياة شعب مصر وجيشها اعرفه بالتفصيل الا بالملابسة والتساتر والانفعال .. وعندما اذكر ما كنت اسمعه خلال تلك الايام من مآسي الحرب، وخيانة القيادات، ترتبط هذه الذكريات بأيامي الخاصة ومتاعبي الشخصية التي لا تنكر ... فلم يكفني حبس حريتي، ولكن كان مقدرا علي ايضا ان احرم من خوض هذه الحرب المقدسة، التي طالما تاقت نفسي لخوضها ...

وايام السجن يمكن ان تكون لها صفحات ...

وايام الحرب، لها بدورها صفحات ...

وان ارتاحت نفسي الى ذكر صفحات من ايام سجني في يوم من الايام فلن ترتاح للكتابة شيء من ايام الحرب التي لم اخضها والتي خاضها زملاء لي، كالليوث ...

فالى ان يكتب اخي صلاح سالم، قصة حرب فلسطين، سأكتفي هنا بالاشارة اليها، او الاشارة الى ما سمعته منها من اخواني وزملائي ضباط وجنود الجيش المصري الباسل، في هذه الحرب المقدسة ...

أنور السادات





مواد البناء الحديثة - مصنع للانشاءات الكبيرة

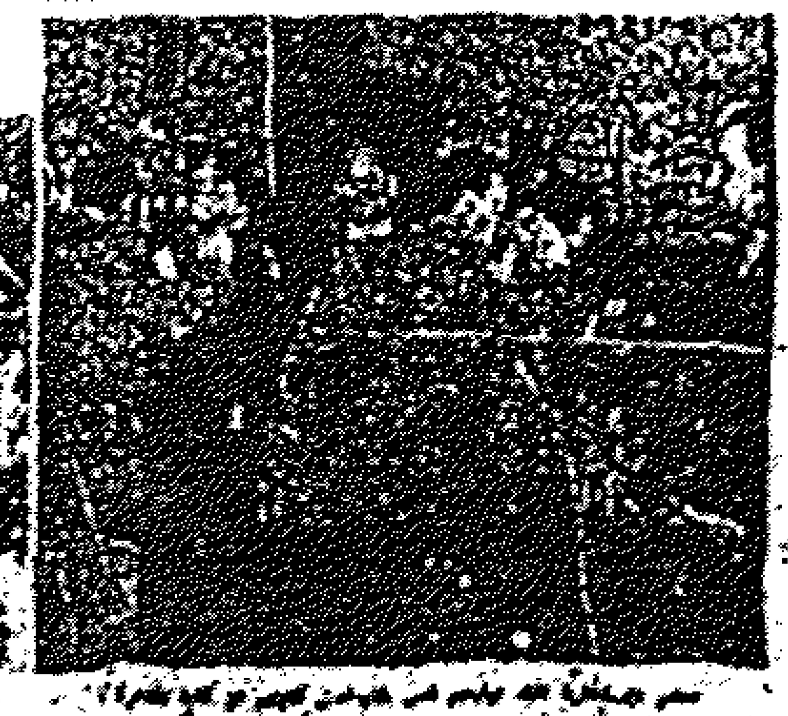
ينتج مصانع بنائية للمباني الحديثة ... للسلع ويخلط مسلح بأسلاك من الصلب الاسطح ... مقاسات عرض ٦٥ سم وأطوال تبلغ الـ ٢٠٠ متر

زوروا قسمنا بالمعرض الصناعي ... الألمانية الديمقراطية ... بالقاهرة من ١٠ الى ٣٠ مارس ...

Deutscher Innen- und Aussenhandel TRANSPORTMASCHINEN







الصفحة الثالثة من «الجمهورية» فى يوم الثلاثاء ٣٠ مارس ١٩٥٤.

إن قصة حرب فلسطين على حقيقتها قصة مثيرة مفجعة.. هى مأساة حقا ومأساة من النوع الذى لا ينسى.

ولقد حاولت أن أكتب الصفحات الخاصة بالتمهيد لهذه الثورة فى أثناء حرب فلسطين.. ولكننى أمسكت.. فما أعرفه أنا عن هذه الحقبة المجيدة من حياة شعب مصر وجيشها أعرفه بالسمع، لا بالممارسة والتأثر والانفعال.. وعندما أتذكر ما كنت أسمعه خلال تلك الأيام من مآسى الحرب، وخيانة القيادات، ترتبط هذه الذكريات بأيامى الخاصة، ومتاعبى الشخصية إذ كنت إذ ذاك سجينا.. فلم يكفنى حبس حريتى، ولكن كان مقدرا على أيضا أن أحرم من خوض هذه الحرب المقدسة، التى طالما تاقت نفسى لخوضها.

وأيام السجن يمكن أن تكون لها صفحات.. وأيام الحرب، لها بدورها صفحات.. وإن إرتاحت نفسى إلى ذكر صفحات فى أيام سجنى فى يوم من الأيام، فلن ترتاح لكتابة شىء عن أيام الحرب التى لم أخضها، والتى خاضها زملاء لى، كاتبون.

فإلى أن يكتب أخى صلاح سالم، قصة حرب فلسطين، سأكتفى هنا بالإشارة إليها، أو الإشارة إلى ما سمعته منها من إخوانى وزملائى ضباط وجنود الجيش المصرى الباسل، فى هذه الحرب المقدسة.

الحرب

والذى لابد من ذكره لكى تستقيم هذه الصفحات هو الصورة الذهنية والعاطفية، لضباط الجيش، ومنهم ضباط مجموعتنا يوم دخولها، والصورة الذهنية والعاطفية لضباط الجيش وضباط مجموعتنا يوم عادوا منها.

أما يوم الخروج للحرب.. فيوم ذكراه مجيدة فى نفوس الضباط والجنود جميعا.

لقد أعلنت الحرب.. وسواء أأعلنها فاروق أم أعلنتها حكومة البلاد القائمة - حكومة النقراشى فى ذلك الوقت - وسواء أكان إعلانها خطأ، أم كان إعلانها صوابا، وسواء أكان الجيش مستعدا لخوضها، أم لم يكن مستعدا، فالحقيقة الوحيدة هى أن الضباط جميعا لم يفكروا فى شىء من هذا كله.. لم يفكروا فى الخطأ أو الصواب لم يفكروا فى إحتمال النصر أو إحتمال الهزيمة.. ولكنهم فكروا فى شىء واحد فقط.. أن حربا أعلنت باسم مصر، وأن جيش مصر يجب أن يخوض هذه الحرب، كأشجع ما تخوض الجيوش حروبها، وأن يموت رجاله، ضباطه وجنوده، فداء لكل ذرة من ثرى الأرض المقدسة، ثرى العروبة والمجد والتاريخ والقداسة.

هذا هو ما فكر فيه ضباط الجيش وجنوده، وهذا وحده هو ماجعلهم يندفعون إندفاعا إلى ميدان الشرف، دون نظر إلى الحقائق الأساسية التى يهتم بها كل محارب وخاصة إذا ما أشعرته الظروف بأن قيادته نفسها لم تول الأمر ما هو جدير به من الإهتمام.

فالذين سافروا إلى الحرب سافروا مجردين من أقوى سلاحين يسافر بهما المحارب..

المعلومات الحقيقية أو شبه الحقيقية عن العدو.. والإطمئنان إلى حسن إستعداد الجيش نفسه.

والذين سافروا إلى حرب فلسطين، لم يكونوا يعرفون شيئا مطلقا عن جيش اليهود، ولم يكونوا يعرفون شيئا مطلقا أيضا عن جيش مصر نفسه ومدى استعداده وحقيقة إمكانياته!.

ولكنهم سافروا.. سافروا حماسة.. وسافروا ذودا عن شرف الوطن الذى إدخرهم للذود عنه.. وقد آن أن يلبوا نداءه المقدس رغم كل شىء.

فى أرض المعركة

وكل ما يفيد الآن فى هذه المذكرات، هو ما شعر به الجيش المصرى فى فلسطين منذ الأسابيع الأولى، من حقائق تثبط أى همة، وتقصم كل ظهر.

فهناك.. فى أرض المعركة، وضح تماما أن كل ما يلزم لجيش يحارب لا وجود له فى جيش مصر.. كل ما يلزم.. من سلاح أو عتاد أو ذخيرة أو مواصلات.. لا وجود لشىء يصلح للحرب أبدا.

وهناك فى أرض المعركة، وضح تماما أنها معركة تسير وفق نظام غريب لم يسبق له مثيل فى تاريخ المعارك الناجحة والفاشلة فى العالم بأسره.. فالجيش يحارب فى فلسطين ولكنه يقاد من القاهرة.. وهو يقاد من القاهرة وتصدر له الأوامر.. أوامر التحرك والهجوم دون نظر لا إلى أصول الحرب، ولا إلى مقدرة الجيش نفسه.

وهناك فى أرض المعركة، وضح تماما أن الإنجليز قد دبروا تدبيرهم لخيانتنا.. لخيانة هذا الجيش فى معركته الأولى المقدسة .فهؤلاء الإنجليز الذين وعدوا حكومة النقراشى بمساعدة جيش مصر بالسلاح والعتاد والذخائر.. قد أمسكوا أيديهم مرة واحدة.. ولم يعطوا الجيش شيئا.

وهناك فى أرض المعركة، وضح تماما أن الإنجليز قد دبروا تدبيرهم خيانة جيش مصر .ليس بهذه الوسيلة فقط، ولكن بالتدخل المباشر لدى بعض الدول العربية، لكى تحيك بنفسها الفخاخ لجيش مصر...

وركن فاروق!

وهناك فى أرض المعركة، شاهد الضباط والجنود المصريون مهزلة المهازل ومأساة المآسى يوم ذهبوا إلى غزة - ولم يكن فى غزة حرب ولا قتال - وإذا بالأوامر تأتى من قيادتهم بالقاهرة، بإنشاء استراحة لفاروق هناك تسمى «ركن فاروق بغزة».

هكذا فجعوا فى الحرب من أوائلها..

أما أواخرها فكانت فترة تأمل ويقين..

النتائج.. توحى

أواخرها كانت الفترة التى أدرك فيها كل ضابط وكل جندى فى جيش مصر.. أن هذه القيادة يجب أن تتغير.. قيادة الجيش وقيادة البلاد.

أما قيادة الجيش، القيادة التى لم يكن لها وجود أبدا.. فلو وجدت، أو وجد نوع من القيادة الحقيقية.. لما أمكن أن يهزم جيش مصر أبدا رغم النقص البالغ الذى كان يعانيه فى سلاحه وعتاده.

وليس هذا مجال مناقشة هذه النتيجة فكل ذلك متروك لقصة حرب فلسطين الكاملة.

ولكن النتيجة التى عاد بها الجيش على أى حال.. هى المرارة والسخط والتصميم على تغيير هذه القيادات جميعا.. تغيير الأوضاع القائمة فى البلاد من أساساتها.

قاعدة للعمل

ولعل القارىء لم ينس أن هذه الحرب قد إنتهت فى عهد عبدالهادى المعروف بعهد الإرهاب.

وفى هذا العهد، عادت القوات المصرية من فلسطين.. وقررت المجموعة أن تبدأ العمل فورا، فقد كانت هذه هى اللحظات المناسبة فعلا لتكون نقطة البدء فى العمل السرى الكامل الذى يؤدى إلى تغيير الأوضاع فى البلاد.

وكان لابد للمجموعة أن تتخذ لها قاعدة تعمل منها، أى أن تعمل على أن يستتب بعض رجالها فى مكان معين، وأن تحرص كل الحرص على إبقاء هذه القاعدة حتى لا تعمل فيها يد التشتيت.

القبض على جمال

وبينما كانت المجموعة تفكر فى هذا الإرتكاز، فوجئت المجموعة بزيارة غير مرغوب فيها من الفريق عثمان المهدى «باشا» رئيس هيئة أركان حرب الجيش حينئذ، لمنزل جمال عبدالناصر.

ولم يكن الفريق عثمان المهدى وحده فى هذه الزيارة، فقد كان معه عدد من ضباط البوليس الحربى.

ولم يكن هدف الزيارة هدفا عاديا.. وإنما كان الهدف هو القبض جمال عبدالناصر، وتفتيش بيته.

وقام رجال البوليس الحربى بالتفتيش، فلم يجدوا فى البيت سوى بضع طلقات.. فقد كان جمال عبدالناصر حريصا دائما.

أما جمال، فقد اصطحبه عثمان المهدى، إلى «دولة» إبراهيم عبدالهادى باشا رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى العام والمسئول الأكبر فى عهد الإرهاب.

وهناك فى مكتب رئيس الوزراء والحاكم العسكرى العام، جرت مناقشة طويلة بين جمال وبين عبدالهادى.. فقد وجه عبدالهادى لجمال تهمة التعاون مع الإخوان المسلمين مستدلا على ذلك بأنه - أى جمال - قد قام بتدريب بعض شبان الإخوان على السلاح، أثناء الحرب وقبيل قيامها.

أما جمال.. جمال الثائر الذى كان عائدا من الفالوجا.. فلم يكن لديه من الصبر ما يمكنه من عدم الإحتداد فى المناقشة على الحاكم العسكرى العام.

ولعلها كانت مفيدة.. فقد تريث إبراهيم عبدالهادى فى إصدار الأمر بإعتقاله.. وأرسل رسله يأتونه بأخبار جمال.. ثم أفرج عنه فورا.. لأنه أدرك أن لهذا الضابط شخصية معينة بين ضباط الجيش، وأن له كيانا خاصا فى صفوفهم، فخشى أن يعتقله، فتكون القشة التى تقصم ظهره، وظهر العهد من بعده.

القاعدة فى القاهرة

وإنتهينا من هذه المشكلة.. وبدأنا فى التكوين.. تكوين القاعدة أولا..

وكانت القاعدة مكونة - كما قررنا - من جمال وعبدالحكيم وزكريا محيى الدين وصلاح سالم.

وإستطاع كل منهم أن يجد له مكانا شبه ثابت فى القاهرة.

فجمال، وكان برتبة صاغ فى ذلك الوقت قد عين فى مدرسة الشئون الإدارية بالجيش.

وعبدالحكيم عين فى مدرسة المشاة.

وزكريا عين فى الكلية الحربية.

وصلاح استقر فى وحدته بالقاهرة.

وفى الأيام التى تلت ذلك، فرغنا من وضع أساس التنظيم كله.

الأهداف والنظام

فأسمينا أنفسنا بالضباط الأحرار.. الأحرار فى كفاحهم فى سبيل الحياة، والأحرار فى سعيهم إلى تحرير وطنهم من الإستعمار والإستغلال والفساد، وكذلك الأحرار من الإنتماء إلى أى هيئة أو جمعية أو تشكيل معروف.

ووضعنا أهداف التشكيل وطبعناها.. وتم توزيعها فعلا على الضباط الأساسيين فى التشكيل.. وظهر إسم «الضباط الأحرار» لأول مرة.. وكانت أهم الأهداف التى تضمنها هذا المنشور الأول:

- القضاء على الاستعمار الأجنبى وأعوانه من الخونة المصريين
- تكوين جيش وطنى قوى.
- إيجاد حكم نيابى سليم.

وفى نفس الوقت، وضع النظام الأساسى للتشكيل على الوجه التالى:

● السرية المطلقة فى كل شىء.

● تخصيص كل ضابط من ضباط مجلس قيادة التشكيل لسلاح من أسلحة الجيش يكون هو المسئول عن تنظيمات التشكيل فيه.

● الأخذ بنظام الخلايا، ووجوب عقدا إجتماعات للخلايا أسبوعيا وبإنتظام.

● تكليف كل ضابط من ضباط مجلس القيادة بتقديم تقرير أسبوعى إلى المجلس يوضح فيه مدى تقدم التشكيل فى داخل سلاحه وعدد المنضمين وعدد من رئى إستبعاده.

● وجوب ضم أعضاء جدد فى كل أسبوع.

● إصدار المنشورات بصفة منتظمة أسبوعيا.

وعلى هذا الوجه بدأ التشكيل مرحلته الحاسمة، وخطته المدروسة .. وعلى أساس نظام معين، وأهداف محددة واضحة وخلايا .. وقيادة كاملة..

وإلي اللقاء

● نشر في العدد الرابع عشر بعد المائة من «الجمهورية» الصادر في يوم الثلاثاء ٣٠ مارس ١٩٥٤.

أوشكنا أن نقوم بالحركة فى مارس ١٩٥٢
فاروق يحاول مغادرة البلاد
بعد حريق القاهرة
سراج الدين يستدرجنا
ليصبح وزيراً للحربية

بقلم : أنور السادات





إن المقابلة التى تمت بين فؤاد سراج الدين « باشا » وبين البكباشى أحمد أنور فى أواخر ديسمبر من عام ١٩٥١، والتى تركنا لأحمد أنور تسجيلها فى صفحتنا الأخيرة من هذه الصفحات، كانت من أهم المقابلات التى تمت قبيل ظهور حركة الجيش ...

ولم تكن أهميتها عندنا ناجمة عن شعور منا بأهمية معاونة الوفد لنا فى حركتنا فقد كنا منذ مدة طويلة قد قررنا نهائياً أن ينفرد الجيش بالحركة دون تعاون مع أى هيئة سياسية أو غير سياسية خارج نطاقه .. ولكن هذه الأهمية جاءت عن شعورنا بوجوب اكتشاف كل شبر من الأرض التى نمشى عليها، قبل أن نقدم على خطوتنا.

لقد كان جمال عبد الناصر قليل الأمل فى إمكان قبول الوفد لما نعرضه عليه .. ولكن هذا لم يمنعه من السعى إلى الوفد هذا السعى الحميد .. ولو أن الوفد قبل لن يكون الشرارة التى تطلق الثورة، لتغيرت ملامح كثيرة من تاريخ مصر الحديث ... ولكنه لم يقبل ... وسترى البكباشى أحمد أنور أتمام حديثه الذى نشرنا بدايته فى حلقتنا الماضية، ليعرف القراء كيف كان تخاذل الوفد فى المضى فى الطريق الوحيد الذى كان يجب أن يمضى فيه .. وكيف أثر هذا التخاذل فى الأحداث اللاحقة التى شاهدتها مصر فى مطلع عام ١٩٥٢ .. والتى انتهت بظهور الثورة وانتهاء عهد الفساد ...

بقلم أنور السادات



الصفحة العاشرة من «الجمهورية» فى يوم السبت ٢٤ أبريل ١٩٥٤.

إن المقابلة التى تمت بين فؤاد سراج الدين «باشا» وبين البكباشى أحمد أنور فى أواخر ديسمبر من عام ١٩٥١، والتى تركنا لأحمد أنور تسجيلها فى صفحتنا الأخيرة من هذه الصفحات، كانت من أهم المقابلات التى تمت قبيل ظهور حركة الجيش.

ولم تكن أهميتها عندنا ناجمة عن شعور منا بأهمية معاونة الوفد لنا فى حركتنا فقد كنا منذ مدة طويلة قد قررنا نهائياً أن ينفرد الجيش بالحركة دون تعاون مع أى هيئة سياسية أو غير سياسية خارج نطاقه.. ولكن هذه الأهمية جاءت من شعورنا بوجوب إكتشاف كل شبر من الأرض التى نمشى عليها، قبل أن نقدم على خطوتنا.

لقد كان جمال عبدالناصر قليل الأمل فى إمكان قبول الوفد لما نعرضه عليه.. ولكن هذا لم يمنعه من السعى إلى الوفد هذا السعى الحميد.. ولو أن الوفد قبل أن يكون الشرارة التى تطلق الثورة، لتغيرت ملامح كثيرة من تاريخ مصر الحديث.. ولكنه لم يقبل.. وسأترك للبكباشى أحمد أنور إتمام حديثه الذى نشرنا بدايته فى الفصل السابق ليعرف القراء كيف كان تخاذل الوفد عن المضى فى الطرق الوحيد الذى كان يجب أن يمضى فيه.. وكيف أثر هذا التخاذل فى الأحداث المتلاحقة التى شاهدتها مصر فى مطلع عام ١٩٥٢.. والتى إنتهت بظهور الثورة، وإنتهاء عهد الفساد..

قال البكباشى أحمد أنور..

كنت قد مهدت الجو تماماً لكى يشعر فؤاد سراج الدين بملء الثقة فى شخصى فيتكلم ويفصح، ولا يخشى أن تكون هناك دسيسة أو مكيدة قد دبرت له.

وكان فؤاد سراج الدين قد بدأ يشعرنى بأنى أصبحت فعلا موضع ثقته.. وأخذ يتكلم بصراحة وحرية فى موضوعات سياسية ووطنية محاولاً إيهامى بأنه يذكر لى أسراراً خطيرة لا ينبغى أن تذكر إلا لمن يكونون فى الموضع الأول من ثقة الرجل فيه..

وفجأة سألنى السؤال الذى لم أكن قد توقعت أن يوجه إلى ولا أعددت نفسى للإجابة عليه.

قال لى سراج الدين فى بساطة:

ـ مين تفتكر يصلح لقيادة الجيش؟

قال: قيادة الجيش.. ولم يقل قيادة الحركة.. وقالها فى بساطة لا مثيل لها وكأنه يسأل عن الصحة أو يتحدث عن حالة الطقس.

ولم أفهم أنا مغزى سؤاله الا بعد إنصرافى من منزله.. عندما جلست أستعيد مادار فى الجلسة حرفاً حرفاً لكى أقدم به تقريرى إلى البكباشى جمال عبدالناصر.. فقد أدركت عندئذ من وضع أسئلته المتناثرة سؤالاً إلى جوار الآخر، أنه لم يكن يسألنى مجرد سؤال برىء عمن أظنه أصلح من الفريق حيدر باشا لقيادة الجيش، وإنما كان يقصد تماماً إلى معرفة رئيس حركة الضباط الأحرار.

أدركت هذا بعد خروجى من منزل سراج الدين.. وحمدت الله عند ذلك كثيراً.. فعلى الرغم من مفاجأته لى بهذا السؤال وعلى الرغم من جو الثقة الذى كان قد سيطر على الجلسة، وعلى الرغم من اللهجة البسيطة التى ألقى بها سؤاله فقد سيطر على، دون أن أدرى لذلك سبباً، الحذر الطبيعى الذى كنا قد تعلمناه فى الفترة السابقة من الإعداد للحركة وكنت بالطبع فى مأزق.

فلابد أن أجيب.. وإلا فقدت ثقة الرجل التى أجهدت نفسى فى إكتسابها.. ولم يكن ممكنا أن أجيب لأن شخص القائد كان لابد أن يظل سراً حبيساً لا يعلم به أحد.

ووجدت نفسى أختار اسم رجل بعيد كل البعد عن حركتنا، رجل لا صلة له مطلقاً بالضباط الأحرار ولا بتشكيلاتهم ولكنه فى الوقت نفسه شخصية يمكن إذا ذكرت ألا يقابل ذكرها فى هذا المقام بأى قدر من الإرتياب.

وقلت له وكان ذلك بعد لحظات قصيرة جدا من سؤاله:

– أعتقد أن اللواء سيف الدين هو الذى يصلح اليوم لقيادة الجيش، واللواء سيف هو سفير مصر اليوم فى عمان.

وهز سراج الدين رأسه وقال لى:

– إختيار موفق.

ولم أفهم مغزى هذه الكلمة أيضا، فقد كنت لا أزال مأخوذا بالمأزق الذى وجدت فيه.. ويبدو أن سراج الدين قد سره أن عرف منى إسم «قائد حركة الضباط الأحرار» وأراد أن يصل عن طريقى إلى معلومات أخرى أعم وأشمل.. ولكنه كان فى كل كلمة حريصا وكأن لا يسأل سؤاله إلا بعد أن يمهد له كثيرا. هذا كله أدركته بعد إنصرافى من منزله، أما أثناء وجودى فقد كنت أحاول فقط أن أجيب على أسئلته وأن أعرف منه رأيه فيما جئت أعرضه عليه..

حيدر وطه حسين!

وبدأ سراج الدين تمهيده الطويل الثانى بالحديث عن الفريق حيدر باشا، وكان طرق هذا الموضوع أمرا طبيعيا مادمت قد حددت له إسم القائد الجديد. فأخذ يتحدث عن إنتخابات النادى الأولى، ثم قال:

– أنتم خذلتمونا فى مسألة حيدر.

وكانت الحكومة قد قبلت إستقالة حيدر باشا من قيادة الجيش على أثر التحقيقات التى أجريت فى قضية الأسلحة الفاسدة ولكن الملك أعاده بعد ذلك رغم إرادة الحكومة.

– لقد قلنا للملك إن إعادة حيدر ستؤدى إلى كارثة وأن الضباط جميعا سيثورون.. ولكنه عندما أعاده.. ثم ندبه عنه فى حضور حفلة نادى الضباط، صفق له الضباط طويلا فى حضور وزير الحربية الوفدى، مصطفى نصرت مما أوجد الوزير فى حرج شديد وشلنا فى موقفنا من الملك شللا كاملا.

وكانت هذه القصة قد وقعت بالفعل وكان تصفيق الضباط لحيدر هو أكبر لطمة وجهت إلى حكومة الوفد وأضعفت موقفها.

وأردت أن أطمئن سراج الدين بإفهمامه أن ما حدث لا يعبر مطلقا عن رأى الجيش.. وأن هذه المظاهرة قد إفتعلها عدد معين من الضباط.. ثم قلت له:

– إننا لو أتينا بطه حسين وعيناه قائدا عاما لكان أحسن كثيرا فى منصبه من الفريق حيدر باشا.

ورأيت فؤاد سراج الدين يبتسم.. فإستطردت قائلا:

– لأنه – على الأقل – يفهم فى السياسة..

وضحك سراج الدين ثم قال:

– على كل حال أنتم صفقتم لحيدر.. وأحرجتمونا.

وفى الحال، قال لى:

– هل سمعتم عن إتجاه النية إلى التخلص من بعض الضباط؟

وكنا على علم بذلك فعلا فقد كانت هناك قائمة قد أعدت لطرد عدد من ضباط الجيش وكانت هذه القائمة تتضمن أسماء سبعة ضباط من تشكيلنا.

١٢ شيشكلى

وقلت له: لقد سمعنا أن الملك قال لحيدر بغضب «إزاى تسيب ١٢ شيشكلى قاعدين فى الجيش؟!»

وطرب سراج الدين لهذه الاجابة.. ثم سألنى:

- زى مين:

ولما وجدنى تلكأت فى الإجابة.. إستطرد هو قائلا:

- إنك تستطيع إذا عرفت الأسماء وكانت تهمكم أن تبلغنى شخصيا بما تعرف. فقد أستطيع أن أكون مفيدا!

وكنا نحن نعلم أن هناك مباراة بين الوفد وبين الملك فى السيطرة على الجيش.. وكان فؤاد سراج الدين يريد أن يعرف ما لدى من معلومات لكى يشعر الملك بأنه على علم بكل شىء ثم يستغل هذا فى الوصول إلى هدفه الذى سعى إليه كثيرا وهو أن يكون وزيراً للحربية.. فقد كان همه فى تلك الأيام أن يقنع الملك بأنه إذا أصبح وزيرا للحربية لاستطاع أن يسيطر على الجيش تمام السيطرة.

من أنتم؟!

وعاد سراج الدين يؤكد لى استعداده لكى يكون مفيدا لنا إذا عرف منى أسماء من يهمنا أمرهم.. ولكنى فى هذه اللحظة كنت حاسما فقلت له على الفور:

- أرجوك لا تهتم معاليك كثيرا بالأسماء.. ويكفى أن تتأكد من وجود قوة مخلصة كافية داخل الجيش.. وإنك أنت الذى تستطيع أن تعتمد علينا وأن تجدنا فى أى وقت إذا أردت منا مساهمة فعلية فى شد أزركم تجاه الملك، فى أية خطوة دستورية أو وطنية تريدون إتخاذها.

وأطرق سراج الدين.. ثم قال:

- يعنى؟!

فأجبته:

- يعنى أننا نريد منكم بصراحة أن تتخذوا موقفا وطنيا شديدا من الملك.

فقال:

- وإذا أقالنا المالك؟!

قلت له:

- تتمسكون بمراكزكم وتتركون الباقى لنا.. فالجيش كله على إستعداد للوقوف إلى جانبكم فى هذه الحالة وقوفا قويا فعالا مؤازرا...

وإبتسم سراج الدين وهو مطرق.. ثم قال:

- ربنا يسهل.. وإن كان رأيى الصريح هو أن الجيش يجب أن يلزم شئونه الخاصة.

وإنتهت المقابلة بذلك وتوجهت إلى البكباشى جمال عبدالناصر فرويت له كل تفاصيلها.

اللعب على الحبلين

ولنعد إلى حديث الحركة.. فقد درسنا موقف الوفد بعد ذلك على ضوء هذه الإجابة الواضحة من سراج الدين وعلمنا بوسائلنا الخاصة أن سراج الدين قد أخفى نبأ هذه المقابلة عن جميع وزراء الوفد فى ذلك الوقت وأنه أراد أن يبقى أمرها سرا بينه وبيننا وبين مصطفى النحاس.

والواقع أن هذا الموقف من الوفد قد أثر تأثيرا كبيرا فى الأيام التى تلت ذلك.

فقد كانت حوادث القنال تتفاقم يوما بعد يوم.. وكان شباب مصر يقوم بأعمال عظيمة وهو أعزل من كل سلاح إلا وطنيته وإيمانه، وكان رجال البوليس يتحملون العبء الأكبر من أعباء الجهد ضد جيش كبير كامل التسلح وكان الموقف يفلت من يد حكومة الوفد يوما بعد يوما.. لمحاولتها السير فى إتجاهين واللعب على حبلين فى وقت واحد.. فقد كانت تساير الملك وتعبىء الشعب.. والملك خائف من الشعب متآمر عليه والشعب حانق على الملك ثائر عليه والحكومة تريد أن تسير فى هذين الاتجاهين المتناقضين.

ولم يكن لنا بد من الإنتظار لأن هذه الحكومة لا تريد أن تقف الموقف الحازم الذى يمكننا من التدخل وإقرار الأمور وإيقاف الملك عند حده أو الإطاحة به والسير بالكفاح فى طريقه القويم.

وفجأة تغيرت الظروف جميعا بالمؤامرة الكبرى.. حريق القاهرة.. حدث هذا الحريق الذى أكل اقتصاديات البلاد وأطاح بسمعتها ومكن للقوى الرجعية من الإنتكاس بانتفاضتها فى لحظة واحدة دون إنتظار ولا توقع من أحد...

وكيف كان لنا أن نتوقع حادثا كهذا؟!...

لقد فوجئنا به.. وإعترانا الوجوم أياما.. ثم بدأت جميع حواسنا المعنوية والمادية تعمل معا بصورة لم يسبق لها مثيل فى تشكيلنا.

كنا نريد أن نتبين الطريق وأن نعرف كيف نضرب ضربتنا بعد وقوع هذا الحادث وما تبعه من سوء الموقف الدولى لمصر ومن خراب إقتصادى وذهول شعبى وإنتكاس كامل وسيطرة الرجعية بصورة لامثيل لها على كل مرافق البلاد....

وبدأنا نلاحظ ونراقب.

فاروق ينتابه الذعر

وكان أول ما إستقرت عنده أفكارنا فترة معينة، هو ذلك الذعر الذى إنتاب فاروق، عقب الحادث مباشرة والتفكير المضطرب الذى كان ينساق به فى الصباح إلى غير ما ينساق به فى المساء.

لقد ذعر فاروق ذعرا شديدا.. وفكر فى الهرب من البلاد وأعد نفسه للسفر فعلا ووجدنا نحن أنفسنا فى موقف من يجب أن يعد نفسه للعمل فى أية لحظة ومهما كانت الظروف والعقبات.

سنعمل وحدنا

وإجتمعنا وحددنا موعدا تقريبيا لحركتنا شهر مارس ١٩٥٢ أى بعد أيام قليلة من موعد ذلك الإجتماع.. ووضعنا خطتنا كاملة. وكنا قد راعينا فيها الأساس الأول الذى إتفقنا عليه من بدء التدابير الأولى للحركة، وهو أن ينفرد الجيش بهذه الحركة إنفرادا كاملا دون الإعتماد على أية هيئة أو جماعة أو حزب، فقد كانت إتصالات جمال عبدالناصر المتعددة مع جميع الهيئات قد أثبتت لنا بصورة قاطعة أنه لا توجد هيئة واحدة على إستعداد للقيام بأى عمل جدى إلى جانبنا.

وإتخذنا هذا الموقف لأكثر من أسبوع.. موقف التأهب الكامل للقيام بالحركة فى أى وقت.

ولكن الأسبوع الذى مر بعد ذلك جدد أحداثا جديدة فى حياة البلاد.. فقد أقيلت وزارة على ماهر.. أو استقالت مرغمة.. وجاء شهر مارس بوزارة الهلالى وبأسلوب جديد.. وهدأت مخاوف فاوق، وقرر البقاء فى البلاد.. ووجدنا أن فرصتنا تكون أكبر إذا إنتظرنا قليلا حتى تتكشف الأمور ويفيق الشعب من الذهول الذى أوجدته الأحداث فيه.

وهكذا قررنا تأجيل موعد الحركة الذى كنا قد حددنا له شهر مارس.. وكان هذا هو التأجيل الأخير.. وإلى اللقاء

● نشر فى العدد التاسع والثلاثين بعد المائة من «الجمهورية» الصادر فى يوم السبت ٢٤ أبريل ١٩٥٤.

«خاتمة»

خمس سنوات من العمل المتواصل.. لأصدر كتابا كل شهر.. منذ يناير ٢٠٠٦.. وحتى ديسمبر ٢٠١٠.. أحمد الله سبحانه وتعالى.. على توفيقه.. وأتطلع إلى قادم الأيام.. آملا فى مزيد من التوفيق.. وراجيا من الله استمرار ما تحقق من نجاح فى هذه السلسلة التى تفردت بتراث العمالقة الذين أثروا صفحات «الجمهورية» منذ بدأ صدورها فى ٧ ديسمبر ١٩٥٣..

ونلتقى معك فى كتاب جديد.. فى الشهر القادم بإذن الله..

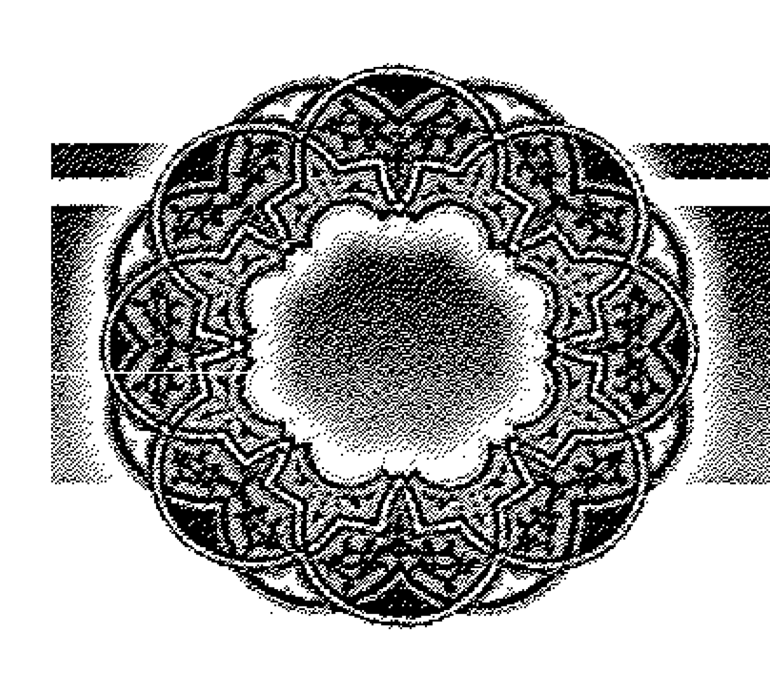
وعلى الله قصد السبيل

صلاح عطية

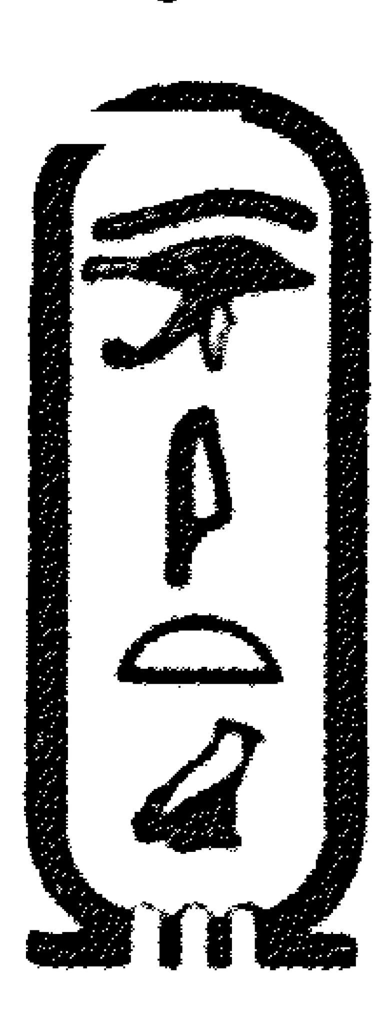
salahattia@hotmail.com

الفهـــرس

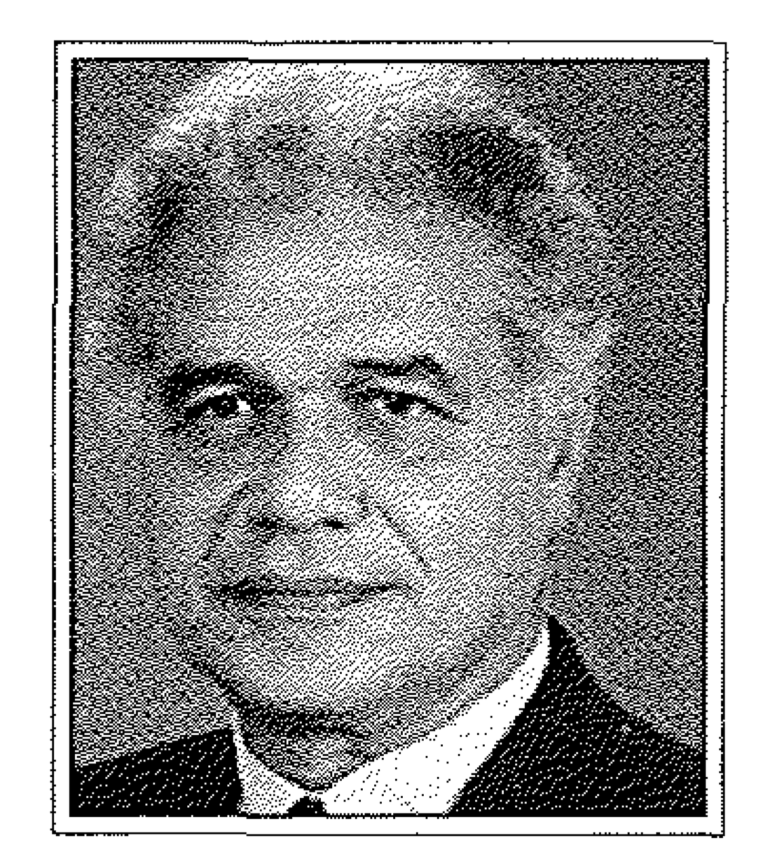
طبع بمطابع دار الجمهورية



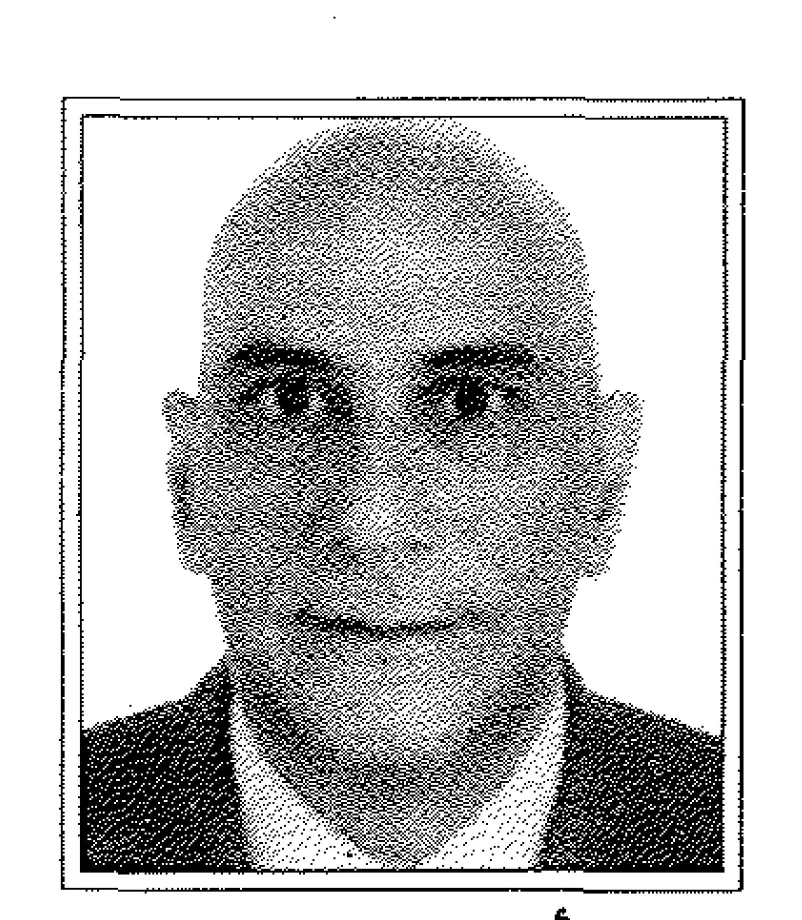
هذه السلسلة تصدر تحت رعاية



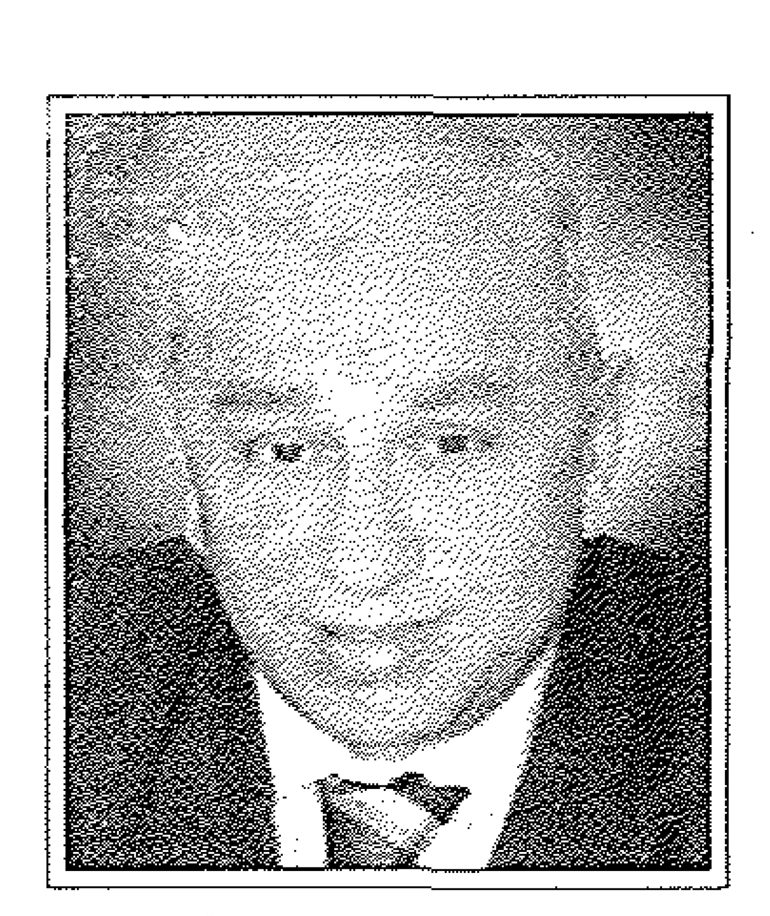
الهيئة المصرية العامة للتنشيط السياحي
ورعاية كريمة من الأساتذه



المحمدى حويدق
رئيس مجلس إدارة
الجفتون للمشروعات السياحية



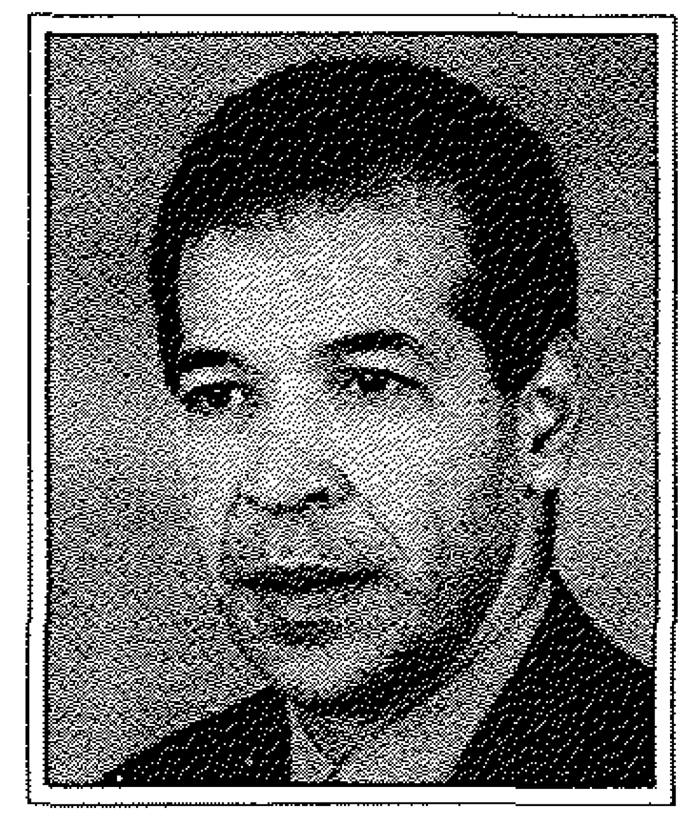
أمجد حسون
رئيس مجلس إدارة
مجموعة فلاش تور



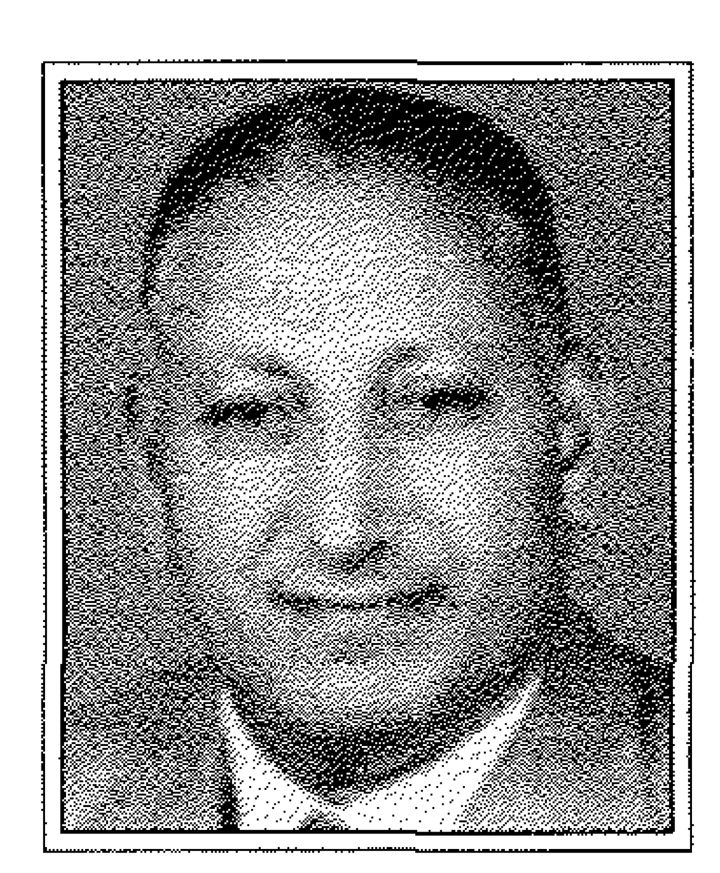
د. نور الدين بكر
رئيس مجلس إدارة
مصر للسياحة



عاطف عبد اللطيف
رئيس مجلس إدارة
مجموعة ترافلرز



سامح حويدق
رئيس مجلس إدارة الياسمين بيتش
للمشروعات السياحية



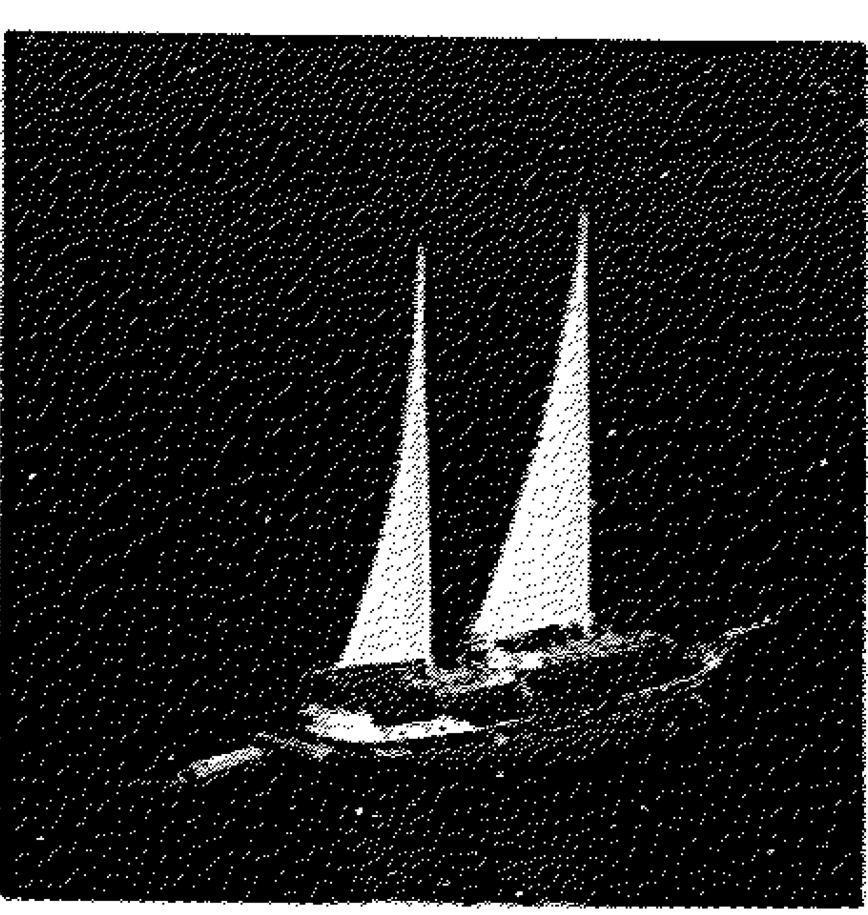
محمد الحسنين
رئيس مجلس إدارة
جلاكسيا للسياحة

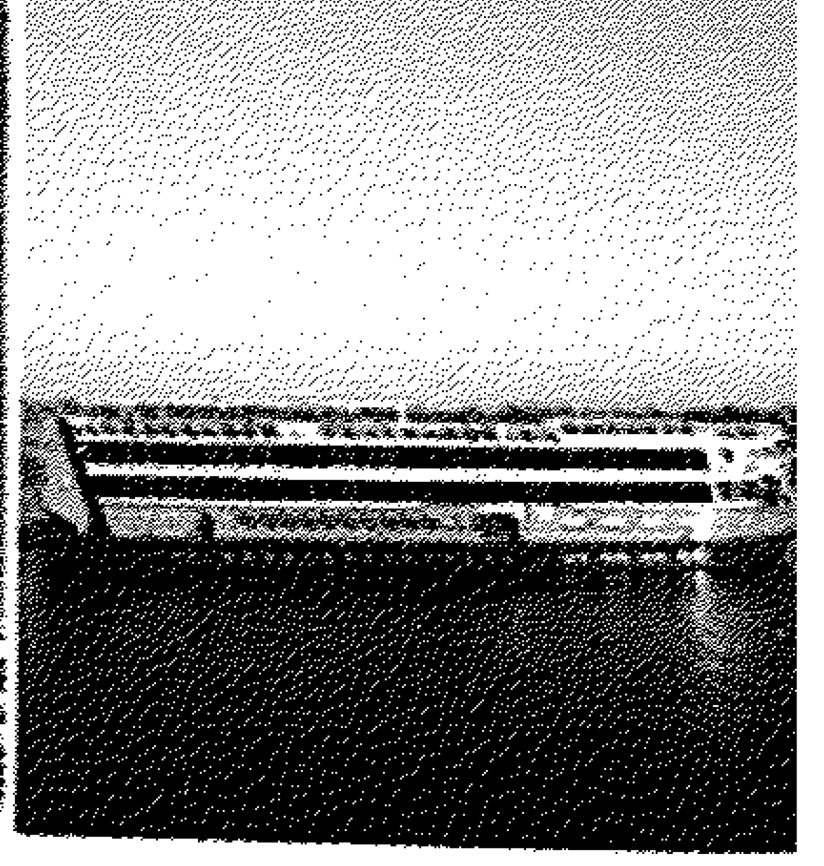
flash tour

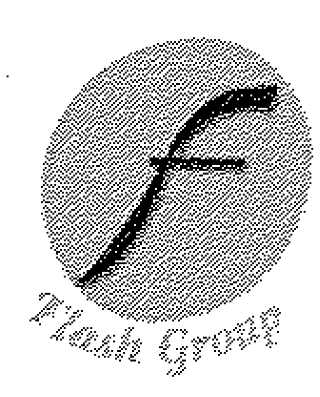
We show you the way

Destination Management Egypt

- Ground Handling
- Tailor Made Programs
- Adventure Programs
- Incentives
- Airport Assistance
- Hotel Bookings
- Tours & Excursions
- Conferences





Tel: (20 - 2) 24 19 34 51 Fax : (20 - 2) 22 91 11 82 - 24 17 02 86
Short Number: 16771 E-mail :flash@flashtour.travel www.flashtour.travel

"the river fed my soul..."

egypt

where it all begins

Nile Valley - Aswan

www.egypt.travel

Bibliotheca Alexandrina
0963474